إلى الأمام

يا عمال العالم ويا شعوبه المضطهدة اتحدوا

الى الامام - المجلة المغربية - السلسلة الجديدة - عدد 11-12 يناير - الثمن 12 فرنك

ILAL - AMAM - revue marocaine - parait tous les 2 mois - Nº 11-12-Janvier -1987- prix- 12 francs

أوفياء لشهداء شعبنا

الفهرس

- بداية الكلام ... ص٢
- صدور الى الامام من جديد ... ص ٣
- أمين التحية الحارة ... ص ٥
- ذكرى الشهداء والتضحية ... ص ٦
- المعتقلون السياسيون المغاربة ... ص ٨
- حياة خائن - الحسن الثاني ... ص ٩
- مجموعة أمنيوم شمال افريقيا ... ص ١٣
- النظام الملكي ارتماء متزايد في أحضان الامبريالية الامريكية ... ص ١٤
- المغرب: افلاس اقتصادي و اجتماعي والحلول أخطر ... ص ١٧
- الهجوم الرجعي على الجبهة الفكرية ومهام الثوريين المغاربة ... ص ٢٤
- توضيح ... ص ٢٧
- حول أوضاع الشباب المغربي ومهام الثوريين المغاربة ... ص ٢٨
- جماهير المناطق المحتلة ... ص ٣١
- منظمة الى الامام: تعريف موجز بمناسبة الذكرى ١٦ لتأسيسها ص ٣٢
- مقتطفات من بيانات المنظمة ... ص ٣٩
- حول مسار الثورات الاشتراكية في العالم الثالث تفكير انطلاقا من أحداث ومأساة يناير ١٩٨٦ في جنوب اليمن ... ص ٤٥
- السجون قلاع التحدي ... ص ٥٥

الإرهاب

لا يرهب

الأحرار

بداية الكلام

سيكون المناضلون الثوريون المغاربة، الشيوعيون منهم وغير الشيوعيون، وأصدقاء النضال الثوري ببلادنا، وقراء مجلتنا والعاطفين عليها، سيكون هؤلاء وآخرون، قد تساءلوا كثيرا عن أسباب توقف مجلة الى الامام عن الصدور لمدة تزيد على سنة ونصف بالتقريب. ومما لا شك فيه أن تلك التساؤلات قد ازدادت تكاثرا وحدة مع مرور الشهور...

فهي - التساؤلات - بالاضافة الى أنها مشروعة من حيث مقدماتها ومصادرها، فهي تعبر عن غيرة قوية على مصير قضية شعبنا ومعه الحركة الثورية المغربية.

ان تثمين تلك التساؤلات وغيرتها وهمومها وحمولاتها ودلالاتها النضالية العميقة، لا ننى إمكانية التعبير عنه إلا بالإجابة الصريحة والشفافة عليها ملؤوها الصدق الثوري وجوابنا الأهم، يكمن في واقع القوى الثورية المغربية، الذي ما زال، رغم التضحيات الجسام، يتسم من جملة ما يتسم به لا لن نبالغ اذا قلنا أنه كبير بالقياس مع ما هو مطروح عليها من مهام جسيمة في مسيرة النضال الثوري والكفاح الشعبي ببلادنا... هذا من حيث العمق.

لكن هناك أسباب أخرى، لها صلة وثيقة بهذا العمق، أسباب يمكن وصفها بمباشرة، وتتمثل في أن معظم قوات المجلة قد مستها بشكل أو بآخر، من قريب أو من بعيد، حملة القمع الهمجية التي أقدم عليها النظام الملكي الاستبدادي في أواخر السنة الماضية. مما نتج عنه تعطيل تلك الشرايين التي كانت تغذي مجلتنا بسيولة الاخبار والمقالات والتحقيقات وغيرها من متطلبات الدعاية الثورية في شروط الصراعات الطبقية ببلادنا..

الآن وبعد أن وفرت المجلة - الى الامام - لنفسها حدا أدنى من ضروريات الاستمرار، رغم الصعاب والمشاق، تنطلق من جديد لتواصل المسيرة على درب النضال الشعبي الثوري، فاتحة صفحاتها للاقلام المناضلة لكي تخط فيها هي الاخرى بمداد الجرح والصمود والعناد الثوري ما سيمليه عليها التزامها الثوري ازاء شعبنا..

ان عطفنا اذن، بنشرها ومراسلتها ومكاتبتها، علاوة على أنه يشكل مساهمة عظيمة في نشر الفكر الثوري وتزويدها بشروط الحياة والاستمرار لشق طريق الثورة الشعبية مع شعبنا من أجل تحقيق مطامحه في الحرية والديمقراطية الشعبية والاشتراكية، فهو بالاضافة الى هذا وذاك سيساهم في تعزيز مكانة المجلة في صفوف شعبنا ومناضليه الاحرار ويجعلها في ذات الآن تحقق مناعة صلبة لمواجهة آليات النظام الاستبدادي وزوابعها القمعية التي لنا اليقين بأنها لن تتوقف عن وظيفتها الوسخة الا بقيام الثورة الشعبية وارساء الجمهورية الديمقراطية الشعبية على طريق الاشتراكية فوق أرجاء وطننا الحبيب

- الى الامام -

*

| صدور الى الأمام من جديد |

مواصلة السير على درب النضال الثوري

تصدر الى الامام من جديد رغم الجرح والدم، رغم افعال السجون والجلادين وغربة المنافي، ومعاناة شعبنا تحت وطأة الجوع والفقر لتستمر بخطى ثابتة في السير الى الامام دفاعا عن الحرية مناهضة لكل أشكال الاستغلال والتقتيل البطيء، المارس في حق مضطهدي شعبنا، ولتواصل النضال لتساهم في تقديم سلسل النضال الثوري على طريق الثورة الشعبية بأفق الاشتراكية.

تصدر الى الامام من جديد لتواصل مسيرتها التي رسمتها منذ سنوات من خلال خصوصيات الصراع الطبقي ببلادنا ولتواصل الكفاح حول القضايا الشعبية والقومية والاممية وعلى الجبهات السياسية والفكرية والبرنامجية... الخ وذلك من خلال

- تكثيف الدعاية الثورية من منظور وموقع الطبقة العاملة تكتيكيا واستراتيجيا وعلى أساس مصالحها ومصالح الجماهير الكادحة والمضطهدة والمشردة الآنية منها والبعيدة سواء من الناحية النظرية أو على ضوء نضالاتها اليومية الملموسة. (انظر الموضوع المنشور في هذا العدد تحت عنوان "موجز التعريف بمنظمة الى الامام".

- مناهضة الطبقات السائدة والامبريالية والحكم الساهر على مصالحها، بفضح مؤسساتهم السياسية والايديولوجية والقمعية ودولتهم ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، باعتبارهم منتجين لكل ما هو متدني ومتفسخ في المجتمع.

- الكشف عن عمالة النظام الملكي وانصياعه لأوامر أسياده الامبرياليين وتنفيذه لكل الادوار التي يطلبونها عليه وطنيا وقوميا وفي المنطقة وفي القارة الافريقية وعلى الصعيد الدولي.

- الكشف باستمرار عن طبيعة الحكم الاستبدادية واللاوطنية واللاشعبية وعن حقيقة الدكتاتورية الحسنية وجوهرها الدكتاتوري وكل ما يتبجح به من تعددية حزبية ونقابية ومن قوانين ودستور "رجعية التي يتغنى بها والتي سوف لن نبالغ اذا قلنا عليها أنها "دولة اللاقانون"

- فضح الاصلاحية بكل ألوانها وأشكالها كفكر وممارسة سياسية ونقابية برجوازية لا علاقة لها بمصالح الكادحين والجماهير الفقيرة البعيدة والقريبة، وخوض الصراع السياسي والفكري ضدها للزعزعة على هيمنتها السياسية، الفكرية، النقابية، التنظيمية على الطبقات الشعبية والكادحة باعتبارها تعطل مسلسل النضال الثوري ببلادنا وتعرقل وتشد الطبقة العاملة والكادحين عموما الى الوراء متواطئة بذلك مع عدو شعبنا: الطبقات السائدة وحكمها الدكتاتوري.

- فضح الشوفينية وعواقبها الوخيمة على مصالح الطبقة العاملة والكادحين وشعبنا عموما وعلى النضال المشترك لشعوب المنطقة ضد الامبريالية والنظام الملكي الاستعماري الجديد والتوسعي باعتبارهما العدو المشترك لشعوب المنطقة.

- التعريف بنضالات وكفاحات كل طبقات وفئات شعبنا أينما وجدت والارتباط بها والمساهمة في توجيهها وتأطيرها وطرح البرامج والاساليب والاشكال النضالية والتنظيمية الملائمة.

- المساهمة في توحيد الثوريين الشيوعيين المغاربة على أساس الماركسية - اللينينية وبرنامج وأهداف الثورة بأفق الاشتراكية ببلادنا. وعلى أساس انجاز المهام المطروحة أمامهم وفي مقدمتها بناء حزب الطبقة العاملة الحزب الشيوعي المغربي باعتبارها مهمة الشيوعيين المغاربة الاساسية التي لا تقبل التأجيل.

- المساهمة في ذكاء خوض النضالات المشتركة مع القوى الثورية والجذرية لتجاوز وضعية التهميش والتشتت وحالة الضعف لتشكيل قطب ديمقراطي ثوري يستقطب ويجذب الطاقات الثورية التي يزخر بها شعبنا وذلك بأفق بناء جبهة القوى الثورية على أساس الخطوط العريضة لبرنامج الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ببلادنا. (أنظر موضوع: موجز في التعريف بمنظمة الى الامام)

- المساهمة في خوض النضالات الجماهيرية المشتركة مع الافراد والجماعات والتيارات الديمقراطية المناضلة لمناهضة سياسات النظام في كل الميادين والقطاعات وعلى أساس المطالب الملحة والعاجلة لشعبنا في العيش الكريم والديمقراطية والحرية.

- فضح علاقات النظام بالصهيونية العالمية والكيان الصهيوني وكل الخدمات التي يقدمها لها وخياناته للقضية القومية القضية الفلسطينية وعداوته التام لحركات التحرر العربية والعالمية، مع الدعاية المستمرة للقضية الفلسطينية ولكفاحات الشعب الفلسطيني ودعمها ومساندتها اللامشروطة.

- التعريف بكفاحات الشعوب المضطهدة ونضالاتها ضد الامبريالية وعملائها والتعريف بالثورات الشعبية وبتجارب بناء الاشتراكية في العالم.

تصدر الى الامام من جديد ◄

وبلادنا تعرف تطورات خطيرة وتمر بوضعية دقيقة. نوجز أهم معالم هذا الوضع فيما يلي :

تفاقم حدة الازمة الاقتصادية نتيجة ما تعرفه الازمة الهيكلية للرأسمالية التبعية السائدة ببلادنا من مستجدات بفعل انسداد السوق الاوربية المشتركة أمام صادرات الطبقات السائدة بسبب تحقيق هذه السوق لاكتفائها الذاتي وتوسيعها ليلدان أوربية أخرى (اسبانيا، البرتغال) ونتيجة التكاليف الباهضة التي تتطلبها يوميا الحرب العدوانية التي تشنها هذه الطبقات والحكم الساهر على مصالحهم ضد الشعب الصحراوي الشقيق منذ أزيد من احدى عشر سنة تلك التكاليف التي يؤديها شعبنا قسرا من كده وعرق جبينه.

أمام هذا الوضع، لم تر الطبقات السائدة وحكمها الا المزيد من الارتماء في أحضان الامبريالية وتعميق التبعية لها واستجدائها لان تفتح لها أسواقا جديدة لصادراتها متفقدة بدون تردد لأوامر دوائرها الامبريالية كصندوق النقد الدولي والبنك العالمي السيء الذكر المتمثلة في المزيد من تخفيض الميزانيات الاجتماعية (الصحة، التعليم، النقل، السكن، الشغل...) تصفية صندوق الموازنة عبر ممارسة تحرير الاسعار تفويت القطاع العمومي والشبه عمومي (ممتلكات الشعب) للرأسماليين الكبار. تقديم تنازلات ضخمة للامبرياليين لاستجلاب استثماراتهم في شروط اقتصادية ومالية أكثر ليبيرالية في العالم، تحويل بلادنا الى قاعدة لتدريب مرتزقة الامبريالية لمناهضة كفاحات الشعوب، تسهيل عملية زرع القواعد العسكرية للامبريالية الامريكية، تخلص النظام من كل التزاماته العربية بل والعمل على تخريب الجهود الوطنية والعربية والتعامل المفضوح والمكشوف مع الصهيونية ودولتها اسرائيل الذي عرف تحولا نوعيا مع استقبال الحسن لرئيس الكيان الصهيوني بافران، كل ذلك لكي يثبت حقيقة انتماءه "للعالم الحر" والتعبير بالملموس عن ولائه للامبريالية من أجل كسب دعمها وسندها له عسكريا وماليا واقتصاديا وسياسيا بحكم عزلته السياسية افريقيا وانفضاحه عربيا..

لهذا كله بطبيعة الحال عواقب ونتائج خطيرة على حياة شعبنا، الغلاء المتفاحش للمعيشة، تجميد الاجور، تشريد الفلاحين من أراضيهم ونزوحهم الى مدن القصدير على أطراف المدن الكبيرة ليعيشوا في فقر مدقع وعرضة للضياع ولكل عاهات المجتمع المنحل، افلاس المؤسسات الصغيرة والمتوسطة طرد العمال جماعيا وأفرادا من العمل، انسداد فرص الشغل أمام أبناء الشعب بمن فيهم ذوي الشهادات العليا، انتشار البطالة انتشار المخدرات والبغاء وكل الامراض الاجتماعية، تعريض التلاميذ والطلبة للطرد من الدراسة، حرمان أغلب أبناء الشعب من حق التمدرس

بالمقابل يقوم الحكم بتقوية أجهزته البوليسية والعسكرية واعطائها الاولوية المقدسة في التمويل لكي يتمكن من مواصلة حربه القذرة التوسعية ضد الشعب الصحراوي من جهة واحصاء أنفاس الجماهير وقمعها بلا رحمة ومحاصرتها وارهابها وضرب أبسط احتجاج من طرفها ومنعها من ممارسة أي حق من حقوقها النقابية والسياسية والثقافية، ورد أية محاولة نضالية مهما كانت محدودية وتنظيم دوريات بوليسية في أكثر من منطقة وفي أكثر من مدينة للحفاظ على أمن الطبقات السائدة والبساق الرجعيين العرب الذين يحجون الى بلادنا بمناسبة أو غير مناسبة بالقوافل لتفريغ شهواتهم الحيوانية على بنات شعبنا التي يقدمها لهم نظام الدعارة في فنادق مجروسة وفاخرة. زد على ذلك مطاردة القوى الثورية والجذرية والتنكيل بها بهدف اجتثاثها والزج بها في غياهب السجون لمدد حبس طويلة تصل حد الاعدام...

في هذا الوقت بالذات وأمام هذه الويلات التي يعيشها شعبنا نلاحظ أن القوى الاصلاحية، رغم أصواتها المبحوحة والمحتشمة التي تتعالى من قبة برلمان الحكم الذي يسميها الشعب وعن حق: "برلمان الحوالة"، وفي صحفها العريقة في الانتهازية والانبطاح، حول الازمة الاقتصادية والاجتماعية المتعددة أكثر ما يمكن عن نضالات الجماهير اليومية المريرة، فهي ما تزال ملتفة حول مؤسسات الحكم (الملكية، الدستور...) وشعاراته من "الوحدة الترابية المقدسة" الى "الديمقراطية الحسنية" مرورا بـ"الاجماع الوطني" و"الجبهة الداخلية" دون أن تغفل بمناسبة أو غير مناسبة التزامها بنشر الشوفينية البغيضة وتبرير خيانات النظام الملكي وعمالته وتنسيقه مع الصهيونية والامبريالية بل ومنها من وصلت بها درجة انتهازيتها وتواطئها الى حد تقديم الحسن الخائن وسفاك شعبنا كقائد وطني مقدمة له بذلك خدمة جليلة وهو الذي يحتقرها أشد الاحتقار من خلال تلاعبه بها وبالتزاماته معها (موقفه في نيروبي بدون استشارتها بل وادخال زعماء أحد فصائل هذه القوى الى السجن، تمديد الفترة البرلمانية، فسخ اتفاقية وحدة...).

لكن نسجل وبالمقابل في هذه الاوضاع المتردية، وبمرارة، ما تعانيه القوى الثورية والجذرية من تهميش وضعف وتشتت وافتقارها لابسط نضال وحدوي في صفوف

الجماهير ولا بسط تنسيق ولا بسط نضال مشترك ولو على قضايا محددة وفي أي مجال من المجالات النضالية السياسية، النقابية، الثقافية، الجمعوية، الفكرية. . .

انطلاقا من ما تلمسناه بشكل مركز، نعتبر أن الوضعية الراهنة خطيرة ودقيقة في ذات الوقت وتستوجب من كل القوى الثورية والجدرية أفرادا وجماعات أو تيارات أو منظمات مهما كانت مشاربها الفكرية وخطوطها السياسية، شحد طاقاتها وشد عزائمها والدخول في سلسل نضالي وحدوي ومشترك لمجابهة هجوم النظام على شعبنا وتصريف أزمته الاقتصادية والسياسية على حساب الطبقات والفئات الشعبية التي لا تتردد الطبقات السائدة والحكم الساهر على مصالحها تعريضها للنهب والضياع والاضطهاد والقمع والجوع والجهل لذلك وجب على هذه القوى شحد طاقاتها لخوض نضال وحدوي من أجل فرض تلبية الحاجيات الملحة لشعبنا والتي نركزها فيما يلي :

- تحسين الاوضاع المعاشية: توقيف مسلسل رفع أسعار المواد الاساسية للاستهلاك الشعبي والزيادة في الاجور، نزع الضرائب الفاحشة والضرائب الغير مباشرة، التخفيض من أثمان الماء والكهرباء.
- مجانية الصحة وتعميمها، مجانية التعليم وتعميمه، وتوفير السكن، التقليص من الكراء وفرض الضرائب على الملاكين العقاريين وملاكي الاراضي الكبار، توفير النقل والنقص من أثمانه، توفير الشغل للجميع، وتوقيف الطرد من العمل والدراسة. . . .
- توقيف تشريد الفلاحين من أراضيهم، وفرض مطالبهم الملحة في الارض والماء. . .
- مناهضة استبداد السلطات بمختلف أشكالها، وفرض ممارسة الحقوق النقابية والسياسية، الحريات الجماعية والفردية: حرية الاضراب التظاهر، التجمع، التنظيم، الصحافة حرية التنقل وممارسة الانشطة الثقافية والسياسية والنقابية.
- اطلاق سراح المعتقلين النقابيين والسياسيين المدنيين والعسكريين وعودة المنفيين الى أرض الوطن بدون قيد ولا شرط. . .
- مناهضة التواجد الامبريالي بكل أشكاله العسكرية والاقتصادية ببلادنا.
- مساندة الجماهير المغربية في سبتة ومليلية في نضالاتها ضد مخطط التجنيس الذي يمارسه عليها الاستعمار الاسباني وفضح تواطؤ النظام الملكي معه، والنضال لدعم تلك الجماهير من أجل تحرير سبتة ومليلية والجزر الجعفرية.
- فضح خيانة النظام للقضية الفلسطينية وعمالته للصهيونية.
- تطبيق استفتاء حر في الصحراء الغربية تحت وصاية منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة وفقا لما نصت عليه هتين المنظمتين من شروط الاستفتاء. .

*

أمين:

التحية الحارة

أيتها الجماهير، أيها الرفاق حيوا بحرارة، حيوا أمين الامانة ورفاقه، حيوا الريف وجباله، حيوا الشموخ، حيوا الوفاء. يا أمين، يا سيد الجلادين، وصيتك أبدية، دعوتك محفوظة في بطون الجائعين ومكتوبة في قلوب الفقراء والكادحين والعاطلين وكل الرافضين، حيوا الطمنة المولمة، حيوا أمين الجماعي. هذا شهيد الاطفال والعاطلين يبشر بغناء الطبقات وموت العملاء، وفوق ذلك رمز لشموخ الريف وثورة الريفي وعظمته، كنت والماركسيون اللينينيون معا، تؤكدون هوية الفقراء في القدس والبيضاء وطهران وعمان وصنعاء. تحلمون بالخبز واللعب لكل الاطفال بالعمل للعاطلين والمدرسة والسجل لكل المواطنين والقضاء على الاستغلال أبد الآبدين. يتوهم من يحاول قتل الحلم فينا، يتوهم من يريد استئصال العشق من أعماقنا. نعم تكلم فينا، ضد جراحنا. باشهيدنا انطلق فينا وغن: نموت في المنافي فستشهد في المقصلات، نحيا في الصواعق، نحتفل في الانتفاضات بقرب خلاصنا ولا نرضخ. نحتفل في الزنازين، في الشوارع في الأكواخ ومدن القصدير رغم المخبرين نغني، بقدر ما نعاني نحب، بقدر ما نموت نعشق، نعشق قدر دمائنا ولا نركع، نحب قدر عطائنا ونواصل المسير ولا نبخل. .

أيتها الجماهير، أيها الرفاق اناثا وذكورا حيوا بحرارة، حيوا أمين الامانة ورفاقه، حيوا الريف وجباله حيوا الشموخ والوفاء.

*

ذكرى الشهداء والتضحية

تمر الأحداث ، ويبقى التاريخ حيا ناطقا ضد كل التشويهات ، مرت انتفاضة وجاءت أخرى ، وتلتها انتفاضات ، بالأمس انتفض شعبنا ضد المستعمر ، يواجه كل التحديات ، اليسرى الجديد كان الانتصارات ويواجه بالحديد والنار كل الطموحات ، فجاءت انتفاضة الريف 59 ، فجاءت انتفاضة مارس 65 وتلتها انتفاضة يونيو 81 ويناير 84 ويشتعل الوطن شهداء وانتفاضات ، وبين انتفاضة وأخرى نشهد تحديا وتطاولا لشعبنا الماثل يغالب الآلام التي فرضها العدو الطبقي ، ويحل موسم الرفض للجوع والخبث والمساومة على قوت الجماهير الكادحة وحقها في الحرية والكرامة والعمل ، وتحل ذكرى الشهداء ..

ذكراكم اليوم ، نشرانا ، يا أحباء القلب والوطن تتدفق ينابيع صخرية في رفضها للتجويع وللتمييع والقمع والمسخ والتشويه ، تتدفق أعاصير وجيها لتغرق جلادينا سيغرق مستغلونا وداحونا في بحار الدماء الزكية التي هدرها رصاص الجنود الطائش ، لتشيع جنازاتهم الخجلة الى خارج ذاكرة الوجود الانساني ، الى مزبلة التاريخ مع كل النفايات التي عرفها المجتمع البشري ، والى الموت الأبدي .

ذكراكم ، صمودكم ، بشراكم ، دماؤكم تفجر في احضان شعبنا براعم أزهار الحلم واليقظة والحضور الدائم ، وانتم يا هؤلاء لسجناء ، والمخطوفون ، والمحكومون بالاعدام ، بالمقصلة أو رميا بالرصاص في الساحات العامة والغابات حيث لى بكم السجون ويحيل بكم الوطن المتحول سجنا كبيرا ورفضا وتحديا أكبر مما يظنون أينما توجهت بنا شرايك كل الأمكنة قابلة لان تصبح كلها مظلما وسجنا صغيرا .

يا هؤلاء الشهداء يا أحباء قلبي ووطني ترحلون نحو فجرنا القادم ، اعداؤكم استشعاداكم دماؤكم نبراس يضيء مسيرة حمراء طويلة ويجدد حركة شرايينها ودمائها ، فلتشهد الشعوب أننا لا نملك الا حلما بسيطا جدا أن نحيا أحرارا في وطننا ، وأن يكون وطننا وطن الشرف والكرامة والعمل للجميع .

ما تشاؤون يا رفاق مسيرتنا الحمراء من هذه الذكرى تستأنف ، مخلدون انتم بيننا ازليون نحن معكم على العهد باقون مع شعبنا حتى ننتصر ، هذا يتم دماءكم الساخنة للاعصار للغواشي للطوفان للوطن الحالم ، الذي يأكل لحم فقرائه ويكاد حبه أشباه البشر ، تحدون دماءكم لصاعقة قامت ولسوف تقوم ، تكون احرارا في وطننا او لا تكون ، تحملنا الذكرى ، تحملنا الدماء الى حيث نقف جميعا صفا واحدا في خندق الشعب حيث تكابد وتعاند ، الى حيث نقف نقاوم دون ان

نساوم ، حيث نؤسس لذكرى انتفاضات شعبنا عيدا ، ونبني وطنا من جديد ، يعود القريب والبعيد ، ويحرر الصفصي والسجين ونلون علما باللون الأحمر الذي نريد ، انا أقسمنا يماضي شعبنا المجيد ، ودماء اطفالنا الجوعى ، الثائرين بين طلقات الأوغاد ، انا أقسمنا بدماء شهدائنا ان نؤسس لذكرانا في مارس وحزيران وكانون المجيد ، هذا عيدنا الآتي ، عيد الشهداء والأطفال والأرامل والثكالى والمخطوفين والمقموعين والطلاب والتلاميذ وكل المحرومين والمحرومات ، والكادحين والكادحات والمستغلين والمستغلات ، عيد العاطلين والعاطلات والعمال والعاملات والفلاحين والفلاحات .

انا اقسمنا بكرامة شعبنا ودماء شهدائنا أن نحطم عاتقي مأساتنا ، من مستغلينا وجلاديا ، نحن ارتبطنا بجراح شعبنا ، وعبر الدماء والجرح واقمر توحدنا ، وعبر التكبل والفناء صمدنا للردى ، وعبر ظلمات السجون وزنوبتها واسلاك الزنازين تعودنا بلحمنا وعظمنا ، هكذا نحن ابناء الشعب الشرعيون في العطاء سواء ، هكذا نحن لا نبخل بقطرة من الدماء ، لأننا اقسمنا بشهداء شعبنا أن يصبح لنا عيد ، ووطنا ، نبنيه بحبنا ، بلحمنا ، بعظمنا ونسقيه بدمائنا الثوارة وطنا للحب والعشق للطمأنينة للجميع ، وهذه لن نحيد والبيناء لن نحيد .

شعبنا لا يرثي شهداءه ، ولا يبكيهم بل يحطم ويحمي دماءهم ، لا لن نبكي الشهداء هكذا علمنا شعبنا الصامد ، لا وقت للبكاء ، نتعلن صباحا ونقول صباح الشهيد أيها الشهداء ، صباح الشهداء أيها المعتقلون ، كم مضى ؟ ثلاثون يوما ؟ اربعون ؟ نعم تودعنا السعيدة باكرا ، وعلى شفتيها ابتسامة الفخر والاعتزاز والصمود ، كم مضى ؟ خمسون ؟ تشع وخمسون يوما ، يسقط الشهيدان ويدخل السجناء في غيبوبة اضراب عن الطعام هنا واضراب هناك ، الاعلام سكوت رهيب ، الاعلام "الوطني" "الصحافة الديموقراطية" تلبس بدلة وتعلن في برودة قاتلة ، وبنبرة التواطئ المقيت "موت شابين" !! ، يا للمعزلة ويا للسخافة ...

الشهيدة الأولى ذوق جديد ونعلن جديد ، واعصاب من فولاذ وحديد ، وطريق في النضال عريق ومديد ، الشهيد الثاني تضامن منقطع النظير ، الشهيد الثالث .. الارض تعرف ، والطريق تعرفه ، والشعب أحق بالمعرفة ، قافلة النضال تسير محفوفة بالدماء والشهداء ، عصر الشهادة وزمن الولادة أقبل ، يا مرحبى عصر الثورة والتغيير الجذري أقبل ، صوت الجوقة يرتفع ، نباح الكلاب المصعوقة يرتفع ، صراخ المعلمين البرجوازيين

الصغار الفاشلين يتصاعد في سوق المزاد السياسي العلني المفلس لترويج بضائع كاسدة "لا تغيير بدون انقلاب ولا انقلاب بدون ديموقراطية" يعني بصورة أوضح "انقاذ نظام الاستعمار الجديد و البرجوازي الكمبرادوري المتآكل من الانهيار ليتعبر المسار المستعار" .

كم تناوروا لاخفاء دمائكم يارفاقي الشهداء المعروفين والمجهولين "كم حمى وطيس الحرب الكلامية والمزايدات الانتخابية بين الجوقة المتكالبة على دمائكم لتخفيفها "وهل يستطيعون بتراهاتهم واوهامهم اخفاء شمس الحقيقة التي يمتلكها شعبنا . انهم يا رفاقي قردة تنط بين المغالطات لتسمم الاجواء وذر التفاهات في الادمغة "اسلحتهم مفلولة وليس باستطاعتها ايقاف الزحف الأحمر القادم من أعماق شعبنا الصامد " دلكم الزحف الذي يعصف بالعروش ومكوري الكروش والمرتدين والمتخاذلين وبائعي ضمائرهم والمتاجرين في أعراض الاخرين .

كم مضى من الدهر؟ في أي عام نحن ؟ نحن زمن الاستعمار الجديد "مذابح 65 زمن قتل المناضلين واختطافهم منهم المعروفون والمجهولون "تعلن الاذاعات اختطاف المهدي بنبركة . ومن اختطفه ؟ من صفاء ؟نحن زمن اغتيال الشهيد عبد اللطيف زروال وأمين النفاتي وعمر بن جلون وكرينة ومنتصر بريير "عهد الاعدامات الجماعية لضباط الجيش"...

نحن نعيش مساء القهر والفاشية البورجوازية "نحن في عصر "المسلسل الديموقراطي" و"تقوية الجبهة الداخلية" وعهد " السلم الاجتماعي" و"الوحدة الترابية" و"انتخاب الملك الجديد" والطغاة الجدد والقدامى ...

يا جوقة الحسن ... هؤلاء شهداؤنا انكروهم باسم "المسلسل الديموقراطي" وتحت أية يافطة شئتم ،اسقطوا اسماءهم من جرائدكم وحساباتكم المغلوطة ،كما تشاؤون .. سيان عندنا هذه الصحف لا تذكر أسماء الشهداء ولا تمجد الدماء أي الاحزاب أنتم ،تكذبون علينا ،تناورون باسم الشعب وتقتلونه ،تبيعونه مقابل مقعد في اصطبل داوود أو اصطبل البرلمان ، وتدجنونه من أجل المؤتمرات والزيارات الصهيونية التي تدنس تراب وطننا الطاهر دعاة الهزيمة أنتم وزارعوا اليأس في صفوف شعبنا الكادح .. تزفون مواسم الخيانة

العظمى والارتخاء والتخاذل والمتاجرة بقضايا شعبنا الاساسية .. تعانقون الجلادين والاعداء الطبقيين الالداء .. تزفون لنا مناسبة الانتخاب كأنها ثورة على الاستغلال أي فوضى هذه .. مصيرنا أيها السادة لا الاقزام مربوط بشهدائنا وبدمائنا ومعتقلينا السياسيين ولسنا بحاجة الى تراهاتكم .. نحن عميان كما ترونا ولا حاجة لنا بعيونكم المخادعة التي ترى "الديموقراطية الحسنية" نضالا شعبيا ؟للديموقراطية عندكم لون "حسني" و "ملكي وكومبرادوري" .. وللديموقراطية عندنا طعم الاستشهاد .. للحرية عندكم لون الانتخاب والوصول الى سدة الوزارة . وللحرية عندنا ألم المخاض ولون الدماء الزكية الطاهرة .. سنبقى كما كنا نحيا ، نرتبط بشعبنا ،نتألم بألمه ونفرح ونسعد بفرحه وسعادته وانتفاضاته .. سنظل أبدا مرتبطين بشعبنا شهداء مناضلين ثوريين ،وهويتنا المبدئية ماركسيين - لينينيين مغاربة .. نستشهد سعيدة ونصعد زروالا أمينا شهيدا وبكل البساطة وبمنتهى الوضوح ،سنناضل ونستشهد متزرولين واميين ونترحل عبر جراح الوطن منتصرين ،وريديين ،وبشواريين الى أن تتحقق الحرية والكرامة والديموقراطية الشعبية للجماهير الكادحة على طريق الثورة الاشتراكية . وعهدا لدماء الشهداء عهدا ،هذه طريقنا ،قضيتنا وطننا .. ستعبر النجوم صعاليك معاندين ،والاجرام كوكبا كوكبا متناثرين ،وحبات رمل الارض حبة حبة . ونحمل الاطفال والجوعى والمطرودين من المدارس والمستشفيات والمعامل ومن الأرض،ومن حق الحياة والدعة والطمأنينة على اكتافنا نمشي على هويتنا ،كادحون وكادحون وفقراء - ونمسك بقبضات قلب وطننا عاليا ونرفعها .. ومن خط الشهداء والمعتقلين المتمسكين بالمبدأ والعهد لن نحيد ، نواجه الغزاة والفاتحين الجدد والاعداء الطبقيين البغاة ،ونقسم بالسواعد المسروقة ألا نسامح او نتحمل دهاليز ومتاهات الجوقة والمتخاذلين من اصلاحيين ورجعيين .ونقسم بعرق كل الكادحين ونظرة الامل المسروقة من عيون الامهات والاطفال الذين يرقبون بعيونهم البريئة غبرة الدقيق المختفي من أرض الوطن ألا تحيد .ستعبر المشانق مشنقة مشنقة ، ونسكن المدارس المهجورة والمصانع المعطلة والاراضي المسروقة والسجون بكبرياء . وتتحدى الجلاد بعناد . ستتحدى الاعداء الطبقيين في كل أقطار الارض "أوباشا" في الشوارع والمداشر والقرى والبوادي . طريقنا طويل ونفسنا أطول ،طريقنا واحد وشعارنا واعد .نمسك بأيادي الشعب الكادح وننبش ونحفر قبر كل المستغلين الطغاة .لن يحدنا عن الانتصار الأكيد لا نعش ولا كبش ولا عنزة.

رفيق زروال *

= المعتقلون السياسيون المغاربة :

في مواجهة سياسة التدمير الإنساني لنظام الحسن الاستبدادي

ان ما يمارس على المعتقلين السياسيين المغاربة منذ قمع يوم من طرف اجهزة النظام الملكي الاستبدادي ، ا د ا رة السجون كادارة و مؤسسة قمعية ، له ابعاد متعددة و مترابطة خطيرة يمكن تقديرها بانها لاتقف عند حدود القمع المادي المباشر و المتواصل ، بل يتجاوزه الى ماهو اخطر ، الى ما هو انساني و بذلك تصبح الهوية الانسانية للسجين السياسي عرضة للتدمير و الهلاك اليومي المتواصل ايضا .

فاذا كان النظام بتسخيره لكل مؤسساته القمعية ، يمارس سياسة عزل المعتقلين عن العالم الخارجي ، بعد وضعهم و را ء القضبان مبعدا اياهم عن ممارسة اجتماعية متعددة الميادين و الا شكال و الاماكن والاوقات ، و عزلهم عن بعضهم بتسليط كل اشكال و اساليب القمع عليهم و على عائلتهم و تعريضهم للا ستفزاز اليومي و الانتقام منهم و فرض عليهم نظاما حياتيا قاسيا و محددا لترويضهم و تركيعهم و تطويعهم امتدادا لسياسته ضد المضطهدين و الكادحين عموما راهنا في ذلك على عامل الزمن و مدد السجن الطويلة ، فهو ايضا و بذلك يستهدف تدمير هويتهم الانسانية بكل ما تتميز به هذه الهوية من نشاط و حيوية و ابتكار و انتاج و ابداع فكري و روحي و غيرها من مقومات الانسان المناضل . كل ذلك لتحويلهم الى اناس سلبيين في الحياة ، يقضون ما تبقى من حياتهم في وضعية التدمر و الضياع و فقدان التقة في النفس و في الكادحين .

ان سياسة النظام هاته ، مدروسة و مخططة للغاية و يمارسها بوعي استبدادي واضح ، و يكون اطرا له لتسهر على تنفيذها في ادق تدقيقاتها داخل السجون التي يسميها في المحافل الدولية و في كتاباته الاعلامية و الرسمية بمؤسسات اجتماعية تربوية مقامة لاعادة اصلاح الفرد ولاعادة دمجه في المجتمع . فاذا تجاوزنا الجمال السطحي لهذه العبارات ، يمكن فهم مضامينها حينما نعرف ان لكل طبقة منظورها للتربية و الاصلاح و اعادة الدمج و المجتمع ... الخ .

فبالفعل ، ان النظام يريد و يهدف "اصلاح" هؤلاء المعتقلين السياسيين حسب طريقته و منظوره ، اي ترويضهم و تركيعهم و تطويعهم و اقتلاع مواقفهم و افكارهم و معتقداتهم و مشاريعهم التي تشكل خطرا عليه ، من جذورها للوصول بهم الى الاستسلام و الاقرار بهيبة السلطة الملكية الاستبدادية القائمة و مؤسساتها و اعادة دمجهم في مجتمع مبني على الاستعباد و الاخضاع و الانصياع للاوامر كما يفهمه النظام الملكي الذي يرفض اية فكرة او حركة يشم منها رائحة الرفض او التمرد و الثورة و النضال بهدف الاستسلام الى قواعد المجتمع المخزني البرجوازي .

ان هذا المخطط يمارس ضد المعتقلين السياسيين بمنهجية و في كل لحظة يقضونها في دهاليز الحكم الديكتاتوري ان المعتقلين السياسيين و معهم عائلاتهم باعتبارهم هم المستهدفين المباشرين بهذا المخطط ، يدركون جيدا طبيعته و تلاوينه و تفرعاته و منطقه و هم بالتالي يخوضون ضده صراعا يوميا مريرا و في كل لحظة من حياتهم . قد يصل هذا الصراع الى ان يتجسد في شيء حياتي دقيق جدا لان هذا الشيء رغم بساطته يأخذ معناه الهمجي كجزء لايتجزأ من سياسة تدمير الهوية الانسانية للمعتقل . و قد خاض و ما يزال المعتقل السياسي نضالات متعددة الاشكال و الاساليب لمقاومة هذا التدمير في ادق اشكاله و تعرجاته . و مجرد نضالهم و مقاومتهم ضده يعتبر في حد ذاته فشلا ذريعا للحكم في الوصول الى مراميه و اهدافه الهمجية وانتصارا لهم عليها مجسدين عاديا و صمودا رائعين و تشبثا قويا و عميقا بهوية الانسان المناضل الخلاق و المبدع و المبتكر و متدفق الحيوية و الدائم العطاء ...

و تعزيزا منا لهذا النضال و الصمود و المقاومة و التشبث بمقومات الرفض و النضال و الايمان بالمستقبل ، الذي يجسده المعتقلون السياسيون ، و مساندة منا لهذه الكفاحات التي يخوضونها ضد مخطط الاستعباد و التطويع و التدمير بصفة اشمل في قلاع المنافي تلك التي تحولت الى قلاع النضال و المقاومة ، فاننا مطالبين بالشيء الكثير ازاء السجناء السياسيين المغاربة .

و مما لاشك فيه بان ما قامت به القوى الديمقراطية المناضلة و الهيئات الانسانية و القوى الجذرية و الثورية ببلادنا و خارجه و ما ستقوم به من مساندة مادية و معنوية و انسانية ، له كبير اثر عميق في هذا الصراع ضد ابادة هوية المعتقلين السياسيين الانسانية .

غير ان القضية ما زالت قائمة و ما زالت تتطلب الدعم و المساندة و تنسيق الجهود بين كل الطاقات المناضلة و هيات ديمقراطية و انسانية افرادا و جماعات لتحضيد المعتقلين السياسيين و عائلاتهم في كفاحهم المرير بافق انتشالهم من بين المخاليب المسمومة لنظام متغلغل في الانتقام من المعارضين السياسيين و النقابيين اي نظام الديكتاتورية الحسنية الجاثم على صدر الشعب المغربي .

*

حياة خائن: الحسن الثاني

ان زيارة شيمون بيريز الوزير الاول للكيان الصهيوني ولقائه بالحسن في ايفران ليس سوى حلقة (وليس بد التتويج) لثلاثين سنة من الخيانات المتتالية. اننا في هذا الموضوع، سوف نحاول التعرق بشكل خاص الى جذور ومنطلقات هذا المسلسل اعتبارا لعدم العلم الاجيال الجديدة بها.

ولفهم اسس هذه الخيانات، لا بد من التذكير بان تربية الحسن كانت ومنذ بدايتها تحت اكبر الكوادر السياسية للامبريالية الفرنسية واكثرها رجعية. وفي هذا الاطار نذكر بان جزءا من دراسته تم بالمدرسة البحرية الحربية الفرنسية، قلعة التيارات الاكثر رجعية والاكثر عنصرية داخل البرجوازية الكبيرة الاستعمارية الفرنسية. اما الجزء الاخر من دراسته الجامعية، فقد تم بكلية الحقوق بمدينة بوردو، المركز التاريخي لهذه البرجوازية الاستعمارية، حيث تمدرس على يد الاستاد فيديل - كما يحلو له التذكير بذلك - احد كبار اساتذة الحقوق الرجعيين بمدرسة الحقوق الفرنسية البالغة الرجعية.

نتيجة هذا التكوين وبالاضافة الى ارثه للتاريخ الدموي للاقطاع المغربي، تشبع الحسن في نفس الوقت بالحقد الطبقي الشرس للبرجوازية الكبرى الفرنسية، وبالتقاليد الدموية للاقطاع المغربي والبرجوازية الاستعمارية الفرنسية. وعلاوة على كل هذا، تطبع بالحقد العنصري والعجرفة الملازمين للمستعمر الغربي اتجاه الشعوب الخاضعة لسلطته وخصوصا اتجاه الشعوب العربية، متأثرا في نفس الوقت بذلك الاستيلاب من طرف الغرب الذي جعله يتمنى خلال زيارته لفرنسا في نونمبر 1935 ان يكون عميدة باريس ويتباهى في نفس الوقت بحصوله على شهادة مواطن شرفي لمدينة سان جرمان ديبي الارستقراطية وبدوره كمحسن لجمعية اصدقاء الكسندر دوما (فاليها تحمد "ثقافته"!).

فلنتفحص الوقائع، او على الاقل بعض المعالم البارزة لحياة الخيانة هذه:

1- عين الحسن، وهو لايزال شابا، عضوا في اللجنة الادارية للشركات المراقبة من طرف نواة الشعب الاستعماري لبلادنا ساوميوم الشمال الافريقي - وتلك قبل توسعها وتحولها الى نواة نهب كمبرادوري تحت الرئاسة المشتركة للحسن ودافيد عمار. فانذاك، كان "صاحب السمو الملكي الامير مولاي الحسن" (اي في بداية الخمسينات) عضو اللجنة الادارية للشركة المعدنية بوعازر وكرارة بجانب الخائن المعروف، الحاج التهامي الكلاي ومطلي بنك باريس والبلدان المنخفضة ورجل الاعمال المغامر "ايبنار". هذا المنصب الذي سيحتفظ به الحسن حتى مايعد عشية 1953، اي الى حدود 1956!

2- وهو رئيس اركان القوات العسكرية التي لم تكد تتأسس بعد، سيذهب الحسن، في حالة استعجال، في شهر يوليوز 1956 الى مدينة اكادير لينظم برفقة الجنرال الفرنسي كوني، احد قدماء الحرب الاستعمارية في الفيتنام، ورئيس الجيش الاستعماري الفرنسي بالمغرب عملية القضاء على جيش التحرير بالجنوب وافشال الاضراب العام لسكان منطقة سوس، وذلك لتمكين الجيش الاستعماري الفرنسي من منفذ لآلياته الحربية باتجاه تيندوف قصد محاصرة جيش التحرير الوطني الجزائري الذي يكافح ضد السلطة الاستعمارية الفرنسية!

وفي شتنبر 1956، صرح نفس هذا الحسن في استجواب مع جريدة لوموند: "ان الجيش الفرنسي هو حليف الجيش المغربي"، هذا في الوقت الذي كان فيه الجيش الفرنسي يقوم بتقتيل وتعذيب اخواننا المقاومين الجزائريين وكل الشعب الجزائري المكافح من اجل استقلاله!

3- وسيطبق الحسن بالحرف هذا التصريح بعد اقل من شهر، عندما سيعمل وبتواطئ مع المخابرات الفرنسية، على اقناع ابيه محمد الخامس بالتراجع على الركوب كما كان مقررا في الطائرة التي كانت ستقله صحبة قادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية، من عنجة الى تونس لحضور ندوة بلدان المغرب العربي، الامر الذي مكن من قرصنة الطائرة واعتقال بن بلة ورفاقه من طرف الامبريالية الفرنسية.

4- نفس هذا الحسن سيقوم في فبراير 1958، وهو رئيس اركان القوات المسلحة الملكية بالزحف على مدينة كوليمين ليقطع طريق التراجع على جيش التحرير المغربي بالجنوب، المنسق من طرف الجيش الاستعماري الفرنسي والجيش الاستعماري الاسباني في الصحراء الغربية في اطار الحملة المشؤومة ايكوفيون. وقد قام وزير الدفاع الوطني انذاك، احمد اليازدي، احد كبار البرجوازيين الكمبرادوريين والشخصيات البارزة والمعروفة داخل حزب الاستقلال، بتوضيح وتأكيد هدف تحرك القوات المسلحة الملكية هذا.

5- بعد مرور ستة بالضبط، اي في فبراير 1959، سيقوم نفس هذا الحسن، وبرفقة خادمه وشريكه في الجرائم، اوفقير، بالاشراف المباشر على تقتيل وذبح نساء واطفال القرى الريفية المنتفضة من اجل حقها في الحياة ودفاعها عن شخصيتها، وهذا بالذات في المناطق التي شكلت ثلاث سنوات فيما قبل، قاعدة جيش تحرير الشمال، تلك المنطقة التي كانت نفسها قلب حرب الريف المجيدة تحت قيادة البطل الوطني محمد بن عبد الكريم الخطابي. والحقيقة ان التاريخ الكفاحي لهذه المنطقة، كان ايضا ما لم يقبله الحسن الذي لم يتردد في كتابه "التحدي" على ابراز حقده وكراهيته ازاء البطل عبد الكريم، ثم في خطابه التاريخي يوم 22 يناير 1984، حيث كشف عن كل حقده الوحشي والعميق ازاء سكان الريف الابطال.

6- لم يكد ينتهي الحسن من هذه المذبحة، حتى كرس كل جهده ليصبح المحرك السياسي الاساسي لحملة العرقلة والتحطيم الموجهة ضد الحكومة التقدمية لعبد الله ابراهيم، الحملة التي اعلنتها المصالح الاقتصادية الفرنسية بالمغرب لافشال الرشية الخجولة لهذه الحكومة في الاستقلال الاقتصادي. وستؤدي هذه الحملة الى شل الحكومة والى اقالتها في ماي 1960 من طرف محمد الخامس واقامة حكومة سيقودها الحسن بنفسه

◄

مخلفا بشريكه رفي كُديرة، وهذا يهدف تجميد ثم قلب مختلف الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التقدمية المتخذة الاولى للاستقلال.

7- سيموت محمد الخامس في فبراير 1961 تحت تاثير التسمم العام الذي اجري له في اطار عملية جراحية بسيطة بالانف، هذا في الوقت الذي اعلن فيه نيته في التراجع على تجربة الحكومة التي تراسها ابنه. هذا الابن الذي سيحبر احد استجواباته الغربية مع التلفزة الفرنسية، بضعة شهور بعد محاولة انقلاب 16 غشت 1972، على شعور معاكس لما يمكن ان يخلفه اثارة حدث من هذا النوع.

ان تطور البرجوازية الكبرى المغربية في اتجاه التداخل الوثيق مع الامبريالية ومتطلبات الاستعمار الجديد في افريقيا ومصالح الصهيونية... جعلت من موت واختفاء محمد الخامس شيئا مناسب بل ضروري. ولقد كان الحسن الثاني الملك الملائم الموهل لحماية هذه المصالح التي ما لبث ان حققها.

8- وبمجرد تولي الحسن للسلطة بادر الى الاتفاق مع الامبريالية الامريكية والصهيونية لتنظيم التهجير المكثف لليهود المغاربة الى الكيان الصهيوني. فمنذ 1945، وبدعم من الاستعمار الفرنسي والبرجوازية الكبرى اليهودية المغربية، اقامت الصهيونية بشكل تدريجي بالمدن شبكة لتاطير الاطفال والشباب اليهود المغاربة، مستفيدة من غياب جواب جدي على الاشكالات الخاصة بهذه الاقلية الثقافية المغربية من طرف الحركة الوطنية المغربية. فبالعكس، وعلى هامش مفاوضات ايكس ليبان في 1955، اتفق ممثلو الحركة الوطنية مع الموفدين الصهاينة على تهجير 45000 يهودي مغربي. كما استغل الصهاينة بشكل كبير صعوبات الفترة الانتقالية للشهور الاولى للاستقلال الشكلي لافراغ العديد من القرى اليهودية بالاطلس وبالجنوب بشريحة فجة وعنيفة. بل استمر معسكر صهيوني للتهجير في عمله الى حدود 1959 حيث قررت الحكومة المغربية حله. وفي 1961، ساهم المآزق الذي وصل اليه الاستقلال الشكلي في انضاج الشروط التي سمحت بالتهجير الواسع لليهود المغاربة الذين سلمهم الحسن والبرجوازية الكبرى اليهودية المغربية مقابل دولارات المساعدة الامريكية، لتصميم حرب الكيان الصهيوني من جهة وكقوة عمل بخسة من جهة اخرى. وقد اخبرت بذلك جريدة نيويورك تايمز في غشت 1961.

9- وبطلب من بنك باريس والبلدان المنخفضة، سنة 1962، الذي كان يرغب في تحويل انشطته نحو المتطلبات الاستراتيجيات الجديدة، أمت الحكومة المغربية "الصانعة الكهربائية في المغرب" (التي تحول اسمها الى "الشركة الوطنية للكهرباء") و"السكة الحديدية في المغرب" (التي سميت بـ "الشركة الوطنية للسكة الحديدية") وفقا لشروط هذا البنك الامبريالي، معوضة (اي الحكومة) النهب الذي مارسته هاتين الشركتين طوال نصف قرن طيلة.

وقد قدم هذا الاقتراح الحسن الثاني بنفسه الى محامي البنك، صديقه القديم واحد كبار الرجعيين، المحامي الباريسي ايزار.

10- في نفس هذه السنة، وبمقتضى ظهير، ستوضع عملية بيع اراضي المعمرين تحت الاشراف المباشر للقصر الملكي الامر الذي سيسمح للحسن بالتفاوض مع اصدقائه من ممثلي الراسمال الفرنسي الكبير (بنك باريس والبلدان المنخفضة اب جيسكار ديستان، بنك روتشيلد) من اجل تحقيق تحويلات مربحة للممتلكات التي سيحتفظ باحسنها لنفسه وسيمثل الظهير الاداة الحاسمة لاستراتيجية اقتصادية وسياسية سيعمل على حبكها الحسن الثاني مع اقرب مستشاريه (الفرنسيين وهمزة الوصل الفرنسية المغربية، كُديرة) لاقامة البنية الاستعمارية الاقتصادية للمؤسسات الامبريالية الفرنسية الكبرى داخل السوق الاوربية ("السياسة البحر المتوسطية" المشهورة).

11- واذا كانت الواجهة الاولى لهذه الاستراتيجية هي الاستغلال المتفاحش للمناطق الصغيرة في البلاد المخصصة للزراعة المكثفة للمنتوجات الفلاحية المكملة لحاجيات السوق الاوربية فان الواجهة الثانية المرتبطة مع الاولى على كافة المستويات تجلى في تنظيم الهجرة المكثفة لفلاحي المناطق الاخرى وفلاحي الجبال والمرتفعات المجاورة التي دمرتها الهيمنة المتصاعدة لنمط الانتاج الرأسمالي الذي يهدف الى الاستجابة لحاجيات الشركات والمؤسسات الصناعية للسوق الاوربية المشتركة من يد عاملة بخصوخاضعة. فلهذا السبب وخلال الفترة الاولى من حكم الحسن، عرفت هجرة العمال المغاربة نحو اوربا الغربية تصاعدا مفاجئا: منتقلة من بضعة الالاف الى عشرات الالاف سنويا! سيصبح الحسن والطبقات السائدة في المغرب "نخاسة" القرن 20 (اي تجار لعبيد "لسوق السيد"، تلك لصنعة "الجيدة" للراسمالية الصاعدة، - من القرن 16 الى القرن 19-، ثانيا يمون بالنخاسة.)

12- في هذه السنة نفسها، كلف الحسن حقوقيين رجعيين فرنسيين بتهييء القانونين الجائرين الممثلين من جهة في مسطرة القانون الجنائي (والتي ادخلت من بين ما ادخلت الاعتقال الاحتياطي لمدة غير محدودة) ومن جهة اخرى في "الدستور المغربي" لسنة 1962.

13- سيعرف صيف 1963 توقف نشاط الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي كان يقوده المهدي بن بركة، بفضل الاعتقالات الواسعة في يوليوز من هذه السنة، وبفضل تعميم التعذيب في المعتقلات السرية التي اشتهرت منها دار المقري بالرباط. وفي نفس في نفس المدة تم اعتقال بطل المقاومة شيخ العرب من طرف شرطة الحسن الثاني بالدار البيضاء.

14- في نهاية اكتوبر 1963، استقر الحسن الثاني بمدينة مراكش لينظم العدوان العسكري على مدينة حي البيضاء ضد الجزائر الشعبية الفتية، بهدف عسكري: احتلال تندوف، واساسا بهدف سياسي: اسقاط السلطة الجزائرية التقدمية والمناهضة للامبريالية، بقيادة بن بلة انذاك. وقد تزامن هذا العدوان مع انتفاضة داخلية في منطقة القبايل. غير ان هذه المؤامرة المرهبة من طرف الامبريالية الفرنسية والامريكية ستفشل بفضل مقاومة الجيش الجزائري رغم شروطه العسكرية الصعبة. وكجواب على هذا الاعتداء، كان النداء التاريخي الذي وجهه البطل والشهيد المهدي بن بركة عبر اذاعة الجزائر، منديا بالانتفاضة والتمرد على النظام الخياني للحسن الثاني وللاخاء بين شعوب المغرب العربي ومناهضة الامبريالية.

15- لكن الحسن سيناور وسيستعمل القيادة اليمينية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية واساسا عبد الرحيم بوعبيد، لتجميد الحركة الجماهيرية وتهييء اغتيال المهدي بن بركة في الشهور الاحقة. فلقد كان المهدي يشكل فعلا، بنشاطه واصراره كقائد ثوري للشعب المغربي وشعوب العالم الثالث، خطرا على النظام وعلى الامبريالية. ولقد كان اغتيال المهدي عملا مشتركا لقتلة الحسن الثاني، اوفقير والدليمي والشرطة السرية المغربية من جهة، والمخابرات السرية الامبريالية الفرنسية بمساعدة "ب.ك" والموساد الصهيوني من جهة اخرى.

هذه هي أهم الجرائم والخيانات التي أقدم عليها الحسن منذ صغره الى حدود السنوات الاولى من حكمه والتي توجها باغتيال البطل الشهيد المهدي بن بركة وما دام التاريخ الحديث للخيانات والجرائم الدموية راسخا في ذاكرة شعبنا فاننا سنكتفي هنا بالتطرق للادوار البارزة التي لعبها الحسن كعميل للامبريالية وشريك للصهيونية في العالم العربي وفي المنطقة منذ 1966، تاركين جانب دوره الدموي والمستمر في اطار بيعه لبلادنا وشعبنا للمصالح الامبريالية.

الحسن عميل الصهيونية العالمية وعدو الشعب الفلسطيني

فكان ابرز حدث خلال الفترة الممتدة ما بين 1966-1970 لقاء الحسن مع الزعيم الصهيوني ناحوم كولدمان بقصر

الرباط في سنة 1969 · نذكر هنا بأن كولدمان كان آنذاك رئيسا للمؤتمر اليهودي العالمي ،المؤسسة العلنية للمنظمة الصهيونية العالمية ·

لقد كان هذا اللقاء من إحدى العوامل الرئيسية التي دفعت ببعض الضباط الكبار الوطنيين ،مثل عبابو سنة 1971وأمقران وكويرة سنة 1972 للمشاركة في محاولتي الانقلاب العسكري في 10 يوليوز 1971 و 16 غشت 1972 ·

استخلاصا للدروس التي أوضحتها المحاولتين الانقلابيتين ، عمل الحسن ابتداء من 1973 على البروز بوجه المدافع على القضية الفلسطينية في المحافل الرسمية للجامعة العربية مدعما في ذلك بالملوك الرجعيين العرب و بالاتجاه اليميني داخل قيادة منظمة التحرير الفلسطينية · (أما بخصوص مؤتمر القمة الاسلامي الذي تأسس في الرباط في شتنبر 1969 فلم يكن بالنسبة لمؤسسيه من أمثال الحسن و فيصل ثم فهد سوى وسيلة ايديولوجية لإلهاء حركة التحرر العربية)

و سيستمر الحسن في اجتهاده الكبير كعميل للامبريالية و الصهيونية · ففي نفس الوقت الذي سيبعث فيه الحسن بفيلق من الجيش المغربي الى سوريا سنة 1973 ليشارك في حرب أكتوبر في الجولان ،كوسيلة أولى لاحتواء جيشه بعد 16 غشت ··· ،في نفس هذا الوقت سيمنح كل تسهيلات المواصلات اللاسلكية و الرادارات ذات المدى البعيد الاميركية في بوقنادل و سيدي سليمان · هذه القواعد التي ستلعب، الى جانب القواعد العائلة للجيش الأمريكي بركا ،قرب مدينة قاديس، دورا هاما في تنظيم الجسر الجوي الامريكي لدعم الجيش الصهيوني خلال حرب أكتوبر نفسها !

والكل يعرف الدور الجوهري الذي لعبه الحسن في تهيئ سفر السادات الى القدس سنة 1977 ،هذا السفر الذي شكل نقطة تحول هامة في خيانة القائد المصري والتي ستقوده الى كامب دافيد · إن خلفيات هذا الدور الخياني للحسن كشف عنها بوضح في مذكرات الزعيم الصهيوني و مجرم الحرب موشي دايان · فلقد التقى هذا الأخير، سريا ،بالحسن في قصره بالرباط يوم 16 شتنبر 1977 برفقة شريك السادات الدكتور التهامي · و قد شارك في هذا اللقاء ،حسب موشي دايان ، "مجموعة من المغاربة اليارزين ولم يكن سوى اسرائيلي واحد وهو صلة وصلنا مع المغرب" (مسطر عليه من طرفنا)

و إليكم حسب موشي دايان ما قال له الحسن : "بخصوص الفلسطينيين ،كان متفقا معه وجهة نظري ،فمن جهة بإمكانهم أن يتكلوا خطرا على اسرائيل و من جهة أخرى فهم يهددون موقع الحسين ملك الاردن · فكان مطروحا إذا أن نتناول و نعالج هذه المسألة بشكل معقول · و على العرب أن يتحملوا مسؤوليتهم الجماعية ازاء الفلسطينيين و يراقبونهم و يبلورون اجراءات أمنية من شتى ارضاء اسرائيل · فالامر يتعلق هنا أساسا ،و قبل كل شيء ،بمشكل عربي ينبغي اذن أن يدرس و يحسم من طرف البلدان العربية و ليس من طرف اسرائيل أو الولايات المتحدة" ·

و سيضيف الدكتور التهامي ،حسب موشي دايان دائما : "يمكن الحاق البقعة الفلسطينية (الضفة الغربية) بالمملكة الأردنية · و سيكون في وسع العربية السعودية و مصر مراقبة المتطرفين بالحفاظ على العلك الحسين على عرشه أما في قطاع غزة فإن مصر ستضمن لنا (أي للكيان الصهيوني) تجنب كل الصعوبات، بدون أن تمارس القاهرة سلطة مباشرة في المنطقة" ·

هذا هو حوار الخونة مع المجرم الصهيوني موشي دايان ! (حسب الفقرات المنشورة في مجلة "الاكسبريس" عدد 1574 يوم 1981/9/11 من كتاب موشي دايان "السلم في الصحراء" المنشور بدار الطبع – فيار – باريس) ·

و لم يكن لكل خيانات الزعماء العرب لتكسر ارادة الفلسطينيين ولذى كان من الضروري القيام بعدوان عسكري صهيوني جديد ،تمثل في حرب لبنان و حصار بيروت في صيف 1982 · هنا أيضا سيقدم الحسن دعمه للطيران و البرية الحربية الامريكية لتموين الجيش الصهيوني : 15 يوما قبل الهجوم على الهجوم الصهيوني على لبنان ،سيوقع محمد بوستة وزير الخارجية آنذاك ، بمدينة واشنطن على اتفاق يمنح للطيران الامريكي العسكري كل التسهيلات و ينص على اجراء اصلاحات لبعض المطارات الخاصة المغربية بهدف استعمالها لهذا الغرض !

و منذ ذلك الوقت ،و امام المقاومة البطولية لمقاتلي منظمة التحرير الفلسطيني و للشعب اللبناني في بيروت التي افشلت المشروع الصهيوني الهادف الى الاجتثاث العسكري للمقاومة الفلسطينية ،و الكل يعرف مجهودات الحسن من اجل الدفع بالمقاومة الفلسطينية الى الاستسلام السياسي و الدبلوماسي · و سيلعب الحسن ،بعد قمة فاس في شتنبر 1982 ،دورا اساسيا من اجل حصر تحركات البلدان العربية في مستوى دبلوماسي فقط · كما اجتهد في اتجاه تقريب مشروع فاس من مشروع ريغان ،كما اتضح ذلك من خلال التصريحات التي ادلى بها ابان زيارته لواشنطن في نونبر 1982 · وهذا ما شكل هدفه ايضا من استدعاء المؤتمر العربي الاستثنائي الذي انعقد بمدينة الرباط في غشت 1985 جوابا على نفاد صبر ريغان ،الا ان المؤتمر كان فشلا بالنسبة للحسن ·

و الكل يعرف ايضا المجهودات التي بذلها الحسن ،لتهيئ لقاء ايفران مع شيمون بيريز ،بالسماح لزعماء صهاينة بزيارة المغرب في 1984 و 1986 تحت غطاء تنظيم المؤتمرات اليهودالمغاربة في الوقت الذي شكلت فيه هذه المؤتمرات منبرا لنفس البرجوازية اليهودية الكبرى التي سلمت الجالية اليهودية المغربية للصهيونية ،هذه البرجوازية التي يعتبر دافيد عمار احد ممثليها البارزين و هو في نفس الوقت رجل الاعمال الشخصي للحسن ·

عميل الأمبريالية ضد الشعب الصحراوي !

لقد ذكرنا سابقا بمشاركة الجيش الملكي تحت اوامر الحسن ،في "التدخل العسكري لعملية ايكوفيون – عملية المكنسة" الى جانب الجيوش الاستعمارية الفرنسية ◄

والاسبانية في يناير فبراير 1958، ضد جيش التحرير المغربي في الجنوب وضد الشعب الصحراوي.

لقد تم طرد الاغلبية الساحقة للشعب الصحراوي من وطنه على اثر هذه العملية، لتجعل منه شعبا لاجئا، كما هو الشان تماما بالنسبة للشعب الفلسطيني، وذلك قبل ان يتحول الى شعب من المكافحين تحت قيادة جبهة البوليزاريو.

وسيظل الحسن، خلال هذه المدة، من 1958 الى 1973، العميل الطيع والمساند للسيطرة الاستعمارية الاسبانية للصحراء الغربية. بل وافدح من ذلك اتفق مع صديقه فرانكو، جلاد الشعب الاسباني، على تثبيت هذه السيطرة اتجاه الهيئات الدولية مقابل مشاركة المغرب في استغلال فوسفاط بوكراع في الصحراء الغربية. الا ان هذه المؤامرة فشلت على اثر الاضراب العام الذي خاضه الطلبة بالرباط احتجاجا على زيارة لويس برافو، وزير خارجية فرانكو في ماي 1970 و تنديدا بالمؤامرة المطبوخة (ونذكر هنا بان هذا الاضراب تقرر بمبادرة من المناضلين الطلبة الذين سيساهمون - ذاشهر في ما بعد - في تأسيس المنظمة الماركسية اللينينية الى الامام بارتباط مع النواة المؤسسة لهذه المنظمة).

غير ان الحسن، سيغير توجهاته كليا، منضما الى المشروع الفرنسي لتقسيم الصحراء الغربية بين المغرب وموريطانيا ابتداء من ربيع 1974، وبالضبط غداة زيارة جاك دوفونسي، رئيس بنك باريس والبلدان المنخفضة البنك الذي كان يمثل العرشح الاساسي لتعويض الاستعمار الاسباني في استغلال الفوسفاط بالصحراء الغربية (والتنقيب عن البترول) ....

وقد سبق ان عرض هذا المشروع بصفة شبه رسمية منذ دجنبر 1969. وسيفسر الحسن نواياه تلك بضعة اشهر فيما بعد في احدى تدخلاته الصحفية في شتنبر 74. وسيملن الحسن بنفس الوقاحة المعتادة فيه بان الاستعمار الاسباني اصبح يلفظ انفاسه الاخيرة وبان الجيش الاسباني غير قادر على العواجهة الطويلة للمقاومة المسلحة التي فجرها الشعب الصحراوي بشكل منظم منذ ماي 1973 تحت قيادة البوليزاريو، ولكل هذه الاسباب اقترح نفسه ليعوض الدور العسكري والسياسي للاستعمار الاسباني دفاعا عن المصالح العليا للامبريالية في المنطقة (هذه المصالح التي يتعهد بضمانها صراحة وبدون خجل) متبجحا بجودة سلعته لي الجيش الملكي، متاجرا مرة اخرى بدماء ابناء وطننا. وقد كانت المناسبة وسيلة لاشغال الدبش وابعاده ولاحتواء الاصلاحيين واكتسابا جديدا للشرعية في ظل الشرعيات التي سيرفعها المغرب مباشرة فيما بعد.

وستنظم الامبريالية العالمية من خلال الامبريالية الفرنسية التي كانت المحرك الاساسي لهذا المشروع، وبتحالف مع الجناح الاكثر دينامية للبرجوازية الكبرى الاسبانية الممثل من طرف خوان كارلوس والذي انضم الى هذا المخطط من خلال اتفاقيات مدريد في نونمبر 1975، عملية غزو واحتلال الصحراء الغربية من طرف الجيش الملكي ابتداء من يناير- فبراير 1976. وقد ابتدأت هذه الحرب بقصف السكان المدنيين الصحراويين في الساقية الحمراء ووادي الذهب بالنابلم. والكل يعلم الثمن الباهظ الذي اداه شعبنا من دماء والام في نفس الوقت الذي شكل هذا الهجوم عملية ابادة دموية ضد الشعب الصحراوي المكافح. والكل يعرف ايضا، وخاصة منذ 1981 ان الامبريالية الامريكية، هبت لانقاذ الجيش الملكي المتصدع تحت فعل الضربات البطولية للمقاومين الصحراويين، الامر الذي مكن الحسن من تحقيق استقرار على المستوى العسكري ولكن دائما بهدر دماء الشعبين المغربي الصحراوي وعلى حساب الوحدة الاخاء بين شعوب المغرب العربي.

عميل الأمبريالية في افريقيا

قد نصب الحسن، ومنذ القديم، نفسه مدافعا غيورا على مصالح الامبريالية بافريقيا. ففي 1960 لعب فيلق الجيش الملكي بالكونغو ((المسمى "الزاير" حاليا) وتحت قيادة الجينيرال الكتاني - الضابط المرافق السابق لجلاد شعبنا، الجينيرال جوان - دورا حاسما في المؤامرة الامبريالية ضد الزعيم الوطني الكونغولي، باتريس لومومبا. قد فتح هذا التدخل الطريق امام اغتيال هذا الزعيم، وصعود حكومات صورية توجت بنظام الخائن موبوتو احد العملاء القدامى للبوليس البلجيكي بالكونغو وعميل وصديق كبير للحسن. وينبغي التذكير هنا بان الجينيرال الكتاني، كان يتلقى وهو بطيبولد فيل بالكونغو، الاوامر مباشرة من عرف الحسن وجاك فوكار الشخصية السيداء البارزة في اوساط الامبريالية الفرنسية بافريقيا والذي كان له ايضا دور بارز في هذه العملية وفي عملية اغتيال المهدي بنبركة سنة 1965.

ومع صعود "صديقه" جيسكار ديستان في السبعينات الى رئاسة الدولة الفرنسية (الحسن يسمي جيسكار صديقي) سيتولى الحسن موقع الدركي للجيش الامبريالي الفرنسي في افريقيا.

وفي سنة 1976، سينظم خدام الحسن محاولة انقلاب ضد النظام التقدمي الفتي في البنين. كما بعث الحسن الجيش المغربي في 1977 و 1978 الى الزاير لتعويض الجيش الفرنسي، مساعدا بذلك مرة اخرى "الزاير" وصديقه موبوتو.

ولقد زود الحسن العديد من الرؤساء الرجعيين الافارقة بقوات مختصة في التدخلات السريعة، الحراسة الخاصة لهؤلاء الرؤساء، كما هو الحال بالنسبة للدولة المصطنعة بـ"عينيا الاستوائية". فهل سيدعم اليوم عسكريا - صديقه الاخر وخادم الامبريالية، حسين هبري؟

ان سيرة الحسن هذه كخائن، قد تجد من خلال الاقدام على خطوة مثيلة ومن خلال محاصرته لجنوب ليبيا، فترة جديدة على مستوى الخدمة المباشرة للمخططات العدوانية للامبريالية الامريكية ضد الشعب الليبي الشقيق وقاداته المكافحين والمناضلين للامبريالية والصهيونية.

تلك كانت ولازالت حياة الحسن، وبتركيز: حياة خائن.

1 سبتمبر 1986

*

ساهموا في نشر الفكر الثوري

ساندوا مجلة إلى الأمام

مجموعة "أومنيوم شمال افريقيا":

نموذج لاستحواذ الحسن على اقتصاد البلاد

لقد أصبح من المعروف أن الحسن قد استطاع بفضل نهبه المتصاعد لخيرات البلاد أن يراكم ثروة لا تعد ولا تحصى، وخاصة في السنوات الاخيرة حيث وصل جشعه مستويات عالية.

فعدد قصوره في المغرب وحده يتزايد بسرعة ويتعدى ٥٠ قصرا والاراضي التي يمتلكها تغطي مساحات شاسعة في أحسن المناطق الفلاحية ومشاركته في الشركات الصناعية والتجارية والمقاولات وقطاع الخدمات متعددة. والعقارات التي في حوزته لا يستطيع أحد احصائها. كل ذلك عدا استفادته في القطاع العمومي الذي أصبح مرتعا وبقرة حلوب لخدامه وزبنائه الذين ينهبون هذا القطاع لمصلحته دون نسيان قسطهم في "الوزيعة".

ولعل دراسة سريعة لانشطة "أومنيوم نوافريكا" (OMNIUM-NORD-AFRICAIN) يبين بشكل ملموس مدى الاحتكار الذي يمارسه الحسن لقطاعات اقتصادية متزايدة والذي يجعله يندرج في خانة "كتاتوريين آخرين اشتهروا باستحواذهم على خيرات بلدانهم ك: سوموزا مثلا الذي كانت أسرته تستولي على ما لا يقل عن ٣٠٪ من اقتصاد نيكاراكوا أو الشاه المخلوع الذي ثروات باهضة أو ماركوس العميل الذي راكم هو وزوجته أموالا طائلة، وكل ذلك على حساب شعوبهم التي كانت ترزح تحت وطأة الفقر والمرض والجهل وتواجه مطالبها البسيطة والعادلة بالقمع الى أن انتفضت واستطاعت أن تقضي على جلاديها وتنصي دابرهما.

"أومنيوم شمال افريقيا"، مجموعة مالية "HOLDING FINANCIERE" ضخمة كان يملكها "بنك باريس والبلاد المنخفضة" "PARIBAS" الذي لعب دورا أساسيا في التحضير للاستعمار - عبر القروض التي كان يقدمها للمغرب - ثم في الاستغلال الاستعماري لبلادنا، وكانت أنشطته (أي أومنيوم شمال افريقيا) تمتد الى العديد من القطاعات الاقتصادية الهامة: المناجم، الصناعة التحويلية، التجارة، الطباعة، النقل، الكيماء، ... وقد كان الحسن كولي للعهد آنذاك يساهم في هذه الشركة بجانب دهاقنة الاستعمار ثم استولى عليها في بداية الثمانينات لتصبح ملكا له. ومنذ ذلك الحين عرف نشاط هذه المجموعة تطورا صاروخيا يفضح في حد ذاته مدى الجشع الذي يتم به احتكار اقتصاد البلاد من طرف الحسن وعائلته وزبنائه وبعض أعضاء الفئات الاحتكارية المهيمنة وسط الطبقات السائدة في المغرب. كما يكشف النقاب عن المعنى الحقيقي لتفويت القطاع العام "للخواص" كتفويت القطاعات الاكثر مردودية من القطاع العمومي الى فئة قليلة وقليلة جدا من الكمبرادوريين وعلى رأسهم الحسن الذي يحصل على حصة الاسد.

ان التقرير عن نشاط "أومنيوم" لسنة ١٩٨٥ يعطي المعلومات الاساسية التالية التي نوردها لانها غنية عن كل تعليق.

- بين سنة ١٩٨٢ وسنة ١٩٨٥ (أي الفترة التي أصبح فيها أومنيوم ملكا للحسن) قفز مجموع مبيعاته من ٣٦ مليار الى ٤٧ مليار درهم (أي بزيادة بنسبة ٣٠٨٪) وأصبح ثاني مجموعة بعد مجموعة المكتب الشريف للفوسفاط. وانتقل عدد العاملين في "أومنيوم" من ٥٢٠٣ الى ١٠٦٠٠ (زيادة ١٠٣٠٧٪) وأصبحت القيمة المضافة الى هذه المجموعة تقدر بـ ١٠٥٠ مليون درهم أي ما يعادل ١٪ من المنتوج الداخلي الخام للبلاد. وقد أصبحت هذه المجموعة أخطبوطا يلتهم المزيد من الشركات في مختلف القطاعات الاقتصادية

الصناعات الغذائية

ان مجموعة "أومنيوم" أصبحت احتكارا ضخما في قطاع الصناعات الغذائية حيث تحتكر ١٧٪ من القيمة المضافة لهذا القطاع الذي يمثل ثلثي مبيعات المجموعة و٦٢٪ من القيمة المضافة التي تحققها. وهكذا تحتكر هذه المجموعة الصناعات الحليبية عبر تحكمها في مركزية الحليب (Centrale laitière) وقيمة مبيعاتها ٧٤٦ مليون درهم وكذا معمل الحليب بدكالة (قيمة مبيعاته ١١٦ مليون درهم.) كما أنها تهيمن على قطاع "المواد الدسمة" "Les corps gras" حيث تملك شركة "أونيكرال كريستال" "UNIGRAL CRISTAL" وقيمة مبيعاتها ٧٠٥ مليون درهم، وشركة "سيبو" "SEPO" و"كوان" "COUIN" وقيمة مبيعاتها ٦١٦ مليون درهم.

ولعل أخطر تطور عرفته هذه المجموعة خلال ١٩٨٥ هو أنها ابتلعت مجموعة الشركة المغربية لتكرير السكر "GROUPE COSUMAR" التي تتكون من أربع شركات.

الشركة الاساسية هي كوسومار نفسها وهي احدى أكبر الشركات المغربية حيث وصل رقم مبيعاتها الى ١٠٨٦ مليون درهم سنة ١٩٨٥.

- معمل السكر بدكالة ومبيعاته حققت ٢٠٣ مليون درهم سنة ١٩٨٥.
- معمل السكر بالزمامرة ورقم مبيعاته ٢٨٩ مليون درهم سنة ١٩٨٥.
- شركة سوماديم: مبيعات بقيمة ٤٥ مليون درهم.

ومن المعلوم أن تكرير كل استهلاك المغرب من السكر (ما عدا سنيدة التي ينتجها معمل السكر بتادلة SUTA) يتم في كوسومار رغم أن ذلك يؤدي الى تكاليف اضافية حيث يجب نقل السكر الخام من معامل السكر الى كوسومار بالدار البيضاء للتكرير ثم توزيعه عوض القيام بالتكرير في وحدات الانتاج وتوزيعه مباشرة).

ان احتكار المواد الحليبية والمواد الدسمة وتكرير السكر من طرف مجموعة "أومنيوم" هو أحد العوامل الاساسية التي تفسر غلاء المواد الاساسية لعيش الجماهير.

ان تفويت مجموعة كوسمار الى الحسن وبعض خدامه تعطي مؤشرا على الشكل الذي قد يتم به تسريح وحدات القطاع العمومي الاكثر مردودية الى "الخواص" ◄

النظام الملكي: ارتماء متزايد في أحضان الأمبريالية الأمريكية

النظام الملكي: ارتماء متزايد في أحضان الامبريالية الأمريكية.

لقد طرحت التطورات السياسية الخطيرة التي عرفها المغرب خلال هذا الصيف والتي تجلت أساسا في الزيارة الخيانية لرئيس وزراء العدو الصهيوني لبلادنا والغاء الحسن لاتفاقية الاتحاد بين ليبيا والمغرب، وتهافت النظام على استجداء عطف الامبريالية الأمريكية والصهيونية، لقد طرحت هذه التطورات تساؤلات حول دور وتأثير الامبريالية الأمريكية في صنع سياسة النظام الملكي في المغرب.

ورغم الصمت الذي تمارسه القوى الاصلاحية المغربية حول طبيعة النظام كنظام عميل للامبريالية، نظام لاوطني يناصب العداء لحركة التحرر العربية وللقضية الفلسطينية فمن الواضح تماما أن الامبريالية الأمريكية كانت وراء قرار استقبال الحسن لشيمون بيريز باقران، والنظام بذلك يقدم الخدمات لاسياده الامبرياليين والصهاينة محاولا انقاذ مشروعهم الهادف الى تصفية القضية الفلسطينية. هذا المشروع الذي يرفضه الشعب الفلسطيني ويدفع يوميا من دمائه لافشاله.

ومن البديهي أيضا أن الغاء اتفاقية الاتحاد مع ليبيا شرط أمريكي لاستقبال الحسن في أمريكا وتقديم الدعم الاقتصادي والسياسي والعسكري له من طرف الولايات المتحدة الأمريكية.

ولعل دراسة متمعنة ببعض الشيء للدور الذي مافتئ النظام يلعبه في السياسة والاستراتيجية الامبريالية في المنطقة العربية وافريقيا من شأنها أن تدحض محاولات القوى الاصلاحية تبييض وجه النظام. هذه المحاولات التي تجد أسسها في تحالف هذه القوى مع النظام في قضية الصحراء الغربية ونصرته في هذه القضية حتى ولو تحالف، من أجل تصعيد حربه العدوانية، مع الشيطان وحتى لو قاتم من حربه الطبقية ضد الشعب المغربي وضاعف من نهبه وتفقيره وحتى لو جعل من المغرب محمية أمريكية ـ صهيونية.

المغرب في الأستراتيجية الأمريكية في المنطقة

ان المغرب يشكل منطقة استراتيجية هامة بالنسبة للامبريالية، وخاصة لامريكية فهو يمثل أحد مفاتيح بوغاز جبل طارق، بوابة البحر الأبيض المتوسط، والطريق نحو الشرق الأوسط. ولاتخفى أهمية منطقة الشرق الأوسط على أحد لكونها تختزن احتياطات هامة من النفط. ان مراقبة

باقي القطاعات

ـ الناجم: ان مجموعة "أنيوم" تتحكم في أربعة مناجم هامة تنتج معادن ذات قيمة كبيرة: منجم الكوبالط ومنجم الفلوري وآخر للنحاس وأخيرا للفضة.

ـ وبعد أن استولت المجموعة على شركة "البنك والقرض" ارتفعت قيمة الايداعات في هذا البنك بنسبة ٤٩٪.

ـ السيارات: تراقب المجموعة ٢٧٪ من مجموع مبيعات السيارات بالمغرب (٥٥٠ مليون درهم سنة ١٩٨٥).

ـ النسيج: لقد كانت المجموعة تملك شركة "سيم SCIM" (قيمة المبيعات ٩٠ مليون درهم). وقد أضافت سنة ١٩٨٥ الى ممتلكاتها شركتين جديدتين هما:

ـ فيلروك FILROC وهي شركة هامة في قطاع النسيج تبلغ قيمة مبيعاتها ١٧٩ مليون درهم سنة ١٩٨٥.

ـ مازوريل أفريك MASUREL AFRIQUE (قيمة المبيعات سنة ١٩٨٥: ٣٨ مليون درهم).

لقد اكتفينا بأهم الشركات التي تتضمنها مجموعة "أنيوم" ولم نتطرق الى قطاعات أخرى كالنقل والكيماء والعقار التي لها أهمية أضعف.

وأخيرا ان نظرة الى مجلس ادارة هذه المجموعة تبين أنه يتشكل من بعض أفراد العائلة الملكية أو من خدامها الاوفياء:

ـ رئيس المجلس: الامير مولاي علي (ويوجد في مجلس ادارة شركات كبرى أخرى).

ـ نائبه: أحمد العسكي، وزير سابق وبرلماني.

ـ السير Administrateur délégué: فؤاد الفيلالي: صهر الحسن الذي عينه مؤخرا في هذا المنصب.

ـ الاعضاء: عبد الفتاح وابراهيم فرج (حاجب الملك وأخوه)، محمد برکاش وبنسالم كسوس، وزيرين سابقين وخادمين مخلصين للحسن، عبد الكريم بناني، محمد بنكيران التهامي الوزاني، عمر مزور (من عائلات "تجار السلطان" ومثلي الاقطاع الدبني).

*

بوغاز جبل طارق مسألة حيوية بالنسبة للامبريالية الامريكية التي تتحكم في الصادرات النفطية في الشرق الاوسط وكذا بالنسبة لاوربا الغربية واليابان الذين يتميزان بتبعيتهما الشبه مطلقة فيما يخص النفط كما أن السيطرة على البوغاز ضرورة حيوية بالنسبة للاسطول السادس ومختلف الاساطيل الغربية التي تطوف في هذا البحر.

والنظام الملكي لم يكف عن ابداء استعداد بل حماسه للقيام بأية مهمات تكلفه بها الامبريالية، خاصة في افريقيا والعالم العربي. غير أن توفر الامبريالية على عملاء أكثر قوة كانت تجعلها متحفظة في استخدام امكانيات النظام.

الا أن الوضع بدأ يتغير منذ أواسط السبعينات مع تآكل النفوذ الامريكي في القارة السمراء وفي الشرق الاوسط مع سقوط بعض الانظمة العميلة. وهكذا فان سقوط نظام هيلاسيلاسي في اثيوبيا و انتصار الكفاحات التحررية في المستعمرات البرتغالية وفي زمبابوي وصعود عدد من الانظمة الوطنية (في غانا وبركنافاسو) مثلا، كل ذلك أدى الى تقليص النفوذ الامبريالي في افريقيا وارتكاز الامبريالية أكثر فأكثر على أنظمة عميلة. لذلك يمكن فهم محاولات الامبريالية الحفاظ على النظام العنصري في جنوب القارة ومساعدة النظام المغربي في شمالها.

ولعل أحسن مثال عن الخدمات التي يمكن أن يقدمها النظام للامبريالية دوره في الحرب العدوانية الدائرة في الصحراء وكذا تدخل الجنود المغاربة في بنين ثم مرتين في زائير. وقد أشرفت على هاتين العمليتين الاخيرتين فرنسا واستعملت خلالها الطائرات الضخمة الامريكية لنقل الجنود المغاربة. وقد أدى سقوط نظام الشاه في ايران في 1979 الى اعادة النظر في الاستراتيجية الامريكية في منطقة الخليج والشرق الاوسط بشكل عام، ذلك أن ايران، أيام الشاه، كانت تشكل حلقة أساسية في المنظومة العسكرية الامريكية في المنطقة. وقد ارتكزت الاستراتيجية الامريكية الجديدة في هذه المنطقة الحساسة على المحاور التالية:

- توثيق التحالف مع اسرائيل في اطار ما سمي آنذاك بـ "التحالف الاستراتيجي".
- ادماج مصر في المنظومة العسكرية الامريكية في المنطقة عبر المساعدات العسكرية المتزايدة والمناورات العسكرية المشتركة.
- تسليح متسارع ومكثف لانظمة الخليج الموالية لامريكا ودفعها لتنسيق جهودها العسكرية في اطار "مجلس التعاون الخليجي".
- وأخيرا تشكيل قوات الانتشار السريع للتدخل مباشرة، عند الضرورة، في الخليج والشرق الاوسط، ومادامت هاته القوات ملزمة بالمرور عبر البحر الابيض المتوسط، فانها بحاجة الى تسهيلات عسكرية في الدول المتوسطية، وخاصة المغرب.

وفي الثمانينات، ومع صعود ريغن للسلطة، ستتخلى الامبريالية الامريكية عن سياسة كارتر وستنتصر الاطروحات الاكثر عدوانية والاكثر مناهضة لكفاحات الشعوب وستسعى لامبريالية الامريكية الى استرجاع نفوذها عبر تصعيد التوتر في العالم وكذا الى توثيق علاقاتها مع الانظمة العميلة مهما كان خرقها لحقوق الانسان سافرا.

وفي نفس الوقت فان صعود الاشتراكيين للسلطة في فرنسا في 1981 والسياسة المساندة للجزائر التي نهجها الحكم "الاشتراكي" في البداية والهزيمة العسكرية المغربية الخطيرة في كلتة زمور في نونبر 1981، ان كل ذلك سيدفع النظام الى المزيد من الارتماء في أحضان الامبريالية الامريكية للحصول على الدعم العسكري.

هكذا فان حاجة أمريكا الى تسهيلات عسكرية في المغرب وحاجتها لنظام عميل يندمج في خططها العدوانية ضد افريقيا والشرق الاوسط وتخوفها من سقوط هذا النظام بسبب ضربات الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب وبسبب السخط العارم للشعب المغربي الذي انفجر في يونيو 1981، ان كل ذلك دفعها الى التخلي عن حيادها في قضية الصحراء الغربية و تقديم الدعم الواضح والضخم للجيش المغربي. لذلك، ومنذ ذلك الحين، بدأ المغرب يتلقى مختلف الاسلحة والخبراء العسكريين الذين دربوا الجيش وبلوروا استراتيجية الجدران الرملية الدفاعية بينما قدمت الشركات الامريكية تجهيزات الجدران بالآلات الالكترونية.

وفي المقابل قبل النظام منح الولايات المتحدة الامريكية "تسهيلات عسكرية"، أي أنه سمح، في اطار اتفاق ماي 1982، للقوات الامريكية (قوات الانتشار السريع) أن تستعمل القواعد الجوية المغربية للتزود بالوقود وكذا بالآليات المختلفة ومنها الاسلحة. ان هذه التسهيلات مهمة، كما أوضحنا ذلك، بالنسبة للطائرات العسكرية الامريكية المتوجهة الى الشرق الاوسط. ورغم تصريحات المسؤولين المغاربة حول حقهم في رفض المرور بالنسبة للطائرات العسكرية المساهمة في عمليات عسكرية ضد بلدان عربية، فانه من الغريب أن يتم توقيع هذا الاتفاق في ماي 1982، أي بضعة أسابيع قبل اجتياح الصهيوني العسكري لجنوب لبنان في يونيو 1982، الذي حظي بدعم ومباركة الولايات المتحدة الامريكية.

ولقد توثقت العلاقات بين المغرب وأمريكا منذ 1982، كما يشهد على ذلك العدد الكبير من المسؤولين الكبار الامريكيين الذين زاروا المغرب (نائب الرئيس، وزراء الخارجية والدفاع والتجارة، ضباط سامون ...) وكذا بعثات رجال الاعمال والبرلمانيين ... الخ.

وفي المقابل توجه الحسن في أكتوبر 1982 في زيارة رسمية لامريكا والتقى من جديد بريغن في أكتوبر 1983 خلال زيارته للامم المتحدة، وحتى خلال المدة التي كان الاتحاد المغربي الليبي قائما استمر النظام في طلب ود أمريكا، بل قام في 3 مارس 1986 وعندما كان التوتر على أوجه بين ليبيا وأمريكا، بتوشيح صدر مدير وكالة المخابرات المركزية وليام كايزي بوسام.

والآن وبعد أن تم الغاء معاهدة وحدة من طرف النظام المغربي، لا يستبعد تماما أن تستعمل الطائرات الامريكية القواعد الجوية في حالة ما اذا قررت أمريكا توجيه ضربة جديدة لليبيا.

ان النظام العميل يسعى جاهدا لاقناع الامبريالية الامريكية أن باستطاعته تسويق المخططات الامبريالية ـ الصهيونية الهادفة الى فرض الاستسلام على العالم العربي والتصفية على القضية الفلسطينية وذلك حتى يحصل على القروض لتجاوز أزمته الاقتصادية والمالية الخانقة وعلى السلاح للاستمرار في حربه العدوانية. ولعل ما يشاع حول زيارة عسكريين صهاينة من مستوى عال الى المغرب وللصحراء والعلاقات الكثيفة مع نظام كامب ديفيد في مصر تشكل ارهاصات لتحالفات جديدة في المنطقة قد تكشف عنها الأيام المقبلة.

العلاقات الاقتصادية

ان المغرب كبلد ذو حجم صغير نسبيا وسوق داخلية ضيقة وهياكل اجتماعية متخلفة وحيث تواجد المصالح الفرنسية الاقتصادية مهم وقديم بسبب الاستعمار واستمرار علاقات التبعية خلال مرحلة الاستعمار الجديد، أن المغرب كبلد لا يتوفر على مواد استراتيجية كالنفط لا يهم الشركات الاحتكارية الامريكية، لذلك ظلت الاستثمارات الامريكية المباشرة معدومة أو ضئيلة ما عدا في ميدان البحث عن النفط حيث تقتسم شركات النفط الامريكية الجزأ الاكبر من رخص التنقيب على النفط في المغرب.

لكن نظرا لموقع المغرب الاستراتيجي وطبيعة النظام الموالي للامبريالية، فان ◀

أمريكا تعمل على أن يظل المغـــرب مندمجا في المعسكر الامبريالي .

بذلك ،فان الهيمنة الاقتصاد يـــة الامريكية لاتتخذ الشكل المباشر حيث ظلت الاستثمارات المباشرة شبه غائبة رغم النداءات وقوانين الاستثمارات. ان هذه الهيمنة تلجأ الى الطرق غير المباشرة عبر الهيمنة على اقتصاديات دول أوروبا الغربية و من ضمنها فرنسا ، والى الطرق المالية المرتبطة بالتطورات التي عرفتها الامبريالية الامريكيةوالتـي تسارعت في الخمسة عشر سنة الاخيرة مع ظهور وتوسع سوق الاورودولار.

الا أن ذلك لايعني أن العلاقات الاقتصادية التقليدية ثانية. ان"الاعانة" الثنائيةوهي في الحقيقة في أغلبيتهـا الساحقة ،قروض مشروطةتبشراً مواد أمريكية وتهدف في العمق الى ايجاد أسـواق مضمونة لمواد الاستهلاك وخاصة القمـح والاسلحة الامريكية،ان هذه "الاعانة" مهمة لانها تحتل الرتبة الثانية في لائحة "الاعانات" الثنائية الغربية بعد الاعانة الفرنسية (في فترة 75ـ1982) . ولاعطاء فكرة عن تطور هذه "الاعانة" مع تحسن العلاقة الثنائية يكفي الاشارة الى

أنها ارتفعت من 275 مليون سنة1980 الى 685 مليون درهم سنة1982 وأن الاعانة العسكرية تضاعفت مرتين مابين 1980 و1984.

الا أن الميكانزمات الأساسية للاستغلال الامبريالي ،وخاصة الامريكي ،أصبحت تكتسي أكثر فأكثر طابعا ماليا. فانخـاذ الرأسمال الامريكي طابعا عالميا عبـــر الشركات والابناك التي تتواجد فروعهـا في عدد كبير من الدول وتسهر على تداول واستثمار رؤوس الاموال ،وضرورة اعادة توظيف البترودولار ـ والنمو الصاروخي لسوق الاورودولار وتخلي الولايات المتحدة الامريكية عن القوانين التي كانت تحدد بشكل دقيق ميدان نشاط الابناك و صلاحياتها ،كل هذه العوامل ساهمت في طغيان العنصر المالي في نشـاط الاحتكارات الامبريالية ،وخاصة الامريكية. ان جزءا هاما من هذه الرساميل الضخمة قد قدم كقروض بفوائد مجحفة لدول العالم الثالث مما جعل أن الاستغلال أصبح أكثر فأكثر يتم عبر العوائد المالية أي أن الاستغلال أصبح ماليا أكثر فأكثر. ومما زاد هذا الاستغلال هو ارتفاع قيمـة الدولار الذي مازال مرتفعا رغم انخفاضه في الفترة الاخيرة. لذلك أصبح المشكل الاول والاخطر الذي تعاني منه الدول التابعةهو مشكل المديونية .

لقد وصلت مديونية المغرب، سنة1982 ، الى 12مليار دولار (وقد تجاوز 15 مليار دولار حاليا) وتتوزع كالتالي :

ـ الاعانة الثنائية للدول الغربية : 20 ٪
ـ الاعانة الثنائية للدول العربية : 25 ٪
ـ السوق المالية العالمية : 35 ٪
ـ المؤسسات المالية الدولية : 15 ٪

لقد اوضحنا ان امريكا ثاني "اعانـة" ثنائية غربية بعد فرنسا اضافة لذلك ،فان القروض الممنوحة من طرف السوق المالية العالمية (اي الابناك الامبريالية) تشكل 35 ٪ من مجموع مديونية المغرب. ان نظرة الى اعادة جدولة الديون الخارجية المغربية تبين ان الابناك الفرنسيـة و الامريكية هي الابناك الدائنة الاساسيـة بالنسبة للمغرب لماذا ؟

ان المفاوضات بين المغرب والابناك الدائنة تتم فيما يسمى بـ"نادي لندن" وان الابناك الدائنة (وهي كثيرة قـد يبلغ عددها 200) تعين لجنة تمثلها في هذه المفاوضات و هذه اللجنة ترأسها سيتي بنك (وهو بنك امريكي) والبنك الوطني لباريس (وهو بنك فرنسي طبعا) . وهـذا يبين ان الابناك الفرنسية والامريكية هـي الابناك الدائنة الاساسية بالنسبـــة للمغرب. واذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان السوق المالية العالمية تخضع لهيمنـة ولاستراتيجية امريكا وان الابناك الامريكيـة الكبرى تعقد تحالفات مع الابناك الفرنسية للاستفادة من شبكات هذه الاخيرة المتواجدة في دول افريقيا التي كـانت مستعمرة من طرف فرنسا،وذلك للتغلغل بادنى التكاليف في هذه الدول الافريقية

امكن القول ان جزءا هاما من الديون المغربية ازاء السوق المالية العالمية يخضع للابناك الامريكية و يندرج في استراتجية الامبريالية العادفة الى اعادة احكـام الطوق على الدول التابعة. و من الملفـت للنظر و الخطير جدا ان النواة الاستراتجية من المؤسسات العمومية (المكتب الشريف للفوسفاط وهو اكبر مجموعة اقتصادية في المغرب، والبنك الوطني للانماء الاقتصادي، شركة سمير لتكرير النفط، و الخطوط الجوية) اصبحت غارقة في الديون ازاء الابناك الامبريالية. ان هذه السيطرة العالية على المؤسسات العمومية الاساسية خطيرة جدا ليس على توجيه هذه المؤسسات

فحسب بل على مصيرها ولا شك ان التفهيت التدريجي للقطاع العام للكمبرادور المحلي وحلفائه الامبرياليين نتيجة من النتائـج هذه السيطرة.

ان الولايات الامريكية ،علاوة على ماأوردنا أعلاه ،تلعب دورا اساسيا في توجيـه البنك العالمي وصندوق النقد الدولـي (مساهمتها تصل الى 25 ٪ من رأسمال هاتين المؤسستين الماليتين) . لذلك فانه من الخاطئ و السطحي اعتبار ان الهيمنة الامريكية على اقتصاد المغـرب ثانوية بالنسبة للهيمنة الفرنسية.

ان التذكير بدور صندوق النقد الدولي والبنك العالمي في صياغة السياسات الاقتصادية للبلاد من شأنه أن يساعـد على المزيد من توضيح الصورة .

ان صندوق النقد الدولي يركز تدخله على الدولة حيث يحدد مختلف سياساتها الاقتصادية والاجتماعية :

ـ سياسة الاجور والاتمان و الشغل عبـر ما يسمى بسياسات التقشف و "حقيقة الاتمان" وتقليص الطلب الاجمالي ...

ـ سياسة الضرائب و الميزانية : اعـادة شبكلة الانظمة الضرائبية لتقديم المزيد من التنازلات للشركات ،ميزانيات التقشف التي تمس القطاعات الاجتماعية و مساعدة المواد الغذائية الاساسية...

ـ السياسة النقدية الداخلية و الخارجية: سياسة القرض داخليا ،تخفيض قيمة العملة

ـ سياسة التجارة الخارجية (قوانين الاستراد و التصدير، سياسة التخلي عن الحماية الجمركية تدريجيا ...)

ـ السياسة تجاه الرأسمال الخاص المحلي والاجنبي : تفويت القطاع العام للخواص التراجع عن المغربة ،قوانين الاستثمارات ـ

وواضح ان هذه السياسات تلعب دورا محوريا ليس فقط على مستوى الظرفية الاقتصادية ،ولكن ايضا ،وذلك أخطر ،على مستوى اعادة صياغة الهياكل الاقتصاديـة في اتجاه تعميق التبعية.

اما البنك العالمي فيتكلف بـ:

ـ توفير شروط التراكم الرأسمالي عبـر تمويله للبنيات التحتية الاقتصادية و

لاجتماعية (طرق، موانئ، سدود، تعليم، صحة، سكن ...) التي من شانها تسهيل الاستثمارات الخاصة وتعبئة الخيرات الوطنية.

- السهر على أن تظل السياسات الاقتصادية القطاعية ملائمة للدور الذي يلعبه المغرب في اطار التقسيم الدولي الرأسمالي للعمل وهكذا فان الدور الحيوي للبنك الدولي في تمويل وتوجيه البنك الوطني للانماء الاقتصادي والصندوق الوطني للقرض الفلاحي مثلا، وهي مؤسسات تتكفل أساسا بتمويل الصناعة والفلاحة على التوالي وكذا تدخله المباشر في العديد من القطاعات، ان ذلك يبين انه يلعب دورا استراتيجيا في هيكلة الاقتصاد المغربي طبقا للمصالح الامبريالية.

خلاصة

لقد حاولنا تبيان طبيعة العلاقات بين النظام الملكي والامبريالية الامريكية وايضاح مدى عمالته لامريكا وتحمسه لحدمتها وابراز قنوات الهيمنة والسيطرة الاقتصادية الامريكية ودورها الحاسم في هيكلة اقتصاد البلاد كاقتصاد تبعي خاضع لاستراتيجيه الامبريالية.

وواضح ان هذه العلاقات الحميمة و الوثيقة تشكل القاعدة المادية لمواقف النظام اللاوطنية والمناهضة لمطامح الشعوب العربية ولتحرر الشعب الفلسطيني من قبضة الاستعمار الاستطاني في فلسطين. وتبقى محاولة بعض القوى الاصلاحية المغربية تصوير المواقف الخيانية للنظام من القضية الفلسطينية على انها نتيجة "ضغط لوبي صهيوني" مجرد محاولة يائسة لطمس الطبيعة اللاوطنية لنظام العمالة والخيانة في المغرب.

*

المغرب: إفلاس اقتصادي واجتماعي والحلول أخطر

تتفنى أبواق النظام بـ"الانجازات العظيمة" الاقتصادية والاجتماعية لـ٢٥ سنة من حكم الحسن. وانبرى عدد من مرتزقة القلم المغاربة والاجانب لاستدام "القائد الملهم" الذي قاد "مسيرة النمو" المزعومة. ولم يتخلف عن هذه الجوقة عدد من "مثقفي" القوى الاصلاحية الذين يسعون الى اقتناص الفرص للتسلق.

لذلك من الضروري توضيح طبيعة هذا "النمو" المزعوم وتبيان من هم الذين استفادوا ومن هم الذين ذهبوا وبذهبون ضحيته. وقد يكون من المفيد بالنسبة للقارئ التطرق لمختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية لتشريحها. لذلك سنكتفي بالاشارة الى القطاعات ذات الاهمية الحيوية بالنسبة للجماهير الشعبية.

أهم مظاهر الأزمة الاقتصادية

الفلاحة: لقد عانت الاغلبية الساحقة من الفلاحين المغاربة من الاستعمار الذي استعود بارتباط مع القطاع المحلي الذي تحالف مع الاستعمار واستطاع بفضل ذلك أن يقيم مركزه الاقتصادي والسياسي - على أخصب الاراضي الفلاحية مشردا عشرات الآلاف من الفلاحين ومحولا اياهم الى جيش من العاطلين الباحثين عن العمل. وقد خاب أمل الفلاحين بالاستقلال المزور، ذلك أن التحالف الذي أصبح سائدا والذي يتشكل من الاقطاع والبرجوازية الكمبرادورية عمل على تعميق سياسة الاستعمار. فلم يكتف هذا التحالف بالاستيلاء على الجزء الاساسي من اراضي المعمرين (التي هي أصلا أراضي الفلاحين) بل أصبح يوسع من ممتلكاته على حساب الفلاحين، وخاصة في المناطق الغنية.

وقد نهجت الدولة المخزنية التي تمثل مصالح هذا التحالف سياسة تهدف الى ترسيخ سياسة الاستعمار والمخزن المتمثلة في تقسيم المغرب الى "مغرب نافع" و"آخر غير نافع"، مغرب ترعاه الدولة المخزنية الاستعمارية الجديدة ومغرب مغضوب عليه الى يوم الدين. فأصبحت موارد الدولة الموجهة للفلاحة والتي تمثل جزءا هاما من ميزانية الدولة وأغلبية مجهوداتها التقنية والادارية (تشييد السدود وحفر القنوات وبناء الطرق والبنيات التحتية، منح القروض بفوائد مناسبة والمساعدات لشراء الآلات والادوات الفلاحية والاسمدة) تتوجه نحو تطوير بضعة مناطق سقوية يستحوذ عليها الملاكون الكبار اساسا ويتواجد فيها بعض الفلاحين الاغنياء. وفي نفس الوقت ظلت المناطق الاخرى التي تشكل ٩٠/٠ من الاراضي الصالحة للزراعة عرضة للضياع مما سارع من تفقير الاغلبية الساحقة من الفلاحين.

واستمرارا بل تعميقا لسياسة الحاق اقتصاد البلاد بالغرب الامبريالي، عمدت الطبقات السائدة، وبايعاز من حلفائها الامبرياليين، الى اعطاء الاولوية الاولى لتطوير الفلاحة التصديرية، وبذلك أظهر المعمرون الجدد أنهم ليسوا سوى الورثة المتخلفين للمعمرين القدامى.

وأمام ضعف امكانيات الاسواق الخارجية عمل هؤلاء الملاكون الكبار وكذا بعض

◄

ساندوا مجلة إلى الأمام

ساهموا في نشر الفكر الثوري

الفلاحين الأغنياء على تطوير المنتجات الفلاحية الموجهة نحو الصناعة (الشمندر وقصب السكر أساسا) مستفيدين من الاثمان المرتفعة التي تضمنها الدولة ومن التفقد المضمون لانتاجهم بفضل انشاء الدولة لمعامل السكر.

ان نتائج هذه السياسة واضحة وضوح الشمس. انها ادانة صارخة لسياسة المعمرين الجدد والسماسرة ونظامهم الذي يسيطرون على البادية وينهبونها نهبا.

فعلى المستوى الاقتصادي، ورغم كل الادعاءات حول تطوير البادية والاغتناء بالفلاح، فان انتاج القطاع التقليدي أي قطاع انتاج الحبوب الذي تعيش منه الاغلبية الساحقة من الفلاحين لم يتطور البتة، بل يزداد تقهقرا انتاجه سنة بعد أخرى، ما عدى بعض السنوات الاستثنائية التي تكون فيها الامطار والظروف مناسبة كسنتي ١٩٦٨ و ١٩٦٩.

وفي المقابل يتطور انتاج المناطق القوية لكن هذا التطور يظل نفسه ضعيفا ويلاقي صعوبات متزايدة رغم التشجيعات التي أتينا على ذكرها أعلاه. لذلك ظلت نسبة نمو الانتاج الفلاحي ضئيلة وقد لا تتجاوز ٢٠٠/٠ سنويا في المعدل وعلى المدى الطويل أي أنها ظلت أقل من نسبة ارتفاع السكان.

وهكذا تطور انتاج الفلاحة التصديرية (البواكر والحوامض والمعلبات الفلاحية...) لكن هذا التطور توقف منذ ما يقرب من عشر سنوات بسبب ارتفاع الاكتفاء الذاتي للسوق الاروبية المشتركة بفعل ارتفاع انتاج أوربا للبواكر والخضر وتوسيعها الى دول متوسطية (اليونان ثم البرتغال واسبانيا). لقد عرف الانتاج الفلاحي الموجه للصناعة (الشمندر وقصب السكر أساسا) تطورا مهما بسبب التضخم الهائل للمدن والنمو الديمغرافي وتطور العلاقات النقدية داخل البوادي. هكذا تطور الشمندر وقصب السكر والقطاع العصري لتربية المواشي وانتاج الحليب. الا أن هذا التطور نفسه يتم لصالح ملاكي الاراضي الكبار والكبار وربين وبعض الفلاحين الاغنياء الذين هم وحدهم القادرين على الاستفادة من مساعدات الدولة ومن القروض والاعفاءات الضريبية ومن أحسن الشروط لتسويق انتاجهم بفضل تحكمهم في معامل التحويل أو ارتباطهم بدواليب الدولة التي تسيطر على أغلبية معامل السكر.

ولعل من نتائج احتكار هذه الفئات الجشعة لهذه القطاعات، الغلاء المتفاقش للمواد الفلاحية الاساسية من سكر وحليب وزيت.

لقد أصبح العجز الغذائي ركنا أساسيا من أركان النمو المشوه والتبعي، وذلك رغم الامكانيات الضخمة التي تتوفر عليها البلاد في الميدان الفلاحي. ان ذلك لا يرجع كما يزعم النظام وحلفاؤه الى النمو الديمغرافي أو الى الاستهلاك المفرط لبعض المواد الغذائية. كما يحاول خبراء صندوق النقد الدولي اقناع الناس بذلك. انه يرجع أولا وأخيرا الى سيطرة الطبقات السائدة على البادية واخضاعها لتوجيهات الامبريالية. هذه التوجهات التي تؤدي الى تخصيص أحسن الاراضي وأغلبية المياه والجزء الاساسي من الموارد العمومية المخصصة للفلاحة للانتاج الفلاحي الموجه للتصدير بينما تخضع الاغلبية الساحقة من الفلاحين للتهميش وتتحول أراضيها تدريجيا الى صحاري.

والادهى من هذا هو أن هذه الفلاحة التصديرية تجد نفسها أكثر فأكثر أمام الباب المسدود. فرغم تنويع الاسواق نحو أوربا الشرقية ودول الخليج، ما زالت السوق الاروبية المشتركة هي السوق الرئيسية. وهذه الاخيرة ستغلق تدريجيا أمام المواد الفلاحية المغربية بل قد تصبح منافسا خطيرا للمغرب في الاسواق الاخرى. الا أن الطبقات السائدة في المغرب التي تربت وترعرعت في التبعية التامة للغرب سياسيا واقتصاديا وثقافيا لا تجد لها من حل سوى المزيد من الارتماء في أحضان أسيادها الامبرياليين مؤكدة ولائها التام واستعدادها لتقديم كل الخدمات مقابل الاستمرار في نفس العلاقات التبعية.

أما على المستوى الاجتماعي، فان النتائج أخطر وأمر:

١) ان الاخطار التي تهدد قطاع الفلاحة التصديرية ستكون لها انعكاسات اجتماعية مأساوية، فهذا القطاع يشغل ٢٤٠٠٠٠ عامل زراعي، واذا أضفنا العمال الذين يشتغلون في معامل التحويل ومحطات فرز وتلفيف الحوامض وفي مختلف الشركات التجارية، فان العدد الاجمالي للعمال والموظفين الذين يعيشون من هذا القطاع قد يصل الى نصف المليون. وهذا يعني أن تقهقر الانتاج سيؤدي الى بطالة ضخمة.

٢) ان أغلبية البوادي المغربية، أي مناطق ما يسمى بـ"المغرب غير النافع" تفرغ من سكانها الذين يقتلعون من بيئتهم وأرضهم ويفرض عليهم النزوح الى سدن القصدير حيث ينتظرهم التشرد والبطالة والجوع أو الى دول أوربا الغربية حيث يعانون من الغربة ويتحولون الى بضاعة في سوق النخاسة ويتعرضون الى الاستغلال المكثف وخطر فقدان هويتهم والى أبشع أشكال التمييز والتنكيل العنصريين. والخلاصة تبرزها الارقام التالية:

- هجرة ١٢٠٠٠٠ فلاح من البادية سنويا.
- ما يقرب من مليون مغربي فرضت عليهم الهجرة الى الخارج وأغلبيتهم الساحقة من البادية، وخاصة من مناطق "المغرب غير النافع".
- الاغلبية الساحقة من البوادي تفتقر لكل شيء: تفتقر للماء والكهرباء والسكن اللائق والمدرسة والطريق المعبدة ولأبسط مستوصف بينما تنعم مناطق استثمار ملاكي الاراضي الكبار بحصة الاسد من الاستثمارات العمومية.

الفوسفاط:

يشكل الفوسفاط أهم ثروة معدنية مغربية. فالمغرب يتوفر على ٢/٣ احتياط العالم من الفوسفاط وهو أول مصدر للفوسفاط في العالم. وقد كانت الجماهير الشعبية تراهن على أن يلعب تحكم المغرب في فوسفاطه بعد الاستقلال المزور دورا هاما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. الا أن الواقع مناقض لذلك تماما. وهكذا وبعد ثلاثين سنة من الاستقلال المزور، وبدل أن يساهم الفوسفاط في التنمية، أدى خضوع هذه الثروة لجشع الطبقات السائدة واستغلال الامبريالية ونهب النظام وفساد وارتشاء المسؤولين الى نتائج كارثية:

فالمكتب الشريف للفوسفاط غارق في

الديون حيث أن الديون اتجاه الانسحاب الاسبرالية وحدها تتجاوز خمسة ملايير درهم. وفرنسا قدمت العديد من القروض الكبيرة للمكتب الشريف للفوسفاط خاصة لتمويل انتاج ونقل الحامض الفوسفوري وهكذا وبالنسبة لسنتي ١٩٨٣ و ١٩٨٤ فقط قدمت فرنسا قرضين لتمويل الجرف الاصفر وسفينة لنقل الحامض الفوسفوري قيمتها تزيد على ١٤٢ مليار درهم.

ان مساهمة المكتب الشريف للفوسفاط في ميزانية الدولة ضعيفة بل منعدمة في كثير من الاحيان. ان الارقام الواردة في قوانين المالية حول مساهمته في تمويل الميزانية، رغم ضآلتها نسبة لامكانيات المكتب وتوسع نشاطه، لا تحترم تماما. وأحسن دليل على ذلك مساهمة المكتب في ميزانية السنتين الوحيدتين التي تمت فيهما تصفية حسابات الميزانية، ففي سنة ١٩٧٨ كان مقررا أن يقدم المكتب ٩٠٠ مليون درهم للميزانية ولم يقدم ولو سنتيما واحدا. أما سنة ١٩٧٩ فكان الرقم المقرر هو ٤١٧ مليون درهم لم يدفع منه المكتب سوى ٣٣٤ مليون درهما انها فضيحة حقا تبين مدى السرقة التي تتعرض لها خيرات البلاد على يد النظام وخدامه ومدى النهب الذي تمارسه الاسبرالية.

ان الاوهام حول النمو الهائل للانتاج وتطوير التحويل والتحكم في السوق الدولية قد تبخرت. فتصدير الفوسفاط الخام انخفض بشكل كبير منذ عشر سنوات ورغم تحويل جزء متزايد من الفوسفاط المستخرج الى حامض فوسفوري (٣٠ ٪ من انتاج الفوسفاط تقريبا)، فان الانتاج ما زال غير مستقر بل لم يصل المستوى الذي عرفه في أواسط السبعينات. والاحلام حول التحكم في الاثمان قد تهاوت وتقهقر الثمن الى حد أن قدرته الشرائية قد انخفضت بشكل كبير، ولم تجن الطبقات السائدة والنظام من العدوان ضد الشعب الصحراوي واحتلال أرضه والذي كان من بين أهدافه الاساسية الاستيلاء على خيرات الصحراء وخاصة الفوسفاط لتقوية موقعها في السوق العالمية للفوسفاط أي تحسين فعلي لموقعها في العلاقات الاقتصادية الرأسمالية وذلك بسبب طبيعتها المتخلفة وتبعيتها المتزايدة.

هكذا تحول الفوسفاط المغربي من نعمة الى نقمة بالنسبة للشعب المغربي.

فأين هي يا ترى، تلك الوعود الدمغوجية التي كانت تلوح بها البرجوازية حزب الاستقلال أيام الكفاح من أجل الاستقلال ان الفوسفاط المغربي، عوض أن يدر الخير على الشعب المغربي ويلعب دورا في التنمية، يساهم في استمرار وتعمق التبعية للاسبرالية (الفرق في الديون الخارجية، تصدير ٧٠ ٪ من الفوسفاط كمادة خامة، تحويل ٣٠ ٪ من الباقي الى مادة نصف مصنعة فقط) وفي الاستغلال المكثف للعمال كما يشهد على ذلك تدهور شروط العمل في هذا القطاع وتقلص القدرة الشرائية للاجور والاضطهاد الوحشي الممارس ضد العمال كما تفضح ذلك الاضرابات البطولية لعمال الفوسفاط في خريبكة وآخرها الاضراب الرائع لعمال اليوسفية. وعلى العكس من ذلك، تجني الاسبرالية الارباح الطائلة من الفوسفاط المغربي فهي، علاوة على الاستغلال المالي الذي تمارسه بفضل القروض الباهضة التكاليف تستفيد من التبادل اللاأستكافي الذي يجعل الفوسفاط يفقد قدرته الشرائية باستمرار. وهي تحرص على أن لا يتجاوز تحويل الفوسفاط مرحلة الحامض الفوسفوري وأن لا يهم هذا التحويل الا ولي سوى جزء من الانتاج الذي يتوجه نحو أسواق العالم الثالث (الهند، تركيا...) حتى تظل متحكمة في العمليات الانتاجية المربحة في بلدانها ولمصلحتها. وتجني الاسبرالية الارباح كذلك من كون المكتب الشريف للفوسفاط زبون للعديد من منتجاتها (مواد التجهيز وقطع الغيار بل حتى المعامل الكاملة).

أما النظام والطبقات السائدة فهم الآخرون يربحون الكثير، فاضافة الى السرقة والنهب المباشرين لخيرات المكتب (والتي لا تبين فضائح الرشوة التي تكشف بين الحين والآخر، سوى جزء بسيط وبسيط جدا)، فان شركائهم وسماسرتهم يستفيدون من الصفقات الكثيرة والمربحة التي يعقدها المكتب للحصول على العديد من المواد والخدمات التي يحتاجها.

الصيد البحري:

يتميز المغرب بطول شواطئه التي تطل على المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط. وتحتوي على خيرات سمكية هائلة تستطيع لو استغلت لمصلحة الجماهير الشعبية وبواسطتها أن تساهم بقسط وافر في تنمية البلاد وتحسين شروط تغذية السكان.

الا أن التوجهات الطبقة تؤدي الى ضياع هذه الثروة الهامة واستفادة الطبقات السائدة والمصالح الاجنبية منها.

فالطبقات السائدة التي تبحث دائما على الربح السريع والسهل لا ترى أي فائدة في تطوير انتاج الاسماك الموجه للسوق الداخلية لان ذلك لن يمكنها من جني أرباح كبيرة وبالعملات الصعبة بل هو يتطلب عملا صبورا ودؤوبا لتنظيم توزيع الاسماك واقناع المواطنين تغيير عاداتهم الغذائية عبر التوعية وعبر توفير منتوج جيد وبأثمان مناسبة. لذلك فان سياسة الطبقات السائدة في ميدان الاسماك والصيد البحري تفضح هي أيضا كل ذلك الكلام الرسمي المعسول حول ضرورة سد العجز الغذائي. فكل ما يهم هذه الطبقات هو الارباح ثم الارباح. لذلك فهي تفضل تأسيس الشركات الكبيرة مع المصالح الاجنبية بهدف الاستغلال المشترك. والانتاج هنا يتوجه نحو السوق الاوربية وغيرها من الاسواق المربحة أما حماية الشواطئ من النهب من طرف الصيادين الاجانب، فلا يعيرها النظام أية أهمية نظرا لتبعيته وتواطؤه مع الاسبان الذين يسمح لهم بنهب الثروات السمكية مقابل بعض الفتات وبعض الدعم السياسي في قضية الصحراء الغربية.

ان نمو الصيد الصناعي الذي يحتاج الى امكانيات كبيرة (بواخر كبيرة ومتخصصة) يتم على حساب الصيادين الصغار الذين يلتحقون تدريجيا بصفوف العاطلين. ان الصيد الشاطئي يتقهقر باستمرار منذ سنوات وقد انخفض سنة ١٩٨٥ وحدها بنسبة ٢٥ ٪ بينما ارتفع الصيد في أعالي البحار بنسبة ٣٦ ٪ في نفس السنة.

◄

اشارات الى القطاعات الاقتصادية الاخرى:

لقد تطرقنا بشيء من التفصيل لهذه القطاعات لتبيان مدى تعرض الخيرات الطبيعية الاساسية للنهب والضياع وسنكتفي ببعض الاشارات فقط فيما يخص القطاعات الاقتصادية الاخرى.

لقد عرفت الصناعات التحويلية نموا كبيا خلال السبعينات. لكن نسبة النمو تضاءلت بعد ١٩٧٧ حيث لم يتجاوز ٢،٣ ٪ في المعدل السنوي ما بين ١٩٧٧ و١٩٨٤.

ويرجع ذلك الى الصعوبات التي تلاقيها الصناعات التصديرية في الاسواق الخارجية وخاصة السوق الاوربية المشتركة وكذا الى ركود الصناعات الموجهة نحو السوق المحلية بسبب ضيق السوق وانخفاض القدرة الشرائية لاغلب الجماهير الشعبية (الغلاء، الزيادة الفاحشة في الضرائب جمود الاجور أو زيادات ضئيلة.)

ان السبب الرئيسي لنمو القطاع الصناعي حتى حدود ١٩٧٧- يتمثل في نمو الصناعات التصديرية. وهذه "الصناعات" تتعلق في الحقيقة في جزء هام منها، في القيام ببعض عمليات الانتاج البسيطة التي تظل تخضع للشركات الامبريالية وقد تطورت هذه الصناعات في قطاع النسيج (صناعة الملابس) والاحذية وبعض صناعات التركيب.

ان هذا النمو كما يظهر نمو مشوه وتابع: فالشركات الاجنبية باستطاعتها أن تحول الانتاج بين عشية وضحاها من بلد الى آخر حسب امكانيات الربح وخلفة ورائها مئات العاطلين. وهذا "الانتاج" نفسه مؤقت، ذلك أن الشركات تحاول اعادة هيكلة الانتاج لكي يتم بأكمله في المتربلات ثم ان هذه الانشطة "الصناعية" لا تستفيد منها الطبقة العاملة لاكساب خبرة تقنية وذلك أن تحويل هذه الانشطة الى دول العالم الثالث يجد سببه بالضبط في امكانية الاستغلال المكثف لليد عاملة لا تتوفر على مهارة تقنية.

وأخيرا فان هدف انشاء هذه الانشطة هو الاستغلال السريع والمكثف لقوة العمل، لذلك فالاجور بخسة وشروط العمل قاسية والقوانين لا تحترم والعامل لا يتوفر على أدنى استقرار ولا على أية حقوق ومكتسبات اجتماعية. وفي المقابل تستطيع الشركات الامبريالية وحلفائها المحليين مراكمة الارباح بدون حسيب أو رقيب.

فأصحاب هذه المعامل لا يؤدون الضرائب ويستطيعون طرد العمال بجرة قلم وتوفر لهم الدولة العديد من الامتيازات منها المناطق الصناعية المجهزة.

أما قطاع البناء فانه يشبه الى حد كبير هذه الانشطة "الصناعية" الطفيلية التي أتينا على ذكرها أعلاه. فالعمال يعانون فيه من انعدام أية قوانين تحميهم من جشع المضاربين ويستغلون استغلالا بشعا له الجبين. أما الملاكون العقاريون الكبار فيمتصون دم وعرق الجماهير الغفيرة من سكان المدن اللذين يؤدون أثمانا باهضة لكراء وشراء أبسط مسكن.

انه نهب منهجي يمارسونه بتواطئ مع حكام هذه البلاد. وما يزيد من أرباح هؤلاء المضاربين ما تسديه عليهم الدولة من عطاءات ومنح وامتيازات واعفاءات ضريبية تضمنها قوانين الاستثمارات العقارية، وكل ذلك تحت غطاء حل "أزمة" السكن" التي يتسبب فيها بالضبط احتكار المضاربين للاراضي في المدن.

أما قطاع الاشغال العمومية فانه لا يزال تحت سيطرة بعض الشركات الفرنسية الكبى التي اشتركت معها بعض الكبراء وربين والتي تحصل على حصة الاسد من المشاريع العمومية. لكن هذا القطاع أصبح يعاني بشكل خطير من التقلص الكبير الذي عرفته ميزانية التجهيز منذ ١٩٧٨.

والنتيجة أن نشاط قطاع البناء والاشغال العمومية قد انكمش منذ سنة ١٩٧٨ حيث انخفض انتاجه بنسبة ٤٠ ٪. وظل منذ ذلك الحين والى حد الان في نفس المستوى المتدني جدا. وقد ولد ذلك بطالة ضخمة لان هذا القطاع يشغل اليد العاملة بوفرة (ما يقرب من نصف مليون شخص).

يتغنى النظام وخدامه بالانجازات في ميدان النقل والمواصلات وبتطور البنيات التحتية من موانئ وطرق وسدود... حقا لقد تطور النقل وتطورت المواصلات والبنيات التحتية. لكن لفائدة من؟

ان نظرة سريعة تبين أن المستفيد الاول والاساسي هم الطبقات السائدة وحلفائهم في الخارج. فالنقل الذي عرف اسرع وتائر النمو هو نقل الصادرات والواردات بحرا وبرا (عبر الطرقات والسكك الحديدية) والمواصلات السلكية واللاسلكية تستفيد منها الشركات الكبرى في علاقاتها مع مختلف فروعها وزبنائها وشركائها الام في المراكز الامبريالية. فهو بالاساس وسائل لتسهيل استغلال خيرات البلاد. لذلك ليس من الغريب أن يكون من السهل الاتصال هاتفيا بفرنسا أو ألمانيا الغربية أو غيرها من دول أوربا الغربية بينما يتعذر تماما الاتصال ببعض المدن أو القرى المغربية البعيدة عن "المغرب النافع".

والبنيات التحتية نفسها مرآة لعلاقات التبعية: فهي ضرورية لتسهيل نقل خيرات البلاد نحو الخارج، ونظرة الى الخريطة تبين أن أغلبية وأحسن الطرق تتجه نحو الدار البيضاء وغيرها من الموانئ. والطرق والموانئ ما هي في نهاية المطاف سوى شرايين يتم عبرها امتصاص خيرات البلاد لتصديرها. أما المغرب "الغير النافع" فانه يكتفي بالفتات فيما يخص البنيات التحتية. منذ بداية الستينات والدولة تحلم بتطوير السياحة وخصصت لذلك الغرض مساعدات وموارد هامة استفادت منها الشركات الكبى الرأسمالية والطبقات السائدة المغربية. لكن النتائج ظلت ضعيفة بالنسبة للمجهودات. ولا أدل على ذلك من أن عدد السواح ظل يتأرجح بين مليون ومليون ونصف منذ أزيد من عشر سنوات ولم يشهد أي زيادة تذكر.

لكن الاسوء من ذلك هو ما تشهره هذه السياحة من تفسخ وانحلال في جسم المجتمع. فأغلبية الفنادق الفاخرة أصبحت أوكارا للدعارة لفساق الخليج وغيرهم التضخم السرطاني للادارات.

ان النمو المشوه والتبعي للبلاد وارتكاز النظام والطبقات السائدة على القوة للحفاظ على سلطتهم ومصالحهم واندفاعهم في حرب عدوانية ضد شعب شقيق، كلها عوامل أدت الى انتفاخ الادارات وتضخم عدد قوات القمع التي أصبحت تلتهم جزءا كبيرا من المنتوج الداخلي الخام، خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار كل الاتاوات والرشاوى التي

تفرضها على الجماهير. لقد أصبحت الادارة حقا اخطبوطا يجثم على جسم المجتمع ويمتص خيرات هائلة تنتجها الجماهير الكادحة من فلاحين وعمال وحرفيين بكدها ومعاناتها. لا يوجد أي قطاع عرف نفس الانتفاخ مثل الادارات فاذا كان عدد موظفي الادارة الاستعمارية (بما في ذلك المغاربة والاجانب) لا يتعدى ٣٦٠٠٠، فان عدد الموظفين قفز الى ١٧٠٠٠٠ سنة ١٩٦٨ ثم ٥٣٢٠٠٠ سنة ١٩٨٢ وقد يتجاوز ٦٠٠٠٠٠ حاليا.

وذا كان هذا الارتفاع يرجع، في جزء لا بأس به في السنوات الاولى التي تلت الاستقلال المزور، الى تعويض رجال التعليم، وذلك تحت ضغط الجماهير الشعبية وقواها الجذرية، فانه سرعان ما أصبح يرتبط مباشرة بأهداف الاستغلال الامبريالي الكبيراوي لبلادنا وبحاجة النظام الى توفير قاعدة اجتماعية تدعمه وبناء أجهزة بوليسية وعسكرية تحميه من غضب الجماهير. فزيادة على وظائفها التقليدية (الحفاظ على الامن أي ضمان استقرار سلطة التحالف الطبقي السائد، وتقديم الحد الادنى من الخدمات الاجتماعية وتشييد البنيات التحتية) تقوم الدولة في المغرب بمهام خاصة ترتبط بضرورة توفير امكانيات الربح السريع للطبقات السائدة وذلك بالقيام باستثمارات ثقيلة ذات مردودية مالية ضعيفة على المستوى القريب، مثلا زيادة على اقامة السدود ومد قنوات المياه من أموال الشعب ولفائدة ملاكي الاراضي الكبار أساسا لجأت الدولة الى بناء معامل السكر حتى يجد هؤلاء الملاكون امكانيات جديدة لاستثمار أراضيهم وتضمن لهم كذلك أثمانا مربحة لمنتوجهم من شمندر وقصب السكر. مثال آخر يتجلى في اقامة الدولة لمناطق صناعية مجهزة لفائدة الشركات الامبريالية وشركائها المحليين.

ولعل من العوامل الاساسية وراء انتفاخ الاجهزة الادارية ذعر وهلع النظام أمام تزايد السخط الجماهيري وانفجاره، بين الفينة والاخرى، في شكل انتفاضات عنيفة. ان النظام خوفا من تطور وعي ونضالية الجماهير، يلجأ الى توسيع مؤسساته القمعية وتنويعها، ولا أدل على ذلك من العدد المتزايد في العمالات وغيرها من الدوائر الادارية والعدد الكبير من البوليس... حقا ان النظام يطبق شعار "تقريب الادارة من المواطنين" بالشكل الذي تسمح به طبيعته الاستبدادية المخزنية أي "تقريب وتشديد القمع على الجماهير واحصاء أنفاسها".

وأخيرا، ولمدة أكثر من عشر سنوات والحرب العدوانية الظالمة في الصحراء تقدي، تضخم الجهاز العسكري حيث يعتقد الكثير من الملاحظين أن عدد العاملين في الجيش والقوات المساعدة والدرك تجاوز ٣٠٠٠٠٠ أي ما يناهز نصف مجموع الموظفين.

"حلول" رجعية تعمق الأزمة

ان هذا العرض السريع يبرز أن "النمو" المشوه والتابع لاقتصاد البلاد الناتج عن طبيعة الطبقات السائدة كطبقات عميلة وشريكة للامبريالية في استغلال خيرات البلاد الطبيعية والبشرية وعن طبيعة النظام كنظام عميل استبدادي مخزني، ان هذا "النمو" هو بالضبط المسؤول عن الازمة الاقتصادية والاجتماعية التي تتكثر وتتنوع مظاهرها.

لذلك فان كل كلام النظام عن أن الازمة ما هي الا نتاج لعوامل خارجية كارتفاع سعر الدولار ونسبة الفائدة على القروض وارتفاع أثمان النفط أو عوامل طبيعية لا حول للنظام ولا قوة على مواجهتها كالجفاف أو النمو الديمغرافي، إن كل هذا الكلام يهدف الى تبرئة ذمة النظام والطبقات السائدة والامبريالية على ما آلت اليه أوضاع الجماهير الشعبية من تفقر وخيرات وطننا من ضياع.

حقا ان هذه العوامل الخارجية والطبيعية تفاقم من الازمة ولكنها لا تلعب دورها الا لان الاقتصاد تبعي وخاضع للسوق الرأسمالية العالمية. ان الرجعية المغربية والرأسمال الاجنبي لا يمكنهم أن يعترفوا بالاسباب العميقة للازمة لذلك فانهم يكتفون بايجاد حلول رجعية لمعالجة نتائج استغلالهم المكثف ونهبهم لنأخذ مثالا عن ذلك: ان "النمو" المشوه والتابع قد أدى بالخصوص في شروط النصف الاخير من السبعينات وبداية الثمانينات المتميزة بارتفاع قيمة الدولار والفوائد وأثمان النفط الى ارتفاع مهول للديون الخارجية وعجز خطير في الميزان التجاري وميزان الاداءات الجارية. وما دامت الطبقات السائدة لا تستطيع أن تدين نفسها بالاعتراف بأن تسييرها للاقتصاد هو المسؤول عن هذه الكارثة، فانها تبحث عن كبش الضحية والفداء.

فحسب الرجعية والامبريالية ان الجماهير هي المسؤولة عن تفاقم عجز الميزانية لانها تريد التعليم والصحة مجانا ولانها تفرط في الاستهلاك. لذلك وجب تقليص ميزانية التعليم وغيرها من الميزانيات الاجتماعية، الغاء الدعم للمواد الغذائية الاساسية. والحقيقة مختلفة عن ذلك تماما. فعجز ميزانية الدولة يجد تفسيره في تضخم أجهزة الدولة الاقتصادية والايديولوجية والقمعية الضرورية لاستمرار هيمنة النظام والطبقات السائدة سياسيا واقتصاديا وايديولوجيا وكذا في تدخل الدولة في العديد من القطاعات الاقتصادية لخلق شروط المردودية السريعة والسهلة بالنسبة للرأسمال الامبريالي والكمبرادوري كما أوضحنا ذلك أعلاه، وكذلك في التكاليف الباهظة لحرب الصحراء. وما يسمى بدعم المواد الغذائية ليس في الحقيقة سوى كذب وخديعة. فلو افترضنا نظاما أكثر عدالة تستفيد فيه الاغلبية العظمى من الفلاحين من التجهيزات التي تشيدها الدولة ومن المساعدات الهامة التي تذهب غالبا الى جيوب كبار ملاكي الاراضي الكبار، ولو افترضنا اندثار كل أولئك الوسطاء والمرابين والتجار الكبار الذين ينهبون الفلاح والدولة (أي أموال الشعب)، ولو افترضنا أن الطاحن وشركات انتاج الزيوت والحليب والسكر أصبحت ملكا للجماهير الشعبية لا صبحت أثمان المواد الغذائية الاساسية بدون شك أرخص مما هي عليه الان دون أن تكون الدولة في حاجة الى دعمها. وما يظهر هنا هو أن الدولة تدعم في الحقيقة ملاكي الاراضي الكبار والتجار الكبار والوسطاء وليس أثمان المواد الغذائية الاساسية.

ان الحلول التي ابتدعتها الامبريالية يطبقها النظام لاعادة التوزنات الاساسية الى نصابها قد عبرت عن فشلها التام.

ورغم أن الدولة تطبق منذ ١٩٧٨ سياسة تقشف تقاسي من ويلاتها الجماهير الشعبية فان عجز ميزانية الدولة ما زال على ما هو عليه بالرغم من الانخفاض الكبير للاستثمارات العمومية.

أما اعادة توازن الميزان التجاري وميزان الأداءات، فانها سراب في سراب.

فسياسة تقليص الواردات تتحطم على جدار الارتفاع المستمر لاثمان الواردات، خاصة بعد انخفاض قيمة الدرهم منذ ٨٣ وأمام نتائج التبعية الغذائية والطاقية والتكنلوجية وأخيرا أمام استيراد الكماليات وسياسة تنمية الصادرات ترتطم هي الاخرى بالتغيرات الجوهرية التي أتينا على ذكرها أعلاه فيما يخص سياسة السوق الاوروبية المشتركة وباستمرار تخصص البلاد في انتاج الخامات الفلاحية والمعدنية وبعض المواد النصف مصنعة أساسا. والنتيجة هي تفاقم العجز التجاري ورغم مداخيل السياحة والعمال المهاجرين يظل ميزان الأداءات عاجزا بسبب ثقل الفوائد على الديون الخارجية. فالنظام يستجلب الديون الجديدة لأداء فوائد الديون القديمة فقط، وهذا هو ما يسمى بالمديونة. وواضح أن هذه العملية تؤدي الى تراكمة ديون أكبر أي أنها تؤجل المشكل مع تعميقه أكثر.

ان أزمة الديون الخارجية باستجلاب المزيد من القروض الاجنبية هو مثل محاولة علاج ادمان المخدرات بتناول المزيد منها.

لقد أصبح النظام يطلب بالحاح من القطاع الخاص المغربي والاجنبي القيام بالاستثمارات ويعتبر أن ذلك هو الحل للازمة وأن الدولة لم يعد بوسعها القيام باستثمارات في القطاعات الاقتصادية.

وقد ازدهر بارتباط مع الموجة الليبرالية الجديدة في الغرب التي أصبحت طاغية في أمريكا في ظل حكم ريغان وفي بريطانيا مع تاتشير والان في فرنسا مع صعود اليمين الى السلطة، خطاب يمتدح محاسن القطاع الخاص ودوره الحيوي "المزعوم في التنمية الاقتصادية وفي مواجهة مشاكل البطالة وفي حل أزمة المالية العامة للدولة والعجز في الميزان التجاري ... وقد وجدها الكمبرادور فرصة ذهبية للمطالبة بالمزيد من المساعدات والاعفاءات الضريبية وبالمزيد من التسلط على رقاب العمال وبالمزيد من التحكم في الاثمان.

ان نشرة CEDIES وهي نشرة "رجال الاعمال" بالمغرب تعبر أحسن تعبير عن هذا الجشع التنامي للبرجوازية الطفيلية.

ولم تتخلف مختلف الامبرياليات عن المطالبة هي الاخرى بنصيبها من الوزيعة، فزيادة على كل شروط النقد الدولي المجحفة، يكفي قراءة جريدة "الحياة الاقتصادية" (عدد ٢٠ غشت ١٩٨٦) للتأكد من الشروط الجائرة التي يضعها الرأسمال الغربي للاستثمار في المغرب. ففي هذا العدد، وفي اطار لقاء بين رؤساء الغرف التجارية لدول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية مع مدير ديوان وزير المالية طالب هؤلاء بـ:

- الغاء قانون المغربة صراحة
- توقيف انخفاض قيمة الدرهم.
- الغاء الرقابة على الصرف.
- تنقية السوق الداخلية وذلك عبر:
  - مكافحة التهريب.
  - مكافحة اغراق السوق بالبضائع بأثمان بخسة (Dumping).
  - مكافحة الغش في أداء الضرائب
  - مكافحة عدم احترام القوانين الاجتماعية.
- توضيح الضرائب (بمعنى الغاء بعض الضرائب وتخفيض بعضها الاخر).

وطالب رؤساء الغرف هؤلاء باجراءات أخرى تندرج في اطار تخفيض تكاليف الانتاج، كتخفيض سعر نقل البضائع والطاقة.

وقد وافقت الدولة على العديد من هذه المطالب وهي تدرس المطالب الاخرى محاولة بكل ما أوتيت من امكانيات ارضاء القطاع الخاص. الا أن المراهنة على هذا الاخير لتجاوز الازمة مراهنة خاسرة لان طبيعة القطاع الخاص نفسها هي التي ولدت وتولد الازمة باستمرار. ذلك أن القطاع الخاص المحلي غير مستعد لتوجيه استثماراته نحو القطاعات المنتجة. لماذا؟ لان الانتاج من أجل السوق المحلية يعاني من الركود بسبب التفقير الذي تعاني منه الجماهير ويتعرض لمنافسة قوية مع فتح السوق الداخلية على البضائع الاجنبية. أما الانتاج نحو الاسواق الخارجية فانه محفوف بالخطر كما رأينا ذلك.

ثم لماذا المخاطرة والدولة الاستعمارية الجديدة تخلق امكانيات للربح السهل والمضمون؟ أليس من الاحسن بالنسبة للطبقات السائدة أن تسلف أموالها للدولة بفوائد مرتفعة: ١٤٪ سنويا ودون أداء ضرائب كما وقع بالنسبة للقروض الداخلية التي أصدرتها الدولة وتهافت عليها البرجوازيون؟ أليس من الاحسن أيضا ايداع الاموال في الابناك التي أصبحت فوائد معتبرة على الايداعات لاجل؟ أليس من الاحسن اخراج الاموال الى الاسواق المالية الدولية ومحاولة الاستفادة من نسب الفائدة المرتفعة أو من قيمة العملة المربحة في هذا البلد أو ذاك؟ ثم ان البرجوازية المحلية ذات الطبيعة الكمبرادورية ستجد الكثير من امكانيات الاثراء السريع مع فتح أبواب الاسواق الداخلية على مصراعيها في اطار تطبيق أوامر صندوق النقد الدولي. و المضاربات العقارية هي الاخرى، ميدان خصب لمراكمة الاموال. ان البرجوازية المحلية تفضل الصفقات المربحة والمضاربات العقارية والتجارية وبناء الفنادق والتوظيفات المالية. لماذا ستكلف نفسها عناء انشاء صناعات جديدة ومشاريع اقتصادية في الوقت الذي تتفتح أمامها امكانيات الربح السريع والمربح والمضمون وفي الوقت الذي تقدم لها الدولة مؤسسات القطاع العمومي على طبق من ذهب؟ أليس من الاحسن بالنسبة لهذه البرجوازية التي لم تكن أبدا سباقة لانشاء الصناعات بل ظلت تطالب بمشاركة الرأسمال الاجنبي في الوحدات الانتاجية التي تشيدها. كما وقع في اطار المغربة، أن تستلم شركات النقل العمومي في المدن فتطرد العديد من العمال وتزيد في الاثمان أو أن تستحوذ على معامل السكر أو غيرها من المعامل المزدهرة، وذلك طبعا بدون مقابل أو بأثمان زهيدة؟

لماذا اذن كل هذا الكلام على الدور الاساسي للقطاع الخاص في التنمية؟ انه في الحقيقة مجرد تبرير ايديولوجي للتراجع على مكتسبات العمال وللهجوم

على النقابات وللزيادة في الاثمان ولتقوية شركات القطاع العمومي التي شيدت بأموال الشعب الى كروش الحرام والى الامبريالية.

ان المصالح الامبريالية متحفظة من الاستثمار في المغرب، وذلك لاسباب كثيرة منها أن قانون المغربة، وان لم يعد جاريا المفعول بالنسبة لقوانين الاستثمارات الجديدة، فانه لم يتم الغاؤه صراحة. ان المصالح الامبريالية التي تقبلت مشاركة الطبقات السائدة في رأسمالي شركاتها، في اطار عملية المغربة في ظروف سنوات ٧٣-١٩٧٤، أصبحت تتضايق من هذه المشاركة خاصة وأنها أصبحت في وضعية أحسن لفرض شروطها على الطبقات السائدة المحلية نفسها.

ان الحاح الامبريالية على الغاء القانون المتعلق بالمغربة وعلى فتح امكانيات الاستثمار في كل القطاعات، بل مطالبتها باستلاك الاراضي الفلاحية، يؤشر على مدى عمق أزمة الطبقات السائدة في علاقاتها مع الامبريالية.

ان امكانيات تطور الاستثمارات الامبريالية المباشرة في المغرب ترتطم أيضا بصعوبات تتعلق، في نهاية المطاف، بطبيعة البرجوازية المحلية وطبيعة دولتها.

فالبرجوازية الكبرى والبرقراطية الكبيرة المدنية والعسكرية تجني الارباح الكبيرة من تهريب البضائع والغش والاحتيال على القوانين والتهرب من أداء الضرائب والحصول على الصفقات بفضل الرشوة وعدم احترام حقوق العمال.

ان هذه الممارسات تؤدي الى منافسة غير عادلة تتضرر منها الشركات الامبريالية ذات الطابع العصري لانها عادة ما تتوفر على حسابات وعمال دائمين ومنقبين أحيانا ولا يمكنها أن تلجأ الى الغش والى التهرب من الضرائب بالشكل السافر الذي تمارسه العديد من أنشطة الطبقات السائدة. ان المصالح الامبريالية تحتاج الى أن يكون اطار نشاطها واضحا حتى تستطيع معرفة مردودية استثماراتها مسبقا أي أنها بحاجة الى قواعد قارة ومعروفة ومحترمة من طرف الجميع لممارسة النشاط الاقتصادي. الا أن ذلك غير ممكن في المغرب بسبب الرشوة في الادارة وبسبب نمو قطاع غير منظم يعمل دون احترام أية قوانين.

لقد أوضحنا أن "النمو" المشوه والتابع للاقتصاد الغربي (الذي هو تعبير عن طبيعة الطبقات السائدة) هو المسؤول الرئيسي عن الازمة الاقتصادية والاجتماعية. ان خضوع اقتصاد البلاد للنظام الرسمالي العالمي عبر اندماج الطبقات السائدة في شبكة كثيفة من العلاقات الاقتصادية والمالية هو الذي ينتج هذا النمو المشوه والتابع وهو الذي يسمح للامبريالية باعادة احكام سيطرتها التامة على البلاد بعد أن حاولت الطبقات السائدة في المغرب تحسين موقعها في السوق العالمية في أوساط السبعينات عبر زيادة أثمان الفوسفاط وانشاء بعض الصناعات.

لتفسير ذلك لا بد من الرجوع الى الوراء، ففي بداية السبعينات وبعد الضربات التي تلقتها الامبريالية الامريكية في الفتنام وتأميم عدد من الانظمة الوطنية للخبرات الوطنية والشركات الاجنبية، تطورت حركة واسعة ضغطت من أجل تحسين الاوضاع الاقتصادية لدول العالم الثالث. وحتى الانظمة التبعية مثل المغرب حاولت الاستفادة من هذه الموجة. فكان الارتفاع الهائل لاثمان الفوسفاط سنة ١٩٧٤ وشاريع انشاء معامل الحامض الفوسفوري وعملية المغربة والكلام عن التصنيع. الا أن طبيعة الطبقات السائدة التي لا تسمح، في أحسن الاحوال، سوى بتحسين وضع التبعية وليس القضاء عليها من جهة، وطبيعة التغيرات التي عرفتها الامبريالية، وخاصة الامريكية، حيث تعمق طابعها المالي - ان ذلك سيؤدي الى المزيد من التبعية وتدهور شروطها والى الغرق في الديون الخارجية. وهكذا فان الطبيعة التبعية للطبقات السائدة أدت الى أن تتجه الاستثمار - وبامتياز من الدوائر الامبريالية التي بدأت تتكلم عن تحويل عدد من الصناعات الى العالم الثالث وفتح أسواقها أمام منتجاته الصناعية - أساسا الى القطاعات التصديرية والى تشييد البنيات الضرورية لذلك. أما تمويل هذا "النمو" فقد كان باللجوء الى القروض الاجنبية.

وحتى تستطيع الامبريالية توظيف هذه المحاولات "التنموية" المزعومة لاعادة احكام قبضتها على دول العالم الثالث لجأت الى الوسائل التالية:

١) ان تحويل الصناعات الى العالم الثالث لم يمس سوى عدد صغير من الدول (ما يسمى بالدول الصناعية الجديدة) وظل محصورا في بعض الصناعات الملوثة أو التي تستغل اليد العاملة بوفرة. بل حتى في هذه الميادين برزت بسرعة ميولات حمائية كما هو الحال بالنسبة للنسيج الذي فرضت السوق الاوروبية المشتركة على المغرب مثلا الحد من صادراته منذ ١٩٧٧.

٢) ان الامبريالية دفعت دول العالم الثالث الى التخصص في عدد قليل من المنتوجات الصناعية ذات القيمة المضافة الضعيفة مما أدى الى تنافس ضار وأثمان ضئيلة خاصة وأن الطلب في ركود.

٣) وعلى كل حال ظلت الاغلبية الساحقة لدول العالم الثالث ومنها المغرب دول مصدرة للمواد الاولية والفلاحية والمعدنية أساسا، هذه المواد التي ظلت تخضع للاحتكارات الرأسمالية العالمية وتتميز قدرتها الشرائية بالانخفاض.

٤) وعلى عكس ذلك فان التجهيزات والمواد المصنعة التي تستوردها الدول التابعة من دول المركز عرفت ارتفاعات صاروخية في أثمانها في نفس الوقت الذي كانت فيه الفاتورة النفطية والغذائية ترتفع سنة بعد أخرى. وقد أدى ذلك الى توسع العجز التجاري وضرورة تمويله بالقروض الاجنبية.

٥) وأخيرا أصبحت القروض الاجنبية باهظة التكاليف: ان الامبريالية لاحكام الطرق على الدول التابعة أصبحت تقلل مما يسمى بـ"الاعانة" العمومية - وهي في الحقيقة قروض وليست اعانة لكنها قروض بفوائد مناسبة ولامد طويل - وتفضل أن تقدم الابناك الامبريالية القروض المباشرة الى دول العالم الثالث وبشروط جهنمية (فوائد مرتفعة جدا ولامد قصير أو متوسط وما زاد الطين بلة أن الدولار بدأ في الارتفاع في نهاية السبعينات.

هذه اذن، في نظرنا هي العوامل الخارجية التي تظافرت مع العوامل الداخلية التي أوضحناها حول طبيعة "النمو" المشوه والتابع لانتاج واعادة انتاج ◀

الا زمة الا قتصادية والمالية.

وغني عن البيان أن تعمق هذه الا زمة يوفر أحسن الشروط للا مبريالية - عبر مثلها صندوق النقد الدولي وعبر التدخل المباشر لمختلف الا مبرياليات - لفرض شروط جديدة أكثر قساوة لا ستغلال الشعوب المغبون عليها ولتحديد موقع الطبقات السائدة نفسها في عملية الا ستغلال هذه.

وقد فرضت الا مبريالية على المغرب العديد من الا جراءات الا قتصادية التي تتحمل عبأها الجماهير الشعبية. لكن هناك أيضا بعض الا جراءات التي من شأنها أن تعمق التناقضات وسط الطبقات السائدة نفسها. فالتراجع عن المغربة وفتح أبواب السوق الداخلية أمام الشركات الكبرى الا مبريالية والغاء الا فضلية بالنسبة للشركات المحلية فيما يخص الصفقات العمومية، كلها تدابير تضر بمصالح الفئات الغير احتكارية وسط الطبقات السائدة وتقلص من القاعدة الطبقية للنظام وتهدد اجماع الطبقات السائدة بالا نفجار.

كما أن تعمق الا زمة ولهات النظام وراء القروض الا جنبية يعطي مختلف الا مبرياليات سلاحا قويا لفرض المزيد من التنازلات السياسية على النظام. لذلك ليس من الغريب أن يتقفى الطابع الخياني للنظام وأن تصبح عمالته للا مبريالية والرجعية العربية والصهيونية أكثر وقاحة وتآمره على نضالات الشعوب أكثر خبثا وانفضاحا مع اشتداد أزمته الا قتصادية والمالية.

فالنظام يلعب دورا هاما في مخططات الا مبريالية ضد شعوب افريقيا. هكذا فان الجنود المغاربة تدخلوا مرتين في الزايير في ١٩٧٨و٧٧ لمساعدة الدكتاتور العميل موبوتو وفي بنين بهدف اسقاط النظام الوطني المناهض للا مبريالية هناك، وكل ذلك في اطار عمليات خططت لها وأشرفت عليها الا مبريالية. والنظام يرسل جنوده وضباطه لضمان أمن بعض الا نظمة العميلة مثل فينيا الا ستوائية. وقد حاول النظام الا طاحة بالنظام الموريتاني. ولم يتوقف النظام عن التأكيد على أنه يدافع على الغرب الا مبريالي وعلى العالم الحر في الصحراء الغربية مستغلا بذلك كل أدعاءات القديمة الا صلاحية حول الحرب الوطنية المزعومة وحول الدفاع عن حرمة الوطن".

والنظام الملكي في المغرب يقيم علاقات سرية مع جنوب افريقيا، نظام العنصرية البغيض ويشتري منه الا سلحة لمحاربة الشعب الصحراوي الشقيق. كما أنه يوفر معسكرات لتدريب المرتزقة الذين تستعملهم الا مبريالية لضرب الا نظمة الوطنية المناهضة للا مبريالية في افريقيا كما هو الا مر بالنسبة

الهجوم الرجعي على

لقد أصبح النظام يعطي أهمية كبيرة للميدان الفكري في السنوات الا خيرة بعد أن كان لا يولي الا أهمية هامشية للثقافة والمثقفين. وبشكل ذلك جزءا من مخطط شامل يستهدف تشكيل قاعدة اجتماعية تسانده وبناء أجهزة ايديولوجية تساهم في ترسيخ سيطرته وبلورة منظومة فكرية تنظر لشرعيته.

وقد حقق النظام بعض النتائج فيما يخص لف المثقفين حوله وغزو الساحة الثقافية.

سنحاول في هذا المقال توضيح الهجوم الرجعي على الساحة الثقافية وتفسير أسباب التقدم الذي حققه لصالحه في هذا الميدان وحدوده وكذا المهام المطروحة لمواجهته.

الهجوم الرجعي على الساحة الثقافية ونتائجه

تشهد الساحة الفكرية في المغرب غزوا خطيرا من طرف مختلف المنابر والمؤسسات الايديولوجية والجمعيات المتنوعة للنظام والطبقات السائدة والرجعية العربية والا مبرياليات الا وروبية والا مريكية.

فالنظام يعمل جاهدا لتجنيد عدد من مؤسساته الايديولوجية واعطائها دينامكية أكبر كما أنه يبني أجهزة ايديولوجية جديدة ومتنوعة. وهاكم بعض الا مثلة:

- لقد عرفت وزارة الاعلام، وبالخصوص التلفزة - لما لها من دور أساسي في الدعاية - اعادة لهيكلتها وادخال العديد من الاصلاحات في محاولة لاعطائها نفسا جديدا يمكنها من التأثير على الجماهير الشعبية وتخديرها. وبموازاة ذلك تعمق تحكم النظام فيها وطابعها القمعي حيث أصبح المسؤول عنها هو وزير الداخلية وأصبح جل المراقبين في وزارة الاعلام موظفون سابقون في وزارة الداخلية.

- وفي نفس الاطار بدأت وزارة الثقافة تقوم ببعض المبادرات الثقافية سعيا لاحتواء المثقفين: مثلا مهرجان كرونوبل ومناظرة تاروданت. أما الجمعيات الثقافية التقدمية ونشاطات الشباب، فكثيرا ما تخضع للمنع ويتعرض مناضلو الجمعيات الثقافية الجادة للمضايقات بل حتى الاعتقال في بعض الا حيان: مجموعة ١٦ مناضلا المعتقلين في يناير ١٩٨٥ مثلا. وتحاول الدولة خنق العمل الجمعوي بشتى الا ساليب ومن ضمنها الغاء مجانية استعمال دور الشباب من طرف الجمعيات وتتحرك وزارة الا وقاف أيضا في محاولة لا حكام المساجد وتشكيل المجالس العلمية المكونة من علماء الدين، وذلك بهدف السيطرة عليهم وتسخيرهم في مواجهة الحركات الا سلامية وكأبواق لدعاية النظام وكمدافعين على شرعيته الدينية. كما حاول النظام الاكثار من الدروس الحسنية خلال شهر رمضان وعمل على تطويع المواضيع باللجوء الى أساتذة جامعيين. وبهدف استقطاب "نخبة" المثقفين واكتساب سمعة في الخارج كنظام "متنور" يشجع الثقافة والمثقفين"، لجأ الى تأسيس أكاديمية

لأوتيتا العميلة لجنوب افريقيا والمدعمة من طرف أمريكا.

لقد توثقت علاقات النظام بالامبريالية حيث أصبح يلعب دوره في الجهاز العسكري الامبريالي الموجه لضرب نضالات الشعوب في افريقيا والعالم العربي. لقد شرح "التسهيلات العسكرية" للجيوش الامريكية ويشارك جيشه بجانب جيوش فرنسا أو أمريكا أو اسبانيا في مناورات عسكرية مشتركة وذلك لتكييف قدراته العسكرية مع حلف شمال الاطلسي.

وفي العالم العربي يلعب النظام دورا نشيطا وخبيثا في كل المؤامرات التي تحاك ضد الشعوب العربية والقضية الفلسطينية. بل انه لم يعد يخجل من معانقة رئيس الكيان الصهيوني على رؤوس الاشهاد بعد أن كانت علاقاته القديمة مع الصهاينة تكتنفها سرية القصور. وخلال ست سنين وهو كرئيس لمؤتمر القمة العربية يقوم بتخريب الجهود الوطنية العربية ويعمل جاهدا لفرض الاستسلام على الشعوب العربية والتصفية على القضية الفلسطينية.

ان النظام أصبح أحد أهم دعائم الانظمة العربية الخليجية الرجعية التي يقدم لها الخبراء العسكريين ورجال الامن والمخابرات لمواجهة سخط الشعوب على هذه الانظمة الفاسدة.

ان القوى الاصلاحية المغربية تتغاضى عن كل هذه الخيانات بل تبحث عن الأعذار والمبررات لتبرئة ساحة النظام. فهي مثلا تعتبر أن الجزائر هي المسؤولة على التدخل الامريكي في بلادنا لانها، حسب زعمهذه القوى الغارقة في الشوفينية، صعدت في عدوانها ضد المغرب (كذا!!!). وهي تعتبر أن زيارة شمعون بيريز للمغرب، هذه الزيارة التي تشكل طعنة للشعوب العربية وحلقة من حلقات التآمر ضد الحركة التحررية العربية وضد القضية الفلسطينية تعتبر أن هذه الزيارة أظهرت تعنت الصهاينة وفضحت ادعاءاتهم السلمية (كذا!) وهي أخيرا تعتبر كل نعت للنظام بالخيانة (وهي التي أصبحت تقدم له شهادات الوطنية في مناسبة أو غير مناسبة) لاستقباله لرئيس العدو الصهيوني، بئس كرامة الشعب المغربي مطابقة بذلك بين النظام والشعب ومكررة خطاب مداحي الحسن وعلى رأسهم أحمد العلوي.

ان تحالف القوى الاصلاحية مع النظام في قضية الصحراء يدفعها الى القبول بأن يتحالف النظام حتى مع الشيطان لفرض سيطرته على الشعب الصحراوي.

١٠ شتنبر ١٩٨٦ *

الجبهة الفكرية ومهام الثوريين المغاربة

التي انتقى لها زمرة من "المفكرين" الرجعيين من الداخل والخارج، وخاصة من المغرب.

ولم ينج التعليم من هذه الهجمة الرجعية حيث، علاوة على التصفية المشارعة للتعليم العمومي، تعرف البرامج تغييرات كبيرة تهدف الى بث الافكار الرجعية والظلامية والقضاء على الفكر التقدمي والنقدي. كما يتم تضييق الخناق على رجال التعليم وخاصة منه العالي وذلك لتصفية الاستقلالية النسبية التي كانت تتمتع بها الجامعة.

واذا كانت صحافة النظام المكتوبة ذات تأثير ضعيف فان صحافة الاحزاب وخاصة منها الرجعية تلعب دور أبواق لدعايته.

ويسدي النظام التشجيع للجرائد والمجلات الرجعية وكذا لمختلف أنواع الانتاج الثقافي الرجعي بينما يقمع الانتاج الثقافي والفكري التقدمي باخضاعه للرقابة والمنع.

وأخيرا يسعى النظام الى تأطير النخبة على مستوى أهم جهات البلاد في الجمعيات الخاصة بنخبة مدينة أو منطقة معينة. مثلا جمعية البحر الابيض المتوسط بالنسبة للشمال وجمعية الاطلس الكبير بالنسبة لمراكش وجمعية أبي رقراق بالنسبة لسلا... وتحاول هذه الجمعيات ابعاد الشباب عن "السياسة" بمعنى ابعاده عن الفكر التقدمي وذلك بتنظيم أنشطة ذات طبيعة تفريجية.

ويتلقى النظام العون والسند لتطبيق خطط اخضاع الساحة الفكرية واستقطاب النخبة المثقفة من طرف الرجعية والامبريالية فالرجعية العربية الخليجية تمول العديد من هذه المشاريع (مساجد، مكتبات، مؤسسات ثقافية...) وترشي العديد من الكتاب والفنانين وتقدم مادة دعائية وفكرية متنوعة وشبه مجانية: صحف يومية رخيصة الثمن تطبع في المغرب (الشرق الاوسط مثلا)، أفلام ومسلسلات تلفزية وبرامج اذاعية وتلفزية ممولة من طرفها. ويلعب ذلك كله دورا خبيثا في نشر الانحلال والتفسخ والفكر الانهزامي الاستسلامي للصهيونية والامبريالية.

أما الامبرياليات فدورها أخطر بكثير حيث أن النظام يفتح لها الباب واسعا لغزو الساحة الفكرية. فاذا كان الانتاج الفكري للامبرياليات والصهيونية يجد أمامه كل التسهيلات (ونكتفي هنا باعطاء مثال بعض الجرائد والمجلات الفرنسية التي سمحت لها الدولة بالطبع في المغرب، مثلا: L'EXPRESS و LE FIGARO وكذا مثال اذاعة ميدي ١ التي يساهم فيها النظام والتي بثت دعاية مسمومة ومغرضة ضد نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية وكذا ضد كل حركات التحرر في العالم)، فان انتاج المثقفين التقدميين والثوريين في العالم يتعرض للمنع المنهجي.

وتقيم مختلف الامبرياليات بعثات ثقافية وتعليمية كما أنها تشكل العديد من الجمعيات التي تدعو اليها عناصر من "النخبة" الفكرية المغربية وذلك لتوجيه العلاقات معها وتحويلها الى عملاء يخدمون مصالح الامبريالية. وتقدم مختلف الامبرياليات النصائح للنظام في بلورة خططه في الميدان الفكري حيث يعمل ◄

العديد من المستشارين والخبراء الغربيين في القصر وفي مختلف الادارات ونكتفي هنا للدلالة على ذلك بمثالين:

الدور الذي يلعبه بعض دهاقنة الفكر الامبريالي في أكاديمية الحسن في اعداد النصائح له. دور الخبراء والشركات الفرنسيتي الدعاية عبر الاذاعة والتلفزة مثال: محطة ميدي ١ واشراف الخبراء الفرنسيين على اعادة هيكلة التلفزة المغربية.

وقد حقق النظام مكتسبات على الساحة الفكرية لعل أبرزها يتمثل في التفاف غالبية المثقفين حوله. وهكذا، وخلافا للمرحلة التي تمتد من بداية الاستقلال المزور الى حدود أوساط السبعينات حيث كان النظام يعيش عزلة خانقة على صعيد المثقفين، أصبح منذ ذلك الحين يتمكن أكثر فأكثر من تعبئة المثقفين لخدمته. ولا شك أن مساهمة غالبية المثقفين المغاربة في الاحتفالات المستمرة بالذكرى الخامسة والعشرين لتربع الحسن على العرش أحسن دليل على التحول الكبير الذي طرأ على موقف هذه الشريحة الاجتماعية. فبعد أن كان جل المثقفين امّا يتحفظون من الاقتراب من النظام وامّا يناهضونه، أصبحوا لا يخجلون من المشاركة في تهريجه وفي مدحه. واذا كان تحول لعروي الى خادم للقصر يمثل حالة بارزة، فان مشاركة العديد من المثقفين في مهازل "قطار التنمية" ثم "قافلة التنمية" (وهي في الحقيقة عمليات للتعمية وليس التنمية) وفي عشرات البرامج الاذاعية والتلفزية الرجعية وفي المهرجانات الثقافية المزعومة التي ينظمها أزلام الحكم، ان هذه المشاركة تؤشر على مدى تقهقر وتخلف فئات واسعة من المثقفين.

لماذا استطاع النظام التقدم في بسط هيمنته الفكرية

ان أسباب تقدم النظام في بسط هيمنته على الساحة الفكرية يتعلق بعضها بسياسات النظام والطبقات السائدة وحلفائها وبعضها الآخر بمواقف القوى الاصلاحية وواقع القوى الجدرية وأخيرا بالتراجعات الخطيرة للعديد من المفكرين التقدميين العرب والمغربيين وخاصة منهم الفرنسيين.

أ) سياسات النظام اتجاه المثقفين:

لقد أصبح النظام، كما حاولنا تبيان ذلك في الجزء الاول من هذا المقال، يولي أهمية كبيرة للجبهة الثقافية والفكرية ويسلك سياسة أكثر دينامية اتجاهها. ولم يكتف بتكوين الجمعيات واعادة بناء الاجهزة الايديولوجية وخلق العديد من المنابر، بل وفر أيضا للفئة العليا من المثقفين أوضاعا مادية جيدة وامكانيات للاثراء. "فكبار" الاساتذة الجامعيين و"كبار" الاطباء والمحاميين والمهندسين والاداريين استطاعوا أن ينموا مصالحهم ويطوروها.

غير أن الاغلبية الساحقة من المثقفين لم يتمكنوا من تحسين أوضاعهم بل يعانون أكثر فأكثر من تعمق السياسات التقشفية للنظام كما يبين ذلك واقع أغلبية رجال التعليم الثانوي والعالي مثلا. الا أن الفئة العليا من المثقفين والتي تندمج أكثر فأكثر بالنظام تستطيع فرض هيمنتها على الفئات الواسعة من المثقفين المتضررين من مخلفات الازمة الاقتصادية وخاصة في الشروط الحالية المتميزة بتحالف القوى الاصلاحية مع النظام وركود حركة الجماهير الشعبية وضعف القوى الجدرية

ب) القوى الاصلاحية:

ان تحالف القوى الاصلاحية مع النظام باسم "الدفاع عن الوحدة الترابية" و"تعميق المسلسل الديمقراطي" المزعوم يوفر تغطية ايديولوجية وسياسية لضعيفي الهمم من المثقفين للالتحاق بالنظام.

ان المثقفين يتأثرون في الظرف الراهن في حدود، بمواقف القوى الاصلاحية، وذلك بسبب موقعهم الطبقي البرجوازي الصغير بشكل عام. لذلك فان اتخاذ القوى الاصلاحية لموقف المساندة للعديد من مبادرات النظام في الحقل الثقافي، في كثير من الاحيان، يدفع بالعديد من المثقفين الى الالتحاق بركب النظام والمشاركة بحماس في التظاهرات التي يشرف عليها.

ورغم معارضة هذه القوى لبعض مبادرات أو اجراءات النظام في الميدان الفكري (مثلا معارضتها لطبع الصحافة الخليجية وصحافة اليمين الفرنسي بالمغرب، أو لضرب مجانية استعمال الجمعيات لدور الشباب) فان تلك المعارضة تظل لفظية ومحدودة. ذلك أن القوى الاصلاحية تلتزم باللعبة السياسية الرجعية وتحترم "المقدسات" الرجعية وتحرص أكثر من النظام على احترام القانون الرجعي، في حين أن المواجهة الجدية والفعالة لمخططات النظام في الحقل الفكري التي يشرف عليها مستشارو وخبراء القصر ويبلورها دهاقنة الفكر الامبريالي وترصد لتطبيقها الامكانيات البشرية والمادية الهائلة، ان هذه المواجهة تتطلب الاستناد الى الجماهير الشعبية واطلاق طاقاتها الخلاقة عوض لجمها وتدجينها كما تفعل ذلك القوى الاصلاحية خوفا من تجاوز الجماهير لها وخدمة لتحالفها مع النظام وحفاظا على الفوائد التي تجنيها من مشاركتها في "ديمقراطية" الحسن البغيضة. ولعل ما يضاعف من عجز القوى الاصلاحية في التصدي للهجوم الفكري للنظام كونها تشارك النظام، في العمق، نفس المفهوم للفكر والثقافة ونفس النظرة الاحتقارية للجماهير الشعبية.

فبالنسبة للقوى الاصلاحية، ان الفكر يبلور ويصاغ بعيدا عن الجماهير من طرف اختصاصيين يتوفرون على "ملكات" خاصة أو شهادات عليا. بينما في الحقيقة تصبح الثقافة حدلقة وكلاما فارغا وتظل خاضعة للايديولوجيا السائدة، ان هي لم ترتكز على الواقع الملموس للجماهير وطموحاتها وحاجياتها العميقة ومعاناتها وكفاحاتها من أجل حياة كريمة متحررة من الاستلاب الذي غرسته في الجماهير قرون من الاستغلال والقهر الطبقيين.

كما لا تبدي القوى الاصلاحية في الجماهير الشعبية سوى كتلة هامدة وجامدة قد تبدي في مصلحتها تحريكها من حين لآخر للضغط على السلطة لتحقيق بعض المكاسب. لكن هذه القوى الاصلاحية لا تريد أن تكون هذه الجماهير هي الصانعة لتاريخها وهي المنبع الذي لا ينضب للثقافة والفكر الحقيقيين.

ج) ضعف القوى الجدرية وركود الحركة الجماهيرية.

ان الواقع الطبقي للمثقفين بشكل عام يجعل منهم شريحة اجتماعية شديدة التذبذب. فقد ينجر الكثير منهم الى القطب الشعبي في مراحل مد الحركة الجماهيرية وتقدم قواها الثورية.

أما في المرحلة الحالية المتميزة بضعف القوى الجدرية وركود الحركة الجماهيرية، فان أغلبيتهم ينساقون الى المواقف الرجعية ويبلورون الفكر التخاذلي والانهزامي وفي نفس الاتجاه تلعب "أزمة" حركة التحرر العربية والمد الرجعي الصهيوني الامبريالية (رغم المقاومة العظيمة للقوى الوطنية في لبنان والصمود الرائع للشعب الفلسطيني) وللصعوبات والاخطاء التي واجهت وتواجه بناء الاشتراكية في العالم وخاصة في العالم الثالث، والانتكاسات التي عرفتها بعض الانظمة الوطنية والمشاكل التي تعترض حركات التحرر، تلعب كل هذه العناصر دورا في تراجع المثقفين.

- د) أهمية الصراع الفكري :

ونظرا لوظيفتها الفكرية، تتأثر هذه الشريحة أكثر من غيرها بالصراع الفكري والايديولوجي ، وخاصة بتطور الفكر في الغرب، وفي فرنسا في المرتبة الاولى . وذلك نظرا للتبعية التامة على المستوى الفكري للمثقفين . لذلك فان ارتداد العديد من المفكرين الفرنسيين البارزين عن الفكر التقدمي وتحولهم الى منظرين ايديولوجيين للامبريالية (مثلا تحول العديد من الماويين الفرنسيين السابقين الى "فلاسفة جدد رجعيين") لأسباب عديدة نذكر منها ، على الخصوص، المسار المتعرج لمحاولات بناء الاشتراكية في بعض دول العالم الثالث، وخاصة المآسي التي مرّ منها الشعب الكمبودي أيام حكم بول بوط وكذا التصفيات الدامية داخل الحزب الديمقراطي الشعبي الافغاني . . . . وكذا تقلص تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي على المثقفين بسبب المأزق الذي وصل اليه خطه السياسي والفكري . ان هذا الارتداد ينعكس على المثقفين المغاربة بشكل خطير.

كما أن ارتداد العديد من المثقفين العرب "المشهورين" عن الفكر التقدمي، لنفس الاسباب السابقة وكذا بسبب الاغراءات المادية التي تقدمها الرجعية العربية الخليجية، ان هذا الارتداد "مفعول هام على بعض المثقفين الشبان.

ان القوى الجذرية المغربية شبه غائبة عن الساحة الثقافية في البلاد . ان القمع عامل معرقل فعلا ، لكنه لا يفسر هذا الغياب الذي يجد أسبابه في تخلف أساليب العمل في هذا الميدان . ويجب التأكيد هنا على ضرورة اتقان أساليب العمل العلني الفكري الجماهيري وضبط علاقته بالعمل السري ضبطا محكما . ولاشك أن أهم سبب وراء الضعف الكبير للعمل الفكري للقوى الجذرية يتمثل في تخلف مشروعها الفكري عن استيعاب والتعبير عن الواقع العميق للطموحات الشعبية وبلورة ثقافة ذات مضامين تحررية تنبع من الواقع الملموس والخصوصي للتشكيلة الاجتماعية المغربية.

ان تقاعس القوى الجذرية على الجبهة الفكرية يشكل احد اهم الاسباب التي تفسر ارتداد المثقفين على المواقف التقدمية .

ما العمل للتصدي للهجوم الرجعي على الجبهة الفكرية

ان التصدي لهذا الهجوم ليس مهمة فكرية محضة، انها ، في الجوهر، احدى المهمات الاساسية للثورة المغربية. ذلك أن حسم تذبذب العديد من المثقفين لصالح الالتحاق بصف الجماهير الشعبية والتقدم في بلورة الفكر الذي سيساهم في تحرر الجماهير رهينين بمدى تقدم الجماهير وقواها الثورية في النضال ضد حكم الكمبرادور وملاكي الاراضي الكبار. الا أنه من الخاطئ في نظرنا السقوط في أحد الانحرافيين :

أ - الانحراف الذي يمكن أن نصنفه بالعفوية في ميدان الفكر. وهذه النظرة العفوية تعتبر خطأ أن الثورة ستحل المشكلة الفكرية بعصا سحرية ولذلك فهي لا ترى ضرورة طرح مهمة خاصة في هذا الميدان لان نضال الجماهير سيفرز بشكل عفوي فكرا جديدا . ان هذه النظرة، علاوة على احتقارها للعمل النظري ، تسقط في خطإ اعتبار أن العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية هي علاقة ميكانيكية وليست جدلية وتتناسى أن الثورة لا يمكن أن تنجح وتتطور ان لم تتوفر على نظرية ثورية . ان النظرية الثورية ليست، كما قد يظن البعض، مجموعة من المبادئ العامة والمجردة والجامدة ولا يمكن اختزالها كذلك في أدوات وأساليب الاستيلاء على السلطة. انها في العمق ذلك الفراس الذي يجعل من الجماهير الشعبية جماهير واعية بتاريخها الفعلي وبالتالي قادرة على صنع حاضرها ومستقبلها .

ب - النظرة المثقفية التي تتعامل مع الفكر والثقافة بشكل معزول عن الممارسة الاجتماعية وهي بذلك تسقط في المثالية المتمثلة في اعتبار الاستقلالية النسبية للبنية الفوقية عن البنية التحتية كاستقلال تام وانفصام بينهما .

وخلافا للنظرة الاولى التي تقدس حركة الجماهير العفوية وقدرتها على بلورة الفكر الثوري البديل بشكل أوتوماتيكي فان النظرة الثانية لا تؤمن بقدرة الجماهير على الابداع والخلق في خضم النضالات الطبقية وعبر تكثيف تجاربها وبناء منظماتها الثورية، المثقف الجماعي للجماهير الشعبية

ان المناضلين الثوريين بقدر ما ينغرسون في قلب نضالات الجماهير الشعبية، وخاصة الجماهير الكادحة وعلى رأسها الطبقة العاملة، وبقدر ما يعملون على تعميق معرفتهم بواقع مجتمعهم، يصبحون قادرين أكثر فأكثر على تجنب هذين الانحرافين وعلى التصدي بنجاح لمهام الثورة ومن ضمنها بلورة النظرية الثورية .

ان الاجتهاد النظري والبحث و الدراسة وتطوير المنابر الفكرية والنقدية والانفتاح على النقاش الهادف والجدي وممارسة الصراع بصرامة ضد مختلف أنواع الافكار الرجعية، ان كل ذلك يساهم لا محالة في صد الهجوم الرجعي على الجبهة الفكرية الذي ، رغم تحقيقه بعض النجاح ، لا يتوفر على أسس مادية وسط الجماهير الشعبية. كما أنه سيوفر بجانب تطور نضال الجماهير الشعبية وقواها الثورية، الاسس الصلبة لبناء فكر تحرري مغربي .

بداية يوليوز ١٩٨٦ *

توضيح :

والجريدة تحت الطبع، ينظم النظام واجهزته الاعلامية البوليسية (وزارة الداخلية والاعلام في نفس الوقت) بارتباط مع اطلاق سراح 9 معتقلين سياسيين ، ادعى بان اربعة منهم ينتمون الى منظمتنا الى الامام ، بل وانهم من بين أهم قادتها .

ان هذه الاخبار علاوة على انها كاذبة - باعتبار ان مجموعة المعتقلين المطلق سراحهم قطعوا كل صلة ومنذ سنوات مع الحركة الماركسية اللينينية وما تفرعها بل ومنهم من التحق ومنذ مدة بالاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بدون التكلم عن رسائل العفو التي يتبرؤن فيها من خندق الجماهير مدافعين على كل اوجه السياسة الملكية - فان الهدف من ترويجها يقصد به خلق نوع من البلبلة الفكرية والتشكيك في الحركة الماركسية اللينينية وقدرتها على الصمود والنضال . ومن جهة اخرى تخليف الوجه الديكتاتوري للنظام بايهام الرأي العام الاجنبي بان المغرب بلد ديمقراطي له معارضة وجرائد تمول من طرف الدولة وان لا احد يعمل على اطاحة السلطة الملكية ومن كان يتبنى ذلك في الماضي تراجع عن مواقفه واعفي عنه ، في الوقت الذي تستمر بقوة ممارسات النظام القمعية والبشعة ضد جماهير شعبنا المسحوقة والمناضلين المتشبثين بخط النضال الثوري بالمغرب .

*

حول أوضاع الشباب المغربي

مرت احتفالات عيد ميلاد الحسن في جو خاص هذه السنة حيث تعبأت أجهزته الادارية والجمعيات التي خلقها وبالخصوص جمعية الأطلس الكبير لتنظيم احتفالات ضخمة ومستمرة لتغطية الواقع الفعلي لجماهير الشباب ولايهام الرأي العام ،وخاصة الخارجي ،باهتمام النظام بالشباب . ولقد أراد النظام لهذا "العيد" أن يكون "عيدا" للشباب لكن حتى أن يكون عيد ميلاد الحسن الذي نظم مجازر رهيبة ضد الشباب في مارس 1965 ويونيو 1981 ويناير 1984 عيدا للشباب . حاشى أن يكون عيد ميلاد الحسن الذي كرس حياته لاستغلال واضطهاد وقمع شعب بكامله ،وفي المرتبة الأولى الشباب، حاشى أن يكون عيدا للشباب

لذلك ستحاول ،بعيدا عن بهرجة هذه الاحتفالات وعن الغوغاء الدعائية الكاذبة ،رسم الخطوط العريضة لواقع الشباب المغربي الحالي ومسؤولية النظام على مستوى الانحطاط الذي آل اليه هذا الواقع المأسوي . ثم سنقدم بعض الملاحظات التي من شأنها ،في نظرنا ،أن تساعد حركة الشباب على التقدم.

واقع الشباب المأساوي

ان مجموع الجماهير الشعبية تكتوي من تفاقم التفقير والاضطهاد والقمع ومن تعمق سياسة التجهيل والتجويع بسبب سيطرة النظام المخزني المتعفن و هيمنة الطبقات السائدة والامبريالية وكذا بسبب تعمق أزمة نمط الانتاج الرأسمالي التبعي في بلادنا . الا أن الشباب يعاني أكثر من غيره ،وفي العديد من الميادين ، من نار الفقر والقمع والاستغلال و من التجهيل والتجويع. ان لمحة سريعة على أوضاع الشباب كافية لتأكيد هذه الحقيقة.

ولعل ما وصلت اليه وضعية التعليم العمومي – لما له من أهمية خاصة للشباب – من تردي و تفقير يصعب وصفه لأن جوانبه المأسوية وتأثيراته الطويلة الأمد كثيرة ومتنوعة ،لعل ذلك أحسن صور شرطق كراهية وحقد النظام الرجعي في بلادنا للشباب وعلى عجزه التام على توفير حلول لمشاكل الشباب المغربي .

ان الأرقام التي سنأتي على ذكرها، رغم أهميتها في تبيان ما يتعرض له الشباب المغربي من سياسة ممنهجة للتجهيل يطبقها النظام بأمر من سيدته الامبريالية وتحت رعاية صندوق النقد الدولي ،تظل عاجزة عن التعبير عن ضياع ومأساة ذلك الطفل أو تلك الطفلة اللذان يحرمان من نور المعرفة مدى الحياة ،أو ذلك الطفل والطفلة أو الشاب والشابة الذين يرمى بهم في الشارع بعد أن يقضوا بضع سنوات في التعليم الابتدائي أو الثانوي .ان هذه الأرقام الجافة لا تستطيع أن تصف تمزق الشاب أو الشابة اللذان يريان انسداد كل الأبواب أمامهما (أبواب المعرفة والتعليم والشغل) مما يدفع بالبعض الى اليأس وما يستتبع ذلك من انتحار أو جنون (كما يشهد على ذلك تزايد حالات الانتحار والجنون وسط الشباب) أو الى "الانحراف" (والنظام وأزلامه هم المنحرفون والمجرمون الحقيقيون) كما يبين ذلك الارتفاع المهول للاجرام وادمان المخدرات و تعاطي المعارة...

لكن لنعد ليعبر الأرقام : بعد 30 سنة على الاستقلال المزور مازالت نسبة التمدرس لا تصل الا الى 50٪ .وهذا يعني أن نصف أطفال البلاد لا يدخلون المدرسة طيلة حياتهم ،فثلاثة أرباعهم يرمى بهم الى الشارع قبل التحاقهم بالثانوي .وهؤلاء أيضا محكوم على أغلبيتهم الساحقة أن يصبحوا من جديد أميين لأنهم لا يتوفرون على الحد الأدنى من الامكانات المادية للحفاظ على ذلك المستوى المتدني في التعليم الذي تلقوه.

ويصل 2 ٪ فقط من الاطفال المتمدرسين الى التعليم العالي (أي 1 ٪ من مجموع الأطفال) .وحتى هؤلاء يتعرضون لتصفية شرسة كما يتبين من دراسة نتائج امتحانات التعليم العالي .

لذلك لا يستغرب أن ترتفع نسبة الأمية وسط الشباب الى مستويات يندى لها الجبين ،خاصة في أواخر القرن العشرين وبعد ثلاثين من الاستقلال المزور: وهكذا فان 43 ٪ من الأطفال ما بين 10 و14 سنة و 56 ٪ من الشباب ما بين 15و24 سنة و63 ٪ من الشباب ما بين 25و34 سنة أميون .

ان السياسة التجهيلية سنة بعد أخرى وتكتفي هنا ببعض الأرقام للدلالة على ذلك

+ انتقلت نسبة المقبولين في السلك الثاني من التعليم الثانوي من 63 ٪ سنة 1983–1984 الى 50 ٪ سنة 1984– 1985 لتنخفض الى 45 ٪ سنة 1985 – 1986.

+ أما نسبة النجاح في الباكالوريا فظلت تنخفض باستمرار منذ 1979 حيث انتقلت من 43،38 ٪ (1979) الى 22،6 ٪ سنة 1986 أي أنها انخفضت بالنصف تقريبا .

+ ان العدد الاجمالي للتلاميذ والطلبة سيبقى جامدا الى حدود 1995 ،أي 3 ملايين بينما سيزداد عدد الأطفال و الشباب في سن الدراسة الى 8 ملايين. كما ستقلص في ميزانية التعليم من 850 مليار سنتيم الى 650 مليار.

+ ويرتفع سنة بعد أخرى عدد المطرودين من التعليم حيث وصل هذه السنة الى مستوى 350 000 بين تلميذ وطالب.

ان النظام يتغنى في السنين الاخيرة بالتكوين المهني وقام بحملة دعائية مكثفة لجر الشباب للالتحاق بمعاهد التكوين المهني . لكن الحقيقة هنا أيضا تكذب كل الادعاءات المتقائلة للنظام، ذلك أن كل الامكانات المادية والتربوية لتوفير تكوين مهني جدي للجماهير الفقيرة من الشباب المطرود من التعليم غير موجودة بتاتا .ويعني ذلك أن التكوين المهني ليس الا وسيلة للالهاء جزء من الشباب المغربي مؤقتا قبل الرمي به مجددا الى متاهات الضياع وهو أيضا تغطية جديدة لتصعيد وتيرة تصفية التعليم العام.

ويعاني الشباب أكثر من غيره من البطالة. حقا ان البطالة تمس كل الجماهير الشعبية وان الطرد من العمل وتخفيض ساعات العمل تكتوي من نارها الطبقة العاملة المغربية كلها .لكن تعمق أزمة نظام الرأسمالية التبعية في بلادنا وما ينتج عنه من شبه انعدام مناصب شغل جديدة يتضرر منها أكثر من غيره الشباب الباحث عن شغل لأول مرة أو عادة ما لا يتوفر على تجربة مهنية كافية .كما أن الطرد من العمل يذهب ضحيته ،في المرتبة الأولى ،الشباب لأنهم عادة ما يكونون

ومهام الثوريين المغاربة

غير مرسمين.

ان احصائيات النظام نفسها، رغم أنها تقلص بشكل كبير من نسبة البطالة، تبين أن الشباب هو الضحية الاولى للبطالة.

نسبة البطالة حسب السن

(احصائيات 1982)

15–19 سنة	23،4 ٪
20–24 سنة	17،9 ٪
25–29 سنة	11،2 ٪
30–34 سنة	7،7 ٪
35–39 سنة	4،9 ٪
40–44 سنة	5،2 ٪
45–49 سنة	5،4 ٪
50–54 سنة	5،9 ٪
55–59 سنة	6،6 ٪
+ 66	6،9 ٪

ان هذا الجدول يوضح أن نسبة البطالة للشباب مابين 15 و19 سنة يساوى ثلاث مرات نسبة البطالةما بين 30 و 34 سنة وكذلك أن نسبة البطالةللشباب مابين 20 و 24 سنة تتجاوز ضعف نسبة البطالة ما بين 30 و 34 سنة.

وتشكل بطالة المجازين التي وصلت مستوى خطيرا (أكثر من 000 15مجاز عاطل حسب بعض التقديرات) مؤشرا اضافيا على مدى تضرر الشباب من البطالة. أما الشباب الذى يجد عملا بعد مشقة وعناء فانه يعاني من ظروف شغل قاسية

حيث أن شروط عمل الأشغال وكثير من الشبان تشبه، في كثير من الأحيان الى السرق: أجور هزيلة وبوء عمل طويل جدا وانعدام أية حقوق وسعية غير مستقرة ومهددة دائما.

ان الشباب هو الخاسر الأكبر من الارتفاع المتواصل والمستمر لأثمان الكراء: فالشاب والشابة هما اللذان عادة ما يكونان في حاجة الى اكتراء مسكن اما لأنهما يريدان الاستقلال عن الوالدين أو لأنهما يريدان بناء أسرة. ان الشاب (او الشابة) يسقط في أيدي السماسرة والمضاربين العقاريين الذين ينهبونه نهبا. فكثيرا ما لا تكفي أجرة العامل الشاب وزوجته لتسديد الكراء والماء والكهرباء مما يفرض عليه كراء كوخ في أحد أحياء القصدير. أما الموظف الصغير فانه هو الآخر يعيش كابوس الكراء خاصة وأن راتبه الهزيل يتبخر أمام الارتفاع الصاروخي للأثمان. وكم هم كثيرون أولئك الطلبة الذين يجتمعون لكراء مسكن في أحد الاحياء الشعبية ولا يجدون ما يسدون به رمق العيش بعد أن يسددوا ثمن الكراء الباهظ!

انه فعلا نهب بشع يتعرض له الشعب المغربي، وخاصة الشباب، نهب تنظمه الطبقات السائدة ويشجعه النظام الساهر على مصالحها والذى يغدق عليها الهبات والامتيازات.

وفي الميدان الرياضي، اذا كان النظام يتغنى بتشجيع الرياضة، فانه في الحقيقة، لا يفعل سوى تنظيم بعض اللقاءات الكبرى (العاب البحر الابيض المتوسط، الالعاب العربية...) واحتواء بعض "نجوم" الرياضة (من أمثال عويطة) لتوظيف ذلك في الدعاية الخارجية ومحاولة فك عزلته على الصعيد الدولي وكذا لتحريف أنظار الجماهير الشعبية عن مشاكلها الحقيقية. وفي نفس الوقت لا تجد الجماهير الفقيرة من الشباب أية امكانية أمامها لممارسة الرياضة وتطوير قدراتها الجسمانية. ان التجهيزات الرياضية التي شيدت لا يستفيد منها سوى اصحاب الحضوة والمال.

والشباب ـ كجزء من الجماهير الشعبية ـ يشهد تفاقم أوضاعه بسبب التقلص الكبير للاعتمادات المخصصة للمرافق الاجتماعية (الصحة العمومية، النقل العمومي...)

ان النظام يحاول كل ما في وسعه لتحريف الشباب عن الوعي بأوضاعه. فعلاوة على مختلف أجهزته الدعائية التي تسعى لالهاء الشباب (أفلام، مباريات رياضية، مسلسلات تلفزية... وكذا الجمعيات الجديدة التي أنشأها خدام النظام) ونشر الفكر الفرداني والأناني والنمط الاستهلاكي الغربي، فان أجهزته الادارية والقمعية تشجع البغاء وادمان المخدرات، وتقمع به رامة ووحشية، على عكس ذلك، كل تنظيمات الشباب المستقلة وأنشطته الجادة: فالاتحاد الوطني لطلبة المغرب، النقابة المناضلة للطلبة المغاربة تخضع لحظر غير معلن ومناضلوها يعانون السجون والجمعيات التي تحاول توعية الشباب وانقاذه من الأمية تمنع ويقبر مناضلوها في الزنازن والشباب يحرم من حق استعمال دور الشباب.

من كل ما سبق يظهر بما لا يدع مجالا للشك أن النظام لا يوفر للشباب سوى حاضرا مظلما ومستقبلا أكثر ظلاما. حقا هناك بعض فرص الشغل المتاحة للشباب في أجهزة القمع التي مازالت تعرف الانتفاخ (الجيش، البوليس...) غير أن ذلك يعني استعمال الشباب كوقود لحربه الظالمة ضد شعب شقيق أو كأدوات لقمع وتأبيد الأوضاع المأساوية للشباب والشعب.

وخلافا للعديد من الآراء التي لا ترى سوى الجوانب السلبية في تطور الشباب حاليا (ادمان المخدرات وتعاطي العهارة والجريمة من طرف عدد متزايد من الشبان والشابات)، نعتبر أن هذه السمات السلبية قائمة فعلا وأن المسؤول عنها في المقام الأول، هو النظام و أن القوى الاصلاحية تتحمل مسؤولية لا بأس بها، ولكن نعتبر في نفس الوقت أن الشباب يقاوم وأنه لم يخضع أو يخنع لمحاولات تجريده من انسانيته. فالشباب التعليمي، كما يشهد على ذلك السجل الحافل لنضالات وتضحيات الحركة الطلابية، يواجه بشجاعة وفي أحلك الظروف القمع الأسود للنظام والتواطؤ المخزي للقوى الاصلاحية. والتلاميذ لم يركنوا لما يواجههم و يواجه مستقبلهم من أخطار. والشباب العامل يناضل في النقابتين المناضلتين (الاتحاد المغربي للشغل، والكنفدرالية الديمقراطية للشغل) رغم قمع و ترهيب اجهزة القمع و رغم سياسة الانتظار التي تسلكها، باسم "الحوار" المزعوم، القيادات النقابية البروقراطية، و العراقيل التي تضعها في طريق توحيد نضال الطبقة العاملة، و ذلك حفاظا على مصالحها (أي القيادات).

وعندما يشتد الاضطهاد و تتفاقم ◄

أوضاع الجماهير الشعبية المعاشية و يصل السيل الزبى ،ينفجر السخط الشعبي في شكل انتفاضة عنيفة يكون الشباب في طليعتها (فسواء في مارس 1965 أو يونيو 1981 أو يناير 1984 كان الشباب دائما على رأس الانتفاضات الشعبية) ويحصد القسط الأكبر من القمع :فأغلبية الموتى والجرحى و المعتقلين يكونون من الشباب.

كما أن الاغلبية الساحقة للمعتقلين السياسيين هم من الشباب. إن هذه الامثلة تبين أن الشباب يقاوم و يضحي رغم كل الصعوبات والعوائق.

إن الشباب المغربي يعي أكثر فأكثر بشكل حسي و متفاوت،أن لا خلاص له في ظل النظام القائم.لذلك فإنه يبتعد تدريجيا عن القوى الاصلاحية وحلولها السرابية و تنظم منظمات الشبيبة لهذه القوى التي تتحول شيئا فشيئا الى مرتع الانتهازيين الباحثين عن امكانيات التسلق.

إن الشباب يعرف جيدا أن القوى الاصلاحية تدفعه الى الموت في الصحراء تحت شعارات رنانة وأنها يلهم الحفاظ على "الجبهة الداخلية" المزعومة ،تساهم في عرقلة نضالات الشعب إنه يحس أنها ، شاءت ذلك أم أبت ، تساهم في تقوية العسكتاريا و تركي تبذير موارد ضخمة في حرب عدوانية ضد الشعب الصحراوي ،يمكن أن تستعمل للتخفيف،على الأقل ، من المشاكل التي يعاني منها الشباب وأخيرا أنها تشارك بحماس في "مسلسل ديمقراطي" مزعوم يتم خلاله تطبيق سياسة منهجية لتجهيل و تفقير و قمع السواد الأعظم من الشعب وفي المقام الأول الشباب.

ملاحظات حول حركة الشباب

حقاوكما طرحناه أعلاه ،إن الشباب هو الأكثر حماسا للتعبير الثوري والاكثر استعدادا للتضحية و العطاء ،إلا أن ذلك لا يجعلنا نتغاضى عن ما يشوب حركة الشباب النضالية من نواقص و سلبيات تفسر ضعف النتائج نسبة للتضحيات،ولعل السبب الأساسي لذلك هو تشتت حركة الشباب و تشردم نضالاتها : فالحركة الطلابية مثلا مشتتة و منقسمة على نفسها و النضالات العمالية مجزأة و حركة التلاميذ لم تستطع اعادة بناء نفسها بعد قمع بداية السبعينات.

إن ما يفاقم من تشردم حركة الشباب هو ترسخ عدد من الممارسات الحلقية و الزعامية و تفشي الفوضوية النقابية لفترة من الزمن. وإذا كانت هذه المظاهر، على الأقل في شكلها الخفيف،عادية نسبيا نظرا لضعف التجربة العملية و التكوين النظري لأغلبية الشباب – فإن اكتسابها طابعا خطيرا (كما يقع الآن و يالأسف وسط حركة القاعديين – و لا نريد هنا الرجوع الى فشل المؤتمر 17 للاتحاد الوطني لطلبة المغرب الذي يتحمل فيه النهج الهيمني المسؤولية الأولى بينما تتحمل أطراف من داخل القاعديين و حلفائهم مسؤوليات لا يستهان بها – التي تكثر فيها الانقسامات والصراعات العدائية نظرا لتفشي هذه الامراض وعدم استطاعة المناضلين الطلبة تغليب التناقض الرئيسي على التناقضات الثانوية أي تغليب مصلحة أوسع الجماهير الطلابية في تنظيم الدفاع عن ما تبقى من مكتسباتها على الاختلافات العادية و الطبيعية داخل أي حركة مهما كانت و التي يجب أن يستمر حولها النقاش الرفاقي دون عداء أو قطيعة، إن ذلك تتحمل مسؤوليته القوى الثورية التي لم تستطع هي نفسها أن تتجاوز الحلقية و تغلب مصلحة الجماهير الشعبية و ضرورة توحيد نضالاتها على اعتقادها أنها هي وحدها دون غيرها تمتلك الحقيقة.

إن الشباب في حاجة ماسة للتنظيم ثم التنظيم. لذلك فإن الثوريين المغاربة مطروح عليهم أن يعملوا ليل نهار من أجل تنظيم الشباب،وفي المرتبة الأولى الشباب العامل و الفلاحين الشباب.

يجب بناء التنظيمات الشبابية المستقلة التي تستطيع استيعاب طاقات متنوعة و متفاوتة و تقوم بانشطة متنوعة و كثيرة (فهذه التنظيمات الشبابية وسط العمال مثلا تقوم بانشطة ثقافية و ترفيهية و رياضية..)

ويجب في نفس الوقت و حتى يتم تجاوز الاتجاهات المنحرفة داخل الشباب (الفوضوية أو الزعامية...) أن يقوم المناضلون الثوريون بعمل جاد و متابر لدفع الشباب الأكثر وعيا و تقدما الى التجدر وسط الجماهير العمالية و الفلاحية. ذلك أنه وكما يطرح ماو تسي تونغ :

" لتحديد هل مثقفا ما ثوري أو غير ثوري أو مضاد للثورة، هنالك مقياس حاسم: معرفة هل يريد الارتباط و هل يرتبط فعلا بالجماهير العمالية و الفلاحية" (ماو : الاعمال المختارة – المجلد II بالفرنسية ص 426 الترجمة من عندنا).

ويجب أيضا لتوفير أحسن الحظوظ لضرب الممارسات الخاطئة التي تضر بحركة الشباب العمل بجد على تكوين الشباب. إن الشباب المغربي المناضل يحتاج الى التكوين. إن ذلك التكوين لا بد أن يرتبط بمهام النضال وسط الجماهير الشعبية وعلى رأسها الطبقة العاملة والفلاحين. لكن يجب أيضا الاستفادة من التجربة الغنية لشعبنا و حركته الثورية – وخاصة فشلاتها و أخطائها وانحرافاتها حتى لا يكررها المناضلون – ومن تجارب الشعوب الاخرى . وتتحمل الحركة والمناضلون الثوريون مسؤولية خاصة في استخراج دروس هذه التجارب وايصالها الى الجماهير الشعبية،ومن ضمنها الشباب الذي يطمح الى المساهمة في التغيير الثوري لكن قد تحوزه التجربة أكثر من غيره.

إن التقدم في انجاز هذه المهام يخدم مهمة بناء حزب البرلتاريا ،اداة الثورة المغربية ،الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية. كما أن أي تقدم في بناء هذه الاداة يحطي دفعة قوية لمسيرة توحيد نضال الجماهير الشعبية وتوجيهه نحو هدف التحرير من الامبريالية وعملائها في بلادنا.

15 يوليوز 1986

جماهير المناطق المحتلة:
بين مخططات الاستعمار و تآمر الحكام

حينما يتم تصعيد وشيرة الاستغلال والقهر البشعين لجماهير شعبنا الكادحة باسم "تطلعات التنمية الوطنية" و"ضرورة الاجماع" من أجل مواجهة "العدو الخارجي" و"استكمال الوحدة الترابية"، نتساءل عن أية "وطنية" تلك التي باسمها تحاك حرب عدوانية ضد شعب يقاوم غزو السلطات المغربية ويثبت بحقه في تقرير مصيره، بينما تطمس الطاقم الوطنية الخاصة باسترجاع أراضي لا زالت تعيش تحت هيمنة الدخلاء المستعمرين الاسبان وتعزل مقاومة سكان هذه المناطق بل تتآمر عليها.

سيتوصل القارئ بنفسه الى الخلاصات التي ستبرزها بالضرورة الاحداث نفسها، وهنا لا بد لنا من التذكير ولو بايجاز بواقع الاستعمار المباشر الذي ما زالت تخضع له بعض المناطق المغربية.

ان مجموع المناطق المحتلة من طرف الاستعمار الاسباني تبلغ خمسة:

- سبتة، وقد تم احتلالها من طرف المستعمر البرتغالي في ٢١ غشت ١٤١٥ قبل أن يتم الحاقها بالمستعمرات الاسبانية في سنة ١٥٨٠ بعد موت ملك البرتغال وبمقتضى العلاقات التي كانت تحكم البلدين آنذاك وقد تم تثبيت هذا الالحاق سنة ١٦٦٨ بعد أن تحولت الاوضاع بالبرتغال التي أصبحت لها طالب اتجاه سبتة وذلك من خلال تأكيد "أمان" و الشخصيات البارزة لسبتة لولا ينعم لا اسبانيا.
- طنجة، ويعود احتلالها من طرف الاسبان الى ١٧ شتنبر ١٤٩٧.
- صخرة باديس الموجودة على بعد ١٢٥ كلمتر من سبتة والمحتلة من طرف الاسبان سنة ١٥٠٨ ثم فقدت سنة ١٥٦٤ بعد أن ضاعت منهم في ١٥٥٤.
- صخرة الحسيمة المكونة من ثلاثة جزر والتي لا تبعد عن الحسيمة الا بضع كلومترات، وقد تنازل عنها السلطان السعدي الغريب بالله لنازل الثاني في ٢٨ غشت ١٦٧٣.
- الجزر الجعفرية، المتواجدة قرب طنجة عند مصب نهر لوية وتتكون من ثلاثة جزر (السماة من طرف الاستعمار الاسباني بجزيرة الكونغريس، جزيرة أمبابل وجزيرة الملك)، تم احتلالها في ٦ يناير ١٨٤٨.

ان تاريخ المناطق المحتلة ارتبط بشكل وطيد بتاريخ منطقة الريف بأكملها وذلك على المستوى الاقتصادي، الاجتماعي و السياسي.

ان الموقع الجغرافي والاستراتيجي لمدينتي سبتة ومليلية والدور الذي لعبتاه كمحطات للربط التجاري بين القارة الاوربية والافريقية في القرون السابقة، كان المحرك والمنبع الاساسي لانتعاش الاقتصاد بالمناطق الشمالية المغربية كلها. ومع احتلال هاتين المدينتين واستغلالهما من طرف الاستعمار الاسباني لمصالحه الداخلية، وجهت ضربة كبيرة للمستغفر الاقتصادي الاساسي للمناطق الشمالية بالمغرب، فأصبحت وسيلة العيش الاساسية لسكان الريف الى وقتنا هذا في ظل واقع الدور الاقتصادي التاريخي لهاتين المدينتين وفي ظل التعايش الاقتصادي والثقافي الذي ظلت تعاني منه المنطقة بأكملها الى حدود اليوم، هو الالتجاء الى تجارة التهريب لما تتيحه المدينتين من تسهيلات بحكم وضعهما القانوني كموانئ للتجارة الحرة.

وليست هذه هي واجهة الربط الوحيدة بين المناطق المحتلة ومنطقة الريف بأكملها، بل يشهد التاريخ على استمرار المقاومة الشجاعة والبطولية للقبائل الريفية التي واجهت خلال القرون الطويلة كل أنواع الاستعمار الاسباني. وقد وصلت هذه المقاومة الى أوجها في حرب الريف الشهيرة التي استمرت من ١٩٠٩ الى ١٩٢٧ تحت قيادة البطل عبد الكريم الخطابي والتي شكلت معركة أنوال (١٨/٢١ يوليوز ١٩٢١) أضخم وأكبر هزيمة وجهت للعدو الاسباني في تاريخ احتلاله للمناطق المغربية، حيث اضطرت الاستعمار الاسباني الى اللجوء الى جيوش الاستعمار الفرنسي بالاضافة الى استعمال الخونة المحليين لتوجيه الضربة القاسية التي تلقتها المقاومة الريفية سنة ١٩٢٥.

في ظل واقع المقاومة الثابتة والمستمرة للقبائل الريفية وأمام واقع الابادة والطرد الجماعي الذي ظل يمارسه الاستعمار في حق القبائل الشرعية التي انتزعت منها أراضيها بقوة السلاح والتدمير، نهجت السلطات القائمة بالمغرب وبعد عهد "الحزن" سياسة خيانية تتجلى في الاعتراف والقبول الفعلي بواقع الاستعمار بل والعمل على ادخاله المباشر، وتشهد على هذا الواقع، الاتفاقيات المتعددة التي عقدها سلاطين الخيانة المتتالية مع قوات الاستعمار الاسباني. ونخص بالذكر منها، الاتفاقية المبرمة في ٢٨ ماي ١٧٦٧ بين الملك العلوي محمد بن عبد الله والملك الاسباني شارل الثالث، والاتفاقية المبرمة في ١ مارس ١٧٩٩ بين شارل الرابع وسليمان العلوي والتي تعهد فيها سليمان بالقيام بالمجهودات الضرورية لردع القبائل الريفية المقاومة. ولم يكن ذلك ليحد أو يردع القبائل التي استمرت في حربها ضد المستعمر بينما استمرت السلطات المتتالية بالمغرب في عقد اتفاقيات خيانية متعددة كاتفاقية العرائش في مارس ١٨٤٥ أثبتت اتفاقية ١٧٩٩. ثم جاءت اتفاقية تطوان في ٢٤ غشت ١٨٥٩ المبرمة بين عبد الرحمان العلوي وابزاسل ٢ والتي تهيء لتوسيع الاراضي الخاضعة للاستعمار الاسباني بطنجة، وذلك لتمكين الاسبان من توفير بزام أمني أوسع و"منطقة حرة" يسهلان عملية التحكم في الاوضاع وتحصين مواقع المستعمرين من الهجومات المستمرة للقبائل الريفية، بل وتعهد الملك بتعيين قائد وفيلق من القوات العسكرية ليرابط "بالمناطق الحرة" لمليلية وصخرة باديس ثم صخرة الحسيمة حتى تكون صمام الامان أمام هجومات القبائل الريفية. وقد تم عقد اتفاقية أخرى خاصة بمدينة سبتة في ٢٦ يونيو ١٨٦٢ بمدينة طنجة، تلزم الالتزام من خلالها بتطبيق نفس التعهدات الخاصة بمدينة مليلية وصخرة باديس وصخرة الحسيمة/ بينما ظل التواجد الاستعماري بالجزر الجعفرية، الحالة الوحيدة التي لم تقنن من خلال اتفاقيات معدة، ومنذ ذلك العهد أي ١٨٥٩ - ١٨٦٠ والحدود المرسومة بالنسبة للاراضي المحتلة من طرف الاستعمار الاسباني فائتة الى حدود اليوم، ولم تقم السلطات المركزية المتتالية بالمغرب وعبر السنوات انسجاما مع طبيعتها وطبيعة مصالحها بأية معركة تحررية فعلية، فالمناسبات الوحيدة التي قامت بها السلطة المركزية بالمغرب برد فعل عنيفة كانت كلها مرتبطة بتطور مناطق "العصيان" حيث برزت شخصيات محلية ترفض وتنافس السلطة، لا تفرض نفسها كممثل للمناطق المعنية وبالتالي كقوة بخطر الاستعمار الاسباني بنفسه التعامل والتجاور معها. وخارج هذه الحالات يسري التآمر على القبائل الريفية وتتعاقب المؤامرات ضد سكان هذه المنطقة ومطالبهم المشروعة. وقد جندت سلالة الملوك العلويين، سلالة هذه الخيانات المتتالية والتآمرات التي استمرت حتى بعد استقلال بلادنا الشكلي وعلى يد الحسن الثاني كما هو معروف بالنسبة لمساهمته الشخصية في عملية ابادة جيش التحرير بالشمال وتحالف مع قوى الاستعمار الفرنسي والاسباني، والتي تبرز اليوم أيضا من خلال الاتفاقيات العسكرية والتعاون السافر بين أجهزة البوليس السري ووزارة الداخلية بالمغرب واسبانيا ثم من خلال التسهيلات الكبيرة التي يمنحها النظام الحالي للبرجوازية الاسبانية والتي تسير بتوسيع مصالح هذه الاخيرة على حساب الاستغلال البشع لابناء شعبنا بل ويستمر المستعمرون الاسبان في احتلالهم للعديد من الضيعات الكبيرة بالشمال، وكل هذا في اطار التواطؤ "الذي" بين نظام ارتبطت مصالحه بمصالح الاستعمار والامبريالية. وما تصريح الحسن في الندوة الصحفية المنعقدة في ٢٥ نونبر ١٩٦٥ الا تثبيتا صارخا لسياسة الخيانة والتواطؤ مع المستعمرين. لقد أدلى بأن استرجاع سبتة ومليلية سيكون نتيجة طبيعية لا استرجاع جبل طارق من طرف اسبانيا وذلك لكون القوى الامبريالية لن تسمح في هذه الحالة لاسبانيا بالتحكم في المدخلين الوحيدين الى نفس المضيق، والمعنى الواضح لذلك هو النزول الكامل عند قرارات ومصالح الامبريالية التي ستحدد بقاء سبتة ومليلية تحت السيطرة الاسبانية أو تحولها الى السيطرة الملكية، أما مطامح الجماهير الوطنية فلا نصيب لها في هذه الحسابات.

هذا وتعيش الجماهير التي انتزعت منها أراضيها في أوضاع اجتماعية واقتصادية مزرية، حيث تستخدم كيد عاملة رخيصة وضمن شروط عمل خطيرة لا تضمن حتى سلامة وأمن العمال. كما يزج بها في أطراف المدن المحتلة في أحياء القصدير حيث تفتقد أدنى الشروط الانسانية للعيش وحيث يشجع الاستعمار الاسباني انتشار المخدرات وكل أصناف الامراض الاجتماعية في نفس الوقت الذي يسلط عليها أبشع أنواع القمع الفاشي.

هكذا تعيش هذه الجماهير واقع الاستلاب المزدوج: الاستيلاب على مستوى حقوقها الوطنية والثقافية حيث تصب كل مجهودات الاستعمار في اتجاه محو شخصيتها وهويتها المغربية، والاستلاب على مستوى الاستغلال الطبقي الذي يمارسه الرأسمال الاسباني لليد العاملة المغربية وحرمانها من حقوق الشغل وحقوقها الاجتماعية التي يتمتع بها العمال الاسبان.

وفي هذا الاطار يأتي قانون الاجانب ليعمق هذه الوضعية ويخضع المستعمرين الاسبان بكل قواه من أجل تقنين وضعية الطرد الجماعي في حق السكان وابتزاز هويتهم وسحق روحهم الوطنية كاجراءات وقائية أمام تصاعد الرفض والتعبيرات النضالية لجماهير سبتة ومليلية التي ما لبثت تتأجج وتتعمق لقد شكل انفجار قنبلتين بمليلية وسبتة في يونيو ١٩٧٥ ناقوس الخطر بالنسبة لسلطات الاستعمار الذي لجأ الى اعتقال مواطنين مغاربة والضغط على بعض العناصر البارزة للاختيار ما بين الجنسية الاسبانية أو الطرد المباشر. كما قامت بطرد العشرات من العائلات التي التجأت في أطيافها الى مدينة تطوان.

وفي يونيو ١٩٧٥ تأجج السخط الجماهيري بعد مقتل شاب مغربي برصاصة من طرف أحد رجال البوليس الاستعماري وذلك بعد أن أصبح هذا الشاب يتعامل مع راديو ووتش كارلو التي كانت تقوم بتحقيق حول مدينة سبتة.

كما اضطرت السلطات الاسبانية في ٢٠ أكتوبر ١٩٧٥ الى اقفال الحدود البرية لسبتة لمدة ١٥ دقيقة بعد أن حاول مئات من الشباب الريفي المتظاهر مداهمة ودخول مدينة سبتة مرتين.

كما ابتدعت الجماهير بالمناطق المحتلة أساليب نضالية واحتجاجية متنوعة لتقف دون تطبيق المخطط الاستعماري الرامي الى اقتلاعها من أرض أجدادها والى جهاز على هويتها الثقافية والشخصية وذلك بالتصدي بكل الاساليب ضد قانون الاجانب مرورا من المظاهرات والاعتصامات بالمساجد واغلاق المتاجر والاضرابات عن الطعام ومن الدراسة ووصولا الى المواجهات العنيفة مع قوات الاستعمار القاشية في نفس الوقت التي تستمر الجماهير في المناطق المحتلة مقاومتها واحتجاجها، يتم قمع كل محاولة تضامن مع هذه النضالات من طرف الشعب المغربي، ويحاول النظام استيعاب السخط الجماهيري بمحاولة فرض بعض الشخصيات البارزة والموالية للسلطة الملكية كممثلة لهذه الجماهير، ويسري الكلام في صفوف الاحزاب الاصلاحية وعلى رأسها حزب الاستقلال على هذه الشخصيات، بينما تغيب في دعايتها أية تعبئة فعلية للجماهير المغربية لمساندة نضالات اخوانها في المناطق المحتلة، وذلك على غرار ما قامت به الحركة الوطنية في السابق، أي ربط مصير المعركة الوطنية بالولاية للسلطة الملكية.

أمام هذا المخطط الاستعماري، يفرض على الجماهير المناضلة بالمناطق المحتلة أن تتسلح باليقظة والحذر اتجاه أعدائها المستعمرين الاسبان وحلفائهم مخابرات المتسلطين على شعبنا منذ قرون، وأن تطور أساليب نضالها وتنوعها ثم تبدع أشكالا تنظيمية تضمن استقلاليتها عن أية وصاية وتفرز ممثليها الحقيقيين والمعبرين عن مطالبها.

هذا وان محاولة فضح تحالف النظام الرجعي مع العدو والمستعمر وتآمره من الطاقم الشرعية لجماهير شعبنا في المناطق المحتلة، لحظة لكل المناضلين المغاربة الذي يطرح عليهم في نفس الوقت تنظيم وابداع كل أشكال التضامن الفعلي مع نضالات الجماهير بسبتة ومليلية بأفق تحررها. *

منظمة الى الأمام : تعريف موجز بمناسبة

بمناسبة مرور 16 سنة على تاسيس منظمتنا الى الامام ، نصدر هذه المقالة بهدف التعريف عند جماهير شعبنا وعند المناضلين الثوريين والديمقراطيين والعاطفين المهتمين بالمراحل التي مرت منها منظمتنا وبمنظورها لواقع بلادنا ولبديل الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية على طريق الاشتراكية التي تشكل الطريق الوحيد لخلاص شعبنا من الجهل والفقر والجوع ومن الاستبداد والاضطهاد والتخلص من عدوه الطبقي المتمثل في الامبريالية والصهيونية والكمبرادور و وملاكي الاراضي الكبار والنظام الملكي الساهر على مصالحهم .

شروط انبثاق الحركة الماركسية اللينينية المغربية وتأسيس منظمة الى الأمام

ان ميلاد الحركة الماركسية اللينينية المغربية وتأسيس منظمتنا الى الامام جاء كضرورة تاريخية حتمية تستمد شرعيتها من فعل شروط داخلية وموضوعية تتمثل في شروط الصراع الطبقي بالمغرب ومن الدور الذي لعبه النضال التحرري الوطني العربي والعالمي في انضاج الوعي بالشروط الداخلية .

ان توفر هذه الشروط خلال فترة 1965/1970 ، مكنت من تبلور القناعة بمواقف البروليتاريا وضرورة البحث عن الاداة التنظيمية البديلة لدى عدد من المناضلين ، وقد شكل المناضلون المثقفون ومناضلوا الشبيبة المدرسية ، الفئة التي كانت مؤهلة لاستيعاب الدروس الرئيسية لنضال الشعب المغربي التحرري الوطني ولنضال البروليتاريا في العالم وبالتالي الفئة التي كانت في مقدمة تبني الفكر والبديل الشيوعي . فنشات في 1970 الحركة الماركسية اللينينية المغربية وضمنها

منظمتنا الى الامام بمبادرة من مناضلين ذوي تجربة سياسية داخل الاحزاب البرجوازية الصغيرة بحزب التحرر والاشتراكية وحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية .

قد تجسدت الشروط الداخلية المرتبطة بتطور الصراعات الطبقية في المغرب في ما يلي :

– اجهاض معركة الاستقلال الوطني في 1956 لصالح نفس الفئات ونفس القوى التي أدخلت الاستعمار وتواطئت معه في بداية القرن وتنصيب نظام استعماري جديد جاء لقطع الطريق أمام مسيرة الاستقلال الحقيقي ولانقاذ ورعاية ما هو جوهري في مصالح الامبريالية والقوى الاستعمارية في البلاد بكل ما يعنيه ذلك من ابقاء المغرب في دائرة التخلف والتبعية وما تمثله من تعارض مع مختلف طموحات الشعب الاجتماعية و والاقتصادية والسياسية والثقافية .

– تدعيم ركائز سلطة النظام (بناء جهاز الجيش والشرطة ..) وتوسيع قاعدته الاجتماعية (بقايا الاقطاع ، ملاكين عقاريين كبار وبرجوازيين كمبرادوريين) وبناء جهاز الدولة المسخر لخدمة مصالحه المرتبطة بمصالح الامبريالية وحمايتها بكل الوسائل بما فيها العنف المسلح ضد التطلعات الشعبية الوطنية والديمقراطية .

– تدشين مسلسل الهجوم على المكتسبات الشعبية منذ سنة 1960 عبر تسريع مسلسل تفقير وبلترة الفلاحين ومضاعفة وتصعيد الاستغلال ضد الطبقة العاملة والتراجع على المشاريع الصناعية الكبيرة المقدمة من طرف القيادة السياسية للبرجوازية الصغيرة وتوجيه المنتجات الفلاحية لتلبية حاجيات السوق الاوروبية المشتركة وتمكين البرجوازية التجارية لسنوات الخمسينات من تدعيم قاعدتها الاقتصادية عبر الاستثمارات في قطاع النسيج وضرب الطموحات الثقافية للشعب عبر الهجوم على قطاع التعليم ....

– وقد شكلت انتفاضة 23 مارس 1965 الشعبية من جهة محطة تاريخية أساسية في تجذير الوعي لدى العديد من المناضلين وأساسا المثقفين منهم والمتواجدين داخل الشبيبة المدرسية وأبرزت من جهة أخرى افلاس الاحزاب البرجوازية الصغيرة وعجز الخط الاصلاحي على تحقيق المطامح الشعبية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا نظرا لمراهنته المستحيلة على امكانية التوفيق بين مصالح الشعب ومصالح النظام الملكي .

– احتداد التناقضات في البادية توتصاعد حجم المعارك البطولية التي خاضتها الطبقة العاملة ابتداء من سنة 1968 والتي وصلت حجما لامثيل له سنة 1971 ، ثم تصاعد نضالات الشبيبة المدرسية منذ أواخر 1968 حيث أصبحت تمثل قوة ملموسة على الساحة السياسية خلال سنوات 1972/71 .

ان الحركة الماركسية اللينينية المغربية وضمنها منظمتنا الى الامام اذن تشكلت في ظل اشتداد حدة التناقضات الطبقية في المجتمع المغربي في الستينات وفي اطار النهوض الجديد للصراع الطبقي للطبقة العاملة وللفلاحين وللجماهير الشعبية بوجه عام والذي لم تكن نضالات الشبيبة المدرسية الا المظهر البارز لها . وقد جاءت كبديل ضروري لفشلات أحزاب البرجوازية الصغيرة ومن أجل وضع أسس انشاء حزب البروليتاريا كأداة وموجه للطبقة العاملة والفلاحين في نضالها من اجل انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية وبناء الاشتراكية .

كما أن نشوء الحركة يرتبط بالمحاولات القديمة لانشاء حزب البروليتاريا المغربي الحزب المستقل للطبقة العاملة ، تلك المحاولات التي تمثلت في تشكيل الحزب الشيوعي المغربي في بداية الأربعينات ومحاولة تشكيل أنوية ثورية مرتبطة بالطبقة العاملة ليس كقوة مستقلة ولكن من داخل التيارات كما كان الحال بالنسبة لبنبركة

وعمر بن جلون داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ولابراهيم الروداني في بنائه لحلقات سرية داخل الاتحاد المغربي للشغل وللمناضلين الذين قاموا بتأسيس منظمة 23 مارس ولتخدم الشعب

اما الشروط الخارجية المرتبطة بالنضال التحرري للشعوب المضطهدة وبنضال البروليتاريا في العالم فهي كانت تتجسد في الثورة الثقافية البروليتارية الصينية ، افلاس القيادة البرجوازية الصغيرة للثورة العربية اثر هزيمة 1967 ، بداية انتصار الثورة الفيتنامية بشكل ساحق في 1968 على اكبر قوة امبريالية وانتصار معركة

الذكرى 16 لتأسيسها

الكرامة في مارس 1968 و الانطلاقة الجديدة للثورة الفلسطينية المسلحة و بروز التيارات الماركسية اللينينية داخل المقاومة الفلسطينية.

طبيعة الثورة و القوى و الأدوات الأساسية لأنجازها

امام واقع النهب و التبعية و حرمان الجماهير الشعبية من كل حقوقها الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية و ضرب مصالحها الوطنية فان التناقض الرئيسي في المرحلة الراهنة ببلادنا هو التناقض القائم بين الامبريالية و البرجوازية الكمبرادورية و ملاكي الاراضي الكبار و الحكم الملكي الذي يمثلهم من جهة و بين الجماهير الشعبية من جهة اخرى التي تضم الطبقة العاملة و الجماهير الشبه بروليتارية و البرجوازية الصغرى و فئة من البرجوازية المتوسطة ان هذا التناقض لا يمكن حله الا بالثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية بقيادة الطبقة العاملة. ان الطبيعة الثنائية لهذا التناقض تجعل حله النهائي مرتبط بممارسة العنف الثوري الجماهيري المنظم اتجاه العنف الرجعي، اي مرتبط بالاطاحة العنيفة بالسلطة السياسية و المصالح الاقتصادية و السيطرة الايديولوجية للطبقات الرجعية. لذلك فان انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية على طريق الاشتراكية نحو بناء المجتمع الشيوعي ضرورة تاريخية مرحلية تهدف الى اقامة الجمهورية الديمقراطية حيث تتمتع كل الطبقات الشعبية و قواها الوطنية الديمقراطية بكافة حقوقها وتمارس سلطتها ضد اعداء الشعب.

ان الطابع الوطني لهذه الثورة يكمن في ضرورة القضاء على نظام الاستعمار الجديد و كافة اشكال السيطرة الامبريالية و الاحتلال الاستعماري ببلادنا عبر بناء سلطة وطنية مناهضة للامبريالية و حلفائها. و ديمقراطية هذه الثورة تكمن في ضرورة القضاء على نظام الاستبداد و العلاقات الاقطاعية و الشبه اقطاعية التي يكرسها النظام الملكي و عبر ضمان تمتع الجماهير الشعبية بكافة حرياتها الديمقراطية و ايجاد الحل الجدري للمسألة الفلاحية بانجاز الثورة الزراعية و تحقيق شعار " الارض لمن يحرثها".

اما الطابع الشعبي للثورة فهو يكمن في ضرورة انجازها من طرف الجماهير الشعبية و ليس من طرف اية نخبة كانت، انها شعبية كذلك من منطلق ضرورة استجابة نظام الديمقراطية الشعبية لمطامح الجماهير الشعبية، اي الى ارساء اسس الديمقراطية الشعبية التي سوف تكون ادوات ممارستها الاساسية هي المجالس الشعبية.

ان الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية لا يمكنها ان تكون ناجحة و مصانة ضد الارتداد الى الوراء الا اذا كانت بقيادة الطبقة العاملة و حزبها المستقل باعتبارها الطبقة الاكثر ثورية و ذات المصلحة العليا في مواصلة المسلسل الثوري و انجاز مهام الثورة الاشتراكية على طريق المجتمع الشيوعي.

ان الطبقة العاملة نظرا لخصائصها الهيكلية هي الطبقة الوحيدة التي تحمل مشروع بناء مجتمع جديد ينعدم فيه استغلال الانسان لاخيه الانسان لانه بانعتاقها و تحررها كطبقة تتحرر كل الطبقات الاخرى، خلافا لكل الطبقات و الفئات الوطنية و الشعبية الاخرى التي لها مصلحة في الاطاحة بالسلطة الحالية و التي تسعى فقط لاستبدال مجتمع استغلالي بضرب مصالحها بمجتمع لاستغلالي آخر يضمن مصالحها.

لكل الاعتبارات السالفة الذكر، فان منظمتنا كمنظمة شيوعية مغربية، تدرك بان الاشتراكية على طريق بناء المجتمع الشيوعي هي وحدها القادرة على انجاز المطامح الاساسية لكافة الكادحين. لهذا فان برنامج منظمتنا يتضمن بالاضافة الى برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية و مجتمع الديمقراطية الشعبية برنامج الثورة الاشتراكية و الانتقال نحو المجتمع الشيوعي

وبما أن المغرب جزء لا يتجزأ من الامة العربية، فان منظمتنا تعتبر اهداف الثورة العربية اهداف للثورة المغربية. ان الاهداف الاساسية للثورة العربية، اعتبارا لطبيعة التناقض الاساسي على مستوى الامة العربية، تتجسد في القضاء على السيطرة الامبريالية و الكيان الصهيوني والرجعية العربية داخل امتنا العربية و ذلك عبر انجاز الثورات الوطنية الديمقراطية الشعبية في كل قطر على حدة نحو الوحدة و الاشتراكية. ويظل المجتمع العربي الاشتراكي الموحد على امتداد الامة العربية الهدف البعيد للثورة العربية و ذلك بناء على اسس ديمقراطية شعبية تضمن لكافة الاقليات القومية والثقافية و الدينية حقوقها المشروعة.

و تعتبر منظمتنا ان الثورة المغربية تضع نفسها ايضا الى جانب كفاح شعوب العالم و كافة القوى المناضلة من اجل التحرر الوطني و الديمقراطية و التقدم الاجتماعي و الاشتراكية بهدف القضاء على استغلال الانسان للانسان و اضطهاد بلد لآخر و بهدف خدمة مصلحة البشرية في التقدم و العدالة والسلم.

◄

ان انجاز كافة مهام الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية وفتح الطريق أمام الاشتراكية يتطلب قيادة الطبقة العاملة لهاته الثورة واستنادها في نجاحها على الطبقات الكادحة من عمال وفلاحين كمحور للجبهة الوطنية الثورية الواسعة التي تضم باقي الفئات ذات المصلحة في التحرر الوطني • لكنه يستحيل على الطبقة العاملة أن تقوم بمهامها التاريخية بدون تنظيم نفسها سياسيا وبناء حزبها الثوري المستقل ، الحزب الشيوعي المغربي • إن الاستقلالية السياسية والتنظيمية والايديولوجية للطبقة العاملة عن كافة الطبقات الاخرى بما في ذلك الطبقات والفئات الثورية في مجتمعنا مسألة ضرورية لتتمكن الطبقة العاملة من تعبئة طاقاتها الثورية الهائلة وتفجيرها بشكل منظم لصالح تحررها وتحرر المجتمع • من هنا فان الادوات الثلاث الرئيسية لانتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية وفتح الطريق أمام الثورة الاشتراكية هي :

ـ الحزب الثوري البروليتاري ، الحزب الشيوعي المغربي حزب الطبقة العاملة المستقل ، الذي تكافح منظمتنا الى الأمام من أجل المساهمة في بنائه ، وهذا الحزب هو الطليعة المكافحة والواعية للطبقة العاملة • والذي يضم في صفوفه العناصر العمالية الطليعية في الكفاح والنضال والأكثر وعيا بمصلحة الطبقة العاملة بالاضافة الى الفلاحين والمثقفين الثوريين الذين يعتنقون منظور الطبقة العاملة للثورة ومعالمها القريبة والبعيدة •

ـ الجبهة الوطنية الديموقراطية الشعبية التي سوف تضمن مشاركة كافة الطبقات والفئات الاجتماعية الشعبية في مسلسل الثورة المغربية كضرورة لانتصارها ، وتضم هذه الجبهة كافة القوى الثورية المعبرة عن مصالح الطبقات والفئات الشعبية من طبقة عاملة وفلاحين وأشباه البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة والجناح التقدمي من البرجوازية الوطنية •

ـ الجيش الشعبي الذي سيشكل الذرع المسلح للجماهير الشعبية وأداتها الأساسية في مواجهة الأجهزة القمعية للعدو الطبقي وذلك كضرورة حتمية لمواجهة العنف الرجعي الامبريالي بالعنف الثوري الجماهيري النظم •

وما دامت هذه الأدوات وتلك الأهداف الاستراتيجية لن تتحقق عفويا ، ولن تبنى الا من خلال النضال الجماهيري وفي مواجهة منظمة مع الحكم ، كان من اللازم بناء التنظم الماركسي اللينيني ، فكان ميلاد منظمتنا الى الامام على تلك الاسس المذكورة •

انطلاق منظمة الى الأمام المغربية وتجربتها النضالية

وتجربتها النضالية حتى سنة 76/75 •

ان منظمتنا الى الامام منذ تأسيسها بتاريخ 30 غشت 1970 ، قد اعتبرت مهمة توسيع وتقوية التنظيم السري كمهمة مرتبطة من جهة بتقوية الدعاية للخط والوعي الثوريين ومن جهة أخرى بتطوير النضال الجماهيري ضد الحكم • وفي هذا الاتجاه منذ المنطلق اصطدمت منظمتنا بالقوى الرجعية للنظام ، لكن كذلك بالاحزاب الاصلاحية التي دخلت في هجوم عدائي ضد الحركة الماركسية اللينينية الفتية • الا أنه في خضم هذا الصراع تمكنت الحركة من توسيع نفوذها السياسي والتنظيمي خاصة وسط الطلبة والمثقفين والشباب • فتمكنت من قيادة الحركة الطلابية في سنة 1972 والمساهمة في توجيه عدد من التنظيمات المهنية للمعدنيين والتقنيين ، وبناء نقابة وطنية للتلاميذ سرية تغطي عموم الساحة المغربية • هذا مع بداية تواجد في الأوساط العمالية والفلاحية والتي ظل فيها العمل ضعيفا

وبالفعل لقد تمكنت المنظمة خلال هذه السنوات (74/71) بالاعتماد على الحركة الطلابية وعلى حركة التلاميذ من تفجير العديد من الطاقات النضالية ومن المساهمة الفعالة في تنمية النضال الجماهيري وفي تعميق أزمة النظام الملكي وفي مواجهة المد النضالي الجماهيري وضرب المنظمة ، خاصة مع أحداث 3 مارس 1973 ، والمحزتين الانقلابيتين حيث بقي الجيش بدون جنيرالات ، لجأ الحكم الى تشديد القمع (منع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ، منع مجلة أنفاس ، توقيف سوفيت للاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، اعتقالات ...) في نفس الوقت الذي عمل الحكم على انشاء حركة الاخوان الفاشية التي تخصصت في مواجهة حركتنا وخاصة في محاربة النقابة الوطنية للتلاميذ بما في ذلك الاعتداءات الجسدية •

الا أن مختلف الهجومات قد فشلت تماما في اضعاف نفوذ منظمتنا ، كما أن القمع بالرغم من أنه في 73/72 قد مس بالعديد من مناضلي حركتنا (محاكمة الدار البيضاء في صيف 73) لم يتمكن من شل المنظمة ذلك لأن الشروط الموضوعية والسياسية العامة كانت لصالح حركتنا ولصالح نمو النضال الجماهيري أمام حكم معزول داخليا

ولقد تمكنت منظمتنا خلال هذا الصراع أن تحقق عدة مكتسبات أهمها :

ـ ابراز وفرض خط سياسي جديد وثوري في الساحة السياسية المغربية كجواب على مسألة التحرر الوطني في المغرب وكبديل للخط الاصلاحي التوفيقي •

ـ كسب تعاطف أعداد هائلة من المناضلين حول ذلك الطريق التحرري •

ـ ادخال وتعميم أساليب جديدة في النضال الجماهيري تتجاوز القمع وتعطي البرهان العملي اتجاه القوى الاصلاحية الانتظارية على أنه من الممكن خوض النضال الجماهيري وتنظيمه بالرغم من

فياب الحريات.

- تقوية التنظيم نوعيا وعدديا واكتساب تجربة في ممارسة العمل السري ...

لكن أمام بروز جبهة صحراوية مسلحة مناهضة للاستعمار الاسباني «جبهة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب» وأمام الأوضاع الداخلية لنظام فرانكو وعجزه عن الاستمرار في مواجهة الحركة التحررية الصحراوية، وأمام حجم الصالح الامبريالية في الصحراء الغربية والمهددة بالافلات من يدها بكل ما لذلك من انعكاسات على عموم المنطقة، وأمام الوضع المتأزم للحكم في المغرب وبهدف فك عزلته الداخلية، وتصليب قاعدته الاجتماعية والاقتصادية، وابعاد الجيش بعد تصفية بعض عناصره الغير مضمونة ولتحريف نضال الشعب المغربي، في ظل مجمل هذه الشروط دخل الحكم في المغرب اواسط سنة 1974 بتواطؤ مع الامبريالية في تعبئة سياسية وعسكرية لغزو الصحراء الغربية وتخليف الاستعمار الاسباني، خاصة وأنه كان يعتقد بأنها عملية بسيطة ذات فوائد كبرى.

وبالفعل ان تلك العملية السياسية مكنته في ذلك الظرف ولمدة بعض سنوات فيما بعد من قلب الاوضاع الداخلية لصالحه وذلك من خلال جر كل الاحزاب الاصلاحية المعارضة فيما قبل، الى اجماع معه ضد "العدو الخارجي" بما يعنيه ذلك من تسكين للنضال الجماهيري واعادة تثبيت شرعية الملك كقائد "وطني" أول، وتغليط الجماهير الشعبية لمدة وراء شعارات وطنية مزيفة.

ان هذا التحول الكبير في الوضع السياسي وفي خريطة الصراع وطنيا، مكن النظام من عزل القوى الثورية ومن ضمنها القوى الماركسية اللينينية. فتمكن في اواخر سنة 1974 من تسديد ضربة قاضية لمنظمة 23 مارس وهي منظمة شقيقة كانت تشاطر منظمتنا في خطها العام وجل مواقفها آنذاك.

وهكذا ظلت منظمتنا طيلة سنتي 76/75 القوة الوحيدة المواجهة للحكم على كافة المستويات بما في ذلك المسألة الصحراوية كما أن كل أجهزة البوليس داخل المغرب كان شغلها الأساسي على امتداد هذه الفترة هو تصفية منظمة الى الأمام.

ان صلابة التنظيم والوحدة الفكرية، وصمود مناضليه قد مكن من تحدي النظام وأجهزته طيلة سنتين. لكن ذلك وحده لم يكن كافيا للفوز، فتمكن الحكم في أواخر 1976 من اعتقال أغلب أعضاء القيادة الوطنية والعديد من أطر منظمتنا وقطع حبل الخيوط التنظيمية. وبالرغم من أن صمود حبل المناضلين المعتقلين، قد مكن من ابقاء عديد من الاعضاء خارج يد البوليس فان الحكم استطاع أن يشل عمل المنظمة والحاق ضربة قاسية بها.

وبعد أن قامت منظمتنا بدراسة سياسية وتقنية لهذه النكسة، أرجعت أسبابها الرئيسية الى

- اشتداد القمع وتركيز قواه على المنظمة كعدو أساسي للحكم.

- محورية نشاط المنظمة وتجدرها وسط الشبيبة المدرسية ومحاولة التنظير لذلك الواقع ابتداء من شتنبر 1970 باعتبار "الشبيبة المدرسية كمفجر للنضالات العفوية للجماهير الشعبية" الذي سيعرف دفعة جديدة في سنة 1973 بصياغة "مفهوم المقدمة التكتيكية".

- ضعف انغراس المنظمة داخل الجماهير الأساسية العمال والفلاحين وخاصة داخل القلعات العمالية الرئيسية.

- نظرة خاطئة للعمل وسط المنظمات الجماهيرية ولتنظيم هذا العمل.

- مفاهيم خاطئة لدور الاطارات النقابية والعلاقات داخلها مع التيارات الاصلاحية

- نظرة خاطئة لدور الشبيبة المدرسية في الصيرورة الثورية.

- نظرة خاطئة لهذه الصيرورة نفسها التي كنا نعتبرها سهلة سريعة.

- عدم انتهاج خط تكتيكي صحيح يراعي التحديد في الظرف العام في البلاد و يراعي قوانا الذاتية، حيث أنه في تلك المرحلة تجاوزا للشروط الموضوعية والذاتية استمرت منظمتنا في اسلوب التحريض الجماهيري المفتوح، وفي مواجهة مباشرة للحكم ولمواقف باقي الاحزاب المؤيدة له في غزو الصحراء الغربية.

رغم كل ذلك فان الحكم قد فشل في تصفية منظمتنا الى الأمام، وتكمن العوامل الأساسية لهذا الفشل في ما يلي:

- الصمود السياسي والمعنوي للقيادة الوطنية وأغلب أطر ومناضلي منظمتنا حيث أنهم داخل محاكم النظام نفسها قد رفعوا التحدي في وجهه وأدوا قناعتهم السياسية وكل مواقف المنظمة تجاههما فيها الموقف من القضية الصحراوية المتمثل في مساندة الشعب الصحراوي في تقرير مصيره وكفاحه من أجل التحرر الوطني تحت قيادة ممثله الشرعي والوحيد الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب، ورفضوا كذلك كل المساومات التي حاول الحكم أن يجريها معهم.

ان هذا الصمود السياسي، وكذا مواصلة النضال داخل السجون كالاضرابات عن الطعام وغيرها، كان له تأثير بالغ في رفع معنويات المناضلين الذين بقوا خارج السجن وكذلك معنويات جماهير المتعاطفين مع منظمتنا.

- صحة وصلابة الخط السياسي العام وترسيخ القناعة به.

- اتساع نفوذ منظمتنا وانتشار أفكارها ومواقفها لدى أوساط اجتماعية واسعة حيث أن ذلك النفوذ ظل فاعلا وسط الحركة الطلابية ووسط الشبيبة المدرسية حتى في أوج القمع وشل التنظيم وبالرغم من الهجمات السياسية للأحزاب المجتمعة مع الحكم.

- بداية تحول الوضع السياسي العام لصالح تأكيد صحة ومواقف واختيارات ◄

منظمتنا (سنة 79/78) عندما بدأت الجماهير تعرف حقيقة الحرب التي يخوضها النظام في الصحراء الغربية كحرب استعمارية ضد الشعب الصحراوي وتتحرك ضد انعكاساتها على حالتها المعاشية وتصطدم يوميا برفض الحكم المطلق بتحسين أوضاعها .

الوضع في المغرب ومهام منظمتنا المباشرة وبرامجها المرحلية و الأستراتيجية

ان الذي يمكن تأكيده بصفة اجمالية ، هو أن النظام المغربي لم يعرف في أي وقت مضى وضعا مهتزا ومتأزما أكثر من الآن . وأهم مميزات هذا الوضع هي :

- استفحال الأزمة الاقتصادية لدرجة خطيرة ، حيث أن كل القروض واشكال الدعم الخارجي ، وكل الانتفاحات الليبرالية التي ذهب فيها الحكم للأقصى حد في الفترة الأخيرة لجلب الرأسمال الاجنبي ، ستبقى فاعليتها محدودة جدا ، وغير كافية تماما للاتيان بأي علاج . وان مجرد حصر تعمق الأزمة أصبح يتطلب الآن تغييرات هيكلية ، وتبديل منهجي في التوجيه الاقتصادي العام الذي سار عليه المغرب منذ الستينات . ان هذه الأزمة لا تمس المقدورات المالية فقط ، وحياة الطبقات الكادحة وفئات البرجوازية الصغرى والمتوسطة ، بل انها بدأت تمس حتى مصالح الطبقة الحاكمة نفسها باستثناء الفئات العليا الادارية والتي تنتعش من سرقة خزينة الدولة والسمسرة التجارية وغيرها ودخول اسبانيا والبرتغال الى السوق الاوروبية المشتركة قد وضع جزءا هاما من قاعدة الحكم (الملاكين الزراعيين الكبار) في مأزق خطير . كما أن استمرار النظام في حربه العدوانية في الصحراء الغربية ستسرع بايصال هذا الوضع الاقتصادي المتدهور الى الافلاس التام .
- الفشل السياسي والديبلوماسي للنظام في قضية الصحراء وعجزه عن انهاء الحرب عسكريا رغم كل الجهود التي بذلها ، الشيء الذي يضعه في مأزق تام وله مضاعفات كبرى على الوضع الداخلي .
- بطلان مفعول حرب الصحراء في تجميد النضال الشعبي . فاذا كانت فئة الضباط الكبار لها مصلحة في استمرار الحرب ، فان عموم الجنود والضباط الصغار يريدون انهاءها عاجلا وبأي ثمن .

كما أن أوسع الجماهير التي تجد نفسها يوميا في مواجهة مع سياسة النظام وقمعه - وليس مع عدو خارجي - لم تعد ترى في تلك الحرب الا مصدرا لتعميق بؤسها وتريد التخلص منها . وتبعا لذلك وايضا بفعل الدعاية المضادة للحكم بشكل خاص من طرف منظمتنا ، فان الشعارات الشوفينية لم تعد قادرة على تحريك وتجنيد الشعب المغربي .

- انتحار أجهزة الدولة وتنامي التناقضات داخلها بفعل انتشار الرشوة على كافة المستويات وتضارب المصالح الفئوية ، هذه الأمراض التي تعمل ضد الحكم (ضعف فعالية الأجهزة ، تعميق سخط الشعب ...) تستعمل في نفس الوقت لربط تلك الأجهزة وخاصة أطرها بمركز السلطة (الملك) ولمراقبة وضرب بعضها بالبعض عند الحاجة . وان قضية الدليمي تؤكد ، اضافة الى ذلك اهتزاز جهاز الدولة ، كما أن عدة مؤشرات أخرى تؤكد أن العديد من البرجوازيين الكبار قد فقدوا كل ثقة في سياسة الملك وقدرته على ضمان مستقبل الطبقة الحاكمة .
- سقوط مصداقية الحكم ومصداقية الملك بالذات في أعين أوسع الجماهير حيث أن نقد الحسن والتعبير عن عداء قاطع ضده أصبح مسألة متداولة في الاوساط الشعبية بمناسبة كل انفجار شعبي .
- ضعف الاجماع الرجعي الاصلاحي الحالي ومحدودية فعاليته على المستوى الداخلي . ان الحكم عن طريق القمع أساسا ، وعن طريق المناورة والابتزاز السياسي (أطروحة العدو الخارجي) تمكن من جر قيادات المعارضة الاصلاحية من جديد وبقوة أكثر الى جانبه عما يسمى بالاجماع الوطني وذلك أن تفكك ما يسمى بالجبهة الداخلية تحت ضربات النضال الشعبي ان هذا نجاح للحكم ، نسبي ومحدود جدا ومن حيث التأثير على مجرى الصراع في الساحة المغربية بحيث أن
- الاجماع الحالي يتميز باشتداد التناقضات المصلحية بين مكوناته وأحزابه حيث ان كل واحد منها يسعى قبل كل شيء الى تقوية نفوذه في جهاز الدولة واستعمال ذلك لتوسيع مصالحه ودائرة زبنائه . كما أنه يتميز بسيادة التشاؤم وفقدان الثقة في المستقبل سواء في مسألة الصحراء أو في مصير النظام . وبالتالي انها جبهة هشة ومهزوزة .
- انتقال العديد من المناضلين الى موقع المعارضة للحكم والصراع ضد القيادات المتحكمة له . وقد برز توجهان داخل الاتحاد الاشتراكي ، انسحاب عديد من مناضلي حزب التقدم والاشتراكية ان نجاح حملة المقاطعة للانتخابات البرلمانية في شتنبر 1984 ، حيث وصلت هذه المقاطعة في بعض المدن الى 75٪ وتراوحت وطنيا ما بين 50و60٪ حسب تقديرنا (رسميا المشاركة كانت بـ 67٪) دليل على اهتزاز تلك الجبهة ، وذلك بالرغم من الضغط الاداري وكل الجهود التي بذلتها كل الاحزاب الرسمية لجر الشعب الى صناديق التصويت ، وبالرغم من ضعف الامكانيات المتوفرة وشروط القمع تحركت منظمتنا فيها لانجاح شعار المقاطعة .

ان فشل النظام وعجزه التام لجر الرأي العام الشعبي وراء خط التصعيد وحملة الشوفينية الكبرى ضد الجزائر بعد الضربة التي تلقاها على المستوى الافريقي من

خلال دخول الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية الى حضيرة منظمة الوحدة الافريقية يعتبر دليلا قاطعا على مدى تقدم وتجذر وعي الجماهير بطبيعة مخططاته وأهدافه الرجعية والاستعمارية.

ان كل هذا يؤكد ضعف الاجماع الحالي في التأثير على الجماهير.

ان الحكم في محاولة يائسة لضبط وضعه المتأزم هذا، مدعو بالضرورة الى

+ المزيد من التعبئة والاعتماد على الدعم اللامبريالي والمالي والسياسي والعسكري الدعم الذي لا زالت هذه القوى تمنحه له، بدون أن يلغي ذلك قلقها المتزايد حول مصير النظام الملكي، وعملها بدون شك على توفير امكانية صيانة مصالحها مع الحسن أو غيره.

+ المزيد من تحميل أثقال الازمة الاقتصادية على ظهر الجماهير، وعلى حساب المصالح الوطنية.

+ تصعيد القمع بدرجات أعلى ضد الحركة الجماهيرية ومناضليها وخاصة القوى الثورية المنظمة بهدف تشطيب الساحة من "عناصر التحريك"، كشرط أساسي لضبط الوضع الداخلي.

+ أما بخصوص مسألة الصحراء، فأمام فشل النظام السياسي وعزلته الدولية على هذا الصعيد، والعجز عن انهاء الحرب عسكريا فان خطة الحكم تنبني الآن تسخير كل احزاب "اجماعه الوطني" لشن هجوم مضاد سياسي ودبلوماسي هدفه الاول هو من جهة عرقلة تقدم جبهة البوليساريو في تحقيق مكتسبات أخرى، ومن جهة أخرى ابراز حسن ارادته في الوقت الذي يعمل فيه (بدون جدوى لحد الآن) على جر المسألة الى الاطار العربي.

+ تعزيز التحصينات الوقائية والعمل على توظيف التحول الحاصل في موريطانيا لتضييق الخناق على التحركات العسكرية لجبهة البوليساريو.

الا أن الجهود الرئيسية للنظام الملكي موجهة لشل الحلفاء الرئيسيين لجبهة البوليساريو، وبالدرجة الاولى تصعيد مختلف أنواع الضغوطات على الجزائر وذلك بدعم من الامبريالية.

ان الحكم يجد نفسه فعلا في مأزق تام بخصوص مسألة الصحراء. الا أن وضعه الداخلي الاقتصادي والمالي، ووضعه السياسي تجاه حركة الجماهير، يجعله يعرف مسبقا وكيف ما كان الدعم الذي يمكن أن يتلقاه من الخارج، أن حربا مع الجزائر قد تكون بداية لنهايته. ولذلك واذا كان لا يجب الالغاء التام لامكانية قدومه على مغامرة حمقاء من هذا النوع، فان احتمال حدوثها يبقى ضعيفا...

ان التصعيد والتلويح بالحرب انما يدخل في اطار الضغط على الجزائر وفي نفس الوقت توظيف ذلك للحد الاجماع الرجعي الاصلاحي من جهة وتبرير المزيد من التجويع للجماهير والقمع للقوى الثورية.

ان انتفاضتي يونيو 1981 ويناير 1984، قد حفرتا خندقا عميقا بين أوسع الطبقات الشعبية وبين النظام الملكي. كما ان تلك الانتفاضتين تعبرين عن تقدم هام في وعي الجماهير بعدوها الحقيقي، واستعداداتها الهائلة لتقديم كل التضحيات دفاعا عن مصالحها.

ان استمرار الحكم في سياسته الحالية وفي تصعيد القمع سيدفعان بالضرورة الى تعميق عداء الجماهير وتجذير حركتها ضده.

الا أن مجمل هذه الشروط وهذا الوضع الثوري من الناحية الموضوعية تبقى حاليا في تفاوت كبير مع الشرط الذاتي للثورة ولو أنه يفعل بقوة في توفير ذلك الشرط.

ان انتقال جماعات وتيارات من دعم ما يسمى بالاجماع الوطني الى موقع معارضته وفرز النضال الجماهيري لتيارات جذرية أخرى، يؤكد وجود حركة معارضة واسعة للحكم مقابل المعارضة التقليدية الدائرة حول النظام والتي تقلصت وتقلص نفوذها بشكل كبير. الا أن الطاقات الثورية الهامة هذه، لا زال جزءا منها لم يؤطر تنظيميا بصفة محكمة، أو لم يكتمل لديه الوضوح الاستراتيجي.

ان مجمل الوضع السابق الذكر يفرض علينا عددا من المهام الرئيسية المباشرة سواء لمواجهة وحصر السياسة المتبعة من طرف الحكم داخليا وخارجيا او لمراكمة الطاقات الثورية وإطلاق مسلسل ثوري.

ويمكن تلخيص هذه المهام في ما يلي

– المزيد من التقدم في بناء التنظيم الثوري وتصليبه في الاوساط الشعبية وخاصة وسط العمال والفلاحين.

– تطوير العمل الجبهوي وبناء الأسس الثابتة لبناء جبهة ثورية موحدة.

– المزيد من تنمية النضال الجماهيري وتطوير اشكال تنظيمه وتطويره.

– المزيد من التعريف بمنظمة الى الامام وبحركة المعارضة الفعلية للحكم.

– توسيع دائرة الدعم والتعاطف الخارجي مع كفاح الشعب المغربي وبالمقابل فضح طبيعة الحكم في المغرب وتأليب الرأي العام الدولي ضده.

ان التقدم في هذه الواجهات تعتبره مسألة حيوية و ضرورية لتقديم مسلسل الثورة في المغرب.

ان المحاور الأساسية لبرنامج منظمتنا بالنسبة للثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية هي:

1– القضاء على البرجوازية الكمبرادورية وملاكي الاراضي الكبار والنظام الملكي الاستبدادي وتحطيم جهاز الدولة الكمبرادوري وبناء نظام الديموقراطية الشعبية الذي تجسده الديموقراطية الشعبية وسلطة المجالس الشعبية على كافة المستويات.

2– استدعاء مجلس تأسيسي شعبي منبثق عن هذه المجالس الشعبية وذلك لوضع دستور ديموقراطي شعبي يضمن ◄

لشعبنا ولقواه المنظمة حق التمتع بجميع الحريات الديموقراطية وكافة الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يخولها له النظام الجديد، نظام الديموقراطية الشعبية.

3- القضاء على بقايا الوجود الاستعماري ببلادنا وذلك بتحرير سبتة ومليلية والجزر الشمالية المغربية والقضاء على نظام الاستعمار الجديد بدءا بجميع أشكال التواجد العسكري والسياسي للامبريالية ببلادنا.

4- تسليح الشعب وبناء جيش شعبي هدفه الدفاع عن مصالح الشعب وحماية استقلال وسيادة بلادنا وخدمة الاهداف القومية الثورية للأمة العربية.

5- انجاز الثورة الزراعية التي تنتزع الأرض من ملاكي الاراضي الكبار باعتبار أساس لتعطيها للفلاحين الفقراء منهم بالخصوص وللعمال الزراعيين طبقا لشعار "الارض لمن يحرثها" وسيكون دور التنظيمات الثورية الجماهيرية للفلاحين وللعمال الزراعيين حاسما في انجاز هذه العملية وفي اقناع الفلاحين لاحقا بالانخراط في النظام التعاوني وتطويره. ان الثورة الزراعية تهدف أساسا الى القضاء على ملاكي الاراضي الكبار كطبقة وعلى العلاقات الاقطاعية والشبه اقطاعية في البادية وفي تحرير الفلاحين والعمال الزراعيين.

6- القضاء على السيطرة الامبريالية والكمبرادورية على اقتصاد بلادنا وتدمير نظام الرئسمالية التبعية السائدة فيها وذلك عبر تأميم القطاعات والمؤسسات الاقتصادية الحيوية، وبناء اقتصاد وطني مستقل عن الاقتصاد الامبريالي وقادر على الاستجابة للحاجيات الاساسية لبلادنا وشعبنا من تجهيزات وطاقة ومواد أولية أساسية ومواد غذائية وملابس وسكن وأدوية وتجهيزات اجتماعية (التعليم الصحة، النقل ...)

7- ضمان الشغل للجميع رجالا ونساء، وضمان حد أدنى للاجور يوفر حياة انسانية كريمة لكافة العاملين وتحسين الاوضاع المعيشية الاقتصادية والاجتماعية لكافة الجماهير الشعبية ورفع مستواها المعيشي باضطراد.

وضع قانون جديد للشغل يهدف الى حماية الكادحين والكادحات أثناء العمل (بالخصوص عبر تقنين أوقات العمل وتوفير شروط صحية وانسانية للعمل) والى ضمان مدخول أدنى خلال التقاعد عن العمل. ان ترسيخ هذه المكتسبات يتطلب بالضرورة أن تلعب المنظمات الجماهيرية للطبقة العاملة ولكافة الكادحين دورا حاسما في تعبئة الجماهير الشعبية وبلورة ارادتها الجماعية.

8- ضمان تعليم وطني ديموقراطي شعبي علمي لكل ابناء الشعب وبناء ثقافة وطنية ديموقراطية شعبية على أسس علمية وقادرة على استيعاب التراث التقدمي لشعبنا ولجميع الشعوب العربية وضمان الحقوق الثقافية لجميع مكونات شعبنا وبصفة خاصة ضمان انتشار وتطور اللغة والثقافة الأمازيغية.

9- تحرير المرأة المغربية من العبودية والاضطهاد والاستغلال المكثف ومن القيود التي تفرضها عليها العلاقات الاجتماعية العتيقة وضمان حقوقها الديموقراطية وفي مقدمتها المساواة مع الرجل وحقوق الأمومة.

10- على صعيد منطقة المغرب العربي الاقرار بحق الشعب الصحراوي في تقرير المصير والاستقلال والنضال من أجل وحدة بلدان المغرب العربي، وحدة ديموقراطية نابعة من ارادة جماهيرنا الشعبية كخطوة على طريق الوحدة الشاملة للأمة العربية.

11- على صعيد الأمة العربية، دعم كفاح الشعب الفلسطيني من أجل تحرير فلسطين من الصهيونية واقامة دولته الديموقراطية العلمانية فوق كامل ترابه الوطني ومساندة البرامج المرحلية التي يضعها الشعب الفلسطيني من أجل خدمة هذا الهدف النبيل.

دعم كفاح الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية من أجل التحرر الوطني الديموقراطي والاشتراكية وخوض الكفاح المشترك معها من أجل وحدة الامة العربية من المحيط الى الخليج.

12- مناهضة الاستعمار والعنصرية في العالم ومساندة كفاح الشعوب ضد الامبريالية وكل أشكال الاضطهاد والسيطرة ومساندة حركات التحرر الوطني وكل القوى الديموقراطية والتقدمية عبر العالم.

الى جانب البرنامج الخاص بالمرحلة الاشتراكية والبرنامج الخاص بمرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية تضع منظمتنا في كل فترة من تطور الصراع الطبقي ببلادنا برنامجا نضاليا مرحليا يسطر الأهداف النضالية المباشرة للمنظمة خلال تلك الفترة وكذا الاساليب والاشكال النضالية والوسائل التنظيمية الكفيلة بتحقيق تلك الاهداف.

ويمكن للبرنامج النضالي المرحلي ان يشكل كليا أو جزئيا قاعدة للنضال المشترك مع القوى المناضلة الاخرى وخاصة منها القوى الثورية.

من أجل تحديد البرنامج النضالي يتم الانطلاق اولا وقبل كل شيء من المطالب والمطامح الملحة للجماهير الشعبية سواء منها تلك التي نناضل من أجلها أم تلك التي نضجت الظروف للدخول في النضال من أجلها.

ثانيا من برنامج المنظمة للثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية وذلك ليكون البرنامج النضالي في خدمة أهداف الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية،

ثالثا من الوضع الذاتي للمنظمة وللحركة الثورية المغربية.

ان البرنامج النضالي المرحلي سيعرف تغييرات ذات أهمية متفاوتة بارتباط مع التحولات التي يعرفها الصراع الطبقي لكن ما دامت الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية لم تنطلق ولم تنجح بعد، فالبرنامج النضالي المرحلي، سيتضمن على الأقل المحاور الرئيسية الاتية

- النضال من أجل تحقيق الحريات الديموقراطية الأساسية للجماهير الشعبية ولقواها المناضلة، وتحسين أوضاع الجماهير الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.
- مناهضة مخلفات الاستعمار القديم ومناهضة السيطرة الاستعمارية الجديدة والامبريالية على بلادنا.
- دعم حق الجماهير الصحراوية في تقرير مصيرها.
- دعم كفاح الشعب الفلسطيني وحركات التحرر العربية والتضامن مع جميع القوى التقدمية عبر العالم.

*

مقتطفات من بيانات منظمة الى الأمام

تقديم

منذ حملة القمع والاعتقالات الهمجية التي أقدمت عليها عصابات البوليس الملكية في أكتوبر/نوفمبر 65 الى الان، أي خلال ما يناهز سنة، أصدرت منظمة الى الامام سلسلة من البيانات السياسية وفقا لما كانت تتطلبها الظروف السياسية التي كانت تمر منها بلادنا.

ونظرا لكثرة مواد هذا العدد، سنكتفي هنا باعادة نشر مقتطفات من بعضها التي تكتسي أهمية سياسية في تقديرنا، متفادين في ذلك، عنوة، ما تطرقت اليه من قضايا لها صلة بالوضعية السياسية، لأن المواضيع المنشورة في هذا العدد تتناولها بشيء من التفصيل...

بيان إدانة وفضح لهجمة النظام الملكي وللاختطافات خلال أكتوبر/نوفمبر 1985

في غمار الحملة القمعية التي عرفتها بلادنا خلال هذه الفترة، وزعت المنظمة بيانا يحمل عنوان "الارهاب بلا حدود" الذي استهلته بـ "في بلادنا هاته التي يمنع فيها حتى حلم الناس البسطاء، ارتكبت جريمة رهيبة يوم 6/11/1985، فقد عذب حتى الموت في 26/10/1975 المناضل التقدمي التهامي أمين ذو التسعة والعشرين ربيعا، حيث اختطف هو وزوجته مارية شرف من بيتهما، وأكرها على ترك طفلهما الرضيع ذي الشهور الستة في البيت لوحده، ولولا نجدة الجيران لمات الرضيع قبل أن يغتال الاب.

اختطف أمين التهامي ولفظ أنفاسه في اطار موجة جديدة من الاعتقالات التي مست مئات المناضلين، هؤلاء المناضلين المعتقلون حاليا في أوكار النظام السرية يتعرضون لابشع أنواع التعذيب والاذلال، وباستشهاد التهامي أمين 1 آلا شاهد صارخ على ذلك وعلى همجية ووحشية النظام وجلاديه التي لا تعرف الحدود...

وبموازاة مع هذا ما تزال بدون حل قضية المعتقلين السياسيين بمراكش المضربين عن الطعام منذ 23/6/1985، واللذين ربما ما يزالون على قيد الحياة بواسطة التغذية الصناعية (السيروم والمخدرات)، وحيث تجهل عنهم عائلاتهم ومعها الرأي العام الوطني والدولي كل شيء...".

وبعد أن أبرزت المنظمة في سياق تحليلها لتلك الحملة التي كشفت مرة أخرى عن الوجه الحقيقي لـ "ديموقراطية المخزن والقصر" حكم بوليسي تزداد شراسته يوما بعد يوم، أكدت أن:

"...كل شيء ببلدنا، المعروف ببساطة وحفاوة وكرم شعبه، في تحول الى منوعات بما في ذلك حياة الاطفال ان الشعب المغربي الذي يصرخ آلامه ومآسيه والحكومة الفرنسية تتهيأ لاستقبال الحسن الثاني، قاتل الاطفال في انتفاضة 65، 81، 84 وجزار الشعب عبر كل تاريخه منذ الريف 1958 حتى التهامي أمين 1985، ان هذا الشعب المسحوق ليعلن لكل الديموقراطيين في العالم أن هدف الحسن من هذه الزيارة هو البحث عن مساعدات لدعم الفئة التي تحكمه بالحديد والنار وتخنق أنفاسه بالفقر والقمع.

كما أن هذا الشعب نفسه يذكر بأن النظام الدموي في المغرب لتجاهل بالاطلاق لمصالح الجالية المغربية المهاجرة سواء منها المتعلقة بشروط اقامتها في المهجر أو الخاصة بشروط العودة الى أرض الوطن، ولا يهمه منها سوى أنها أبقارا حلوبة تذر عليه ملايين الفرنكات الفرنسية من العملة الصعبة كل عام..."

وأشارت المنظمة في الاخير الى أن حضور الحسن الى فرنسا كان يستهدف أيضا "طلب السلاح لتصعيد حربه القذرة ضد الشعب الصحراوي وطلب القروض لملء الحسابات الخاصة في المصارف ولدفع رواتب جلادي شعبنا وقتلته".

◄

لاستشهاد المناضل التهالي أمين

أصدرت المنظمة بهذه المناسبة بيانا تحيي فيه تلك الذكرى حيث أبرزت فيه أن المناضل الثوري أمين التهالي الذي، بعد أسبوع من اختطافه من طرف عصابات النظام الملكي البوليسية، تم اغتياله تحت التعذيب على يد جلادي مناضلي شعبنا، وبذلك يأتي النظام الدموي على ارتكاب جريمة أخرى بشعة في حق شعبنا وقواه المناضلة."

وأشارت المنظمة في معرض تحليلها الى أن تصفية أمين التهالي الجسدية تحت التعذيب جاءت في اطار سلسل من الاختطافات المسعورة التي شنها النظام الاستبدادي والتي شملت عشرات المناضلين، مبينة أن عملية قتل أمين التهالي "تدخل ضمن سياسة الاغتيالات السياسية التي ذهب ضحيتها العديد من المناضلين المخلصين لقضايا شعبنا المتمثلة في الانعتاق من قبضة الاستغلال والاضطهاد، ونذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر المهدي بنبركة، عبد اللطيف زروال، عمر بن جلون، سعيدة المنبهي، كرينة محمد، وأخيرا أمين التهالي.

هذه السياسة التي عرفت تصاعدا خطيرا منذ أوساط السبعينات في مواجهة النظام الملكي للحركة الثورية المتنامية ببلادنا".

وبعد أن عبرت المنظمة عن حزنها وآلامها ومشاطرتها لعائلة الشهيد ولكل القوى المناضلة حزنها وآلامها بمناسبة الذكرى الاربعينية لاستشهاد أمين التهالي، جددت استنكارها لجريمة قتل أمين ولمدبرها النظام الملكي الدكتاتوري السفاك ودعت كل القوى المناضلة أفرادا وجماعات وتيارات وكل الغيورين على حقوق الانسان الى ادانة تلك الجريمة وفضح ومناهضة سياسة النظام الفاشية، عاهدت في الاخير "جماهير شعبنا من جديد على السير بخطوات ثابتة على درب النضال، الذي أسقته دماء الشهداء نحو الثورة الشعبية، طريق خلاص شعبنا من النظام الملكي الدكتاتوري المتسلط على رقابه، وطريق كسر سحوقي ومقهوري شعبنا للانعتاق من القهر والجوع والمرض والجهل والقمع، وطريق تحقيق آمال وطموحات كل جماهير شعبنا في الحرية والعيش الكريم تحت السلطة الشعبية في ظل نظام الديمقراطية الشعبية على طريق الاشتراكية".

حول تقديم ٢٧ مناضلا ومن ضمنهم مناضلتين لمحاكمة صورية وشكلية بالدار البيضاء

أصدرت المنظمة بيانا معنونا بـ" لا الاغتيالات ولا التعذيب ولا المحاكمات لقادرة على توقيف مسيرة شعبنا النضالية" تدين وتفضح فيه تلك المحاكمة التي اعتبرتها تتويجا لمسلسل قمعي همجي رهيب انطلق منذ أكتوبر ٨٥ اثر توزيع منظمتنا لمنشور يدين هجمة الحكم الجديدة على القوت اليومي لجماهير شعبنا المسحوقة تصريفا لازمة السماسرة وكبار ملاكي الاراضي المستحوذين على خيرات شعبنا وبلادنا.

وأبرزت المنظمة أن الحكم قدم أولئك ٣ المناضلين والمناضلات في الوقت الذي لم تنته فيه بعد المحاكمة الصورية لـ ١٥ مناضل ثوري بالمحكمة الابتدائية بنفس المدينة، وفي وقت لا زالت فيه المخابرات البوليسية السرية محتفظة بعدد كبير من المناضلين الآخرين في زنازن درب مولاي الشريف وغيره من المعتقلات السرية".

وبينت في معرض تحليلها أن قضاء الحكم، كعادته، وبنفس الحقد والشراسة التي عبر عنها اتجاه الجماهير المنتفضة في يناير ٨٥ "سيطبق أوامر النظام في حق مناضلين مخلصين لقضية شعبنا ومطالبه ومدافعين دائما على حقوقه في أحلك الظروف والمناسبات وذلك بعد الجريمة الشنعاء التي ارتكبتها العصابات البوليسية بدرب مولاي الشريف بقتل الشهيد أمين التهالي، عضو القيادة الوطنية لمنظمة الى الامام، وتعذيبها لعشرات من المناضلين الثوريين والماركسيين اللينينيين.

وأشارت الى أن ذلك يدخل في مسلسل تطويع شعبنا ومناضليه الثوريين اعتقادا من النظام أنه بذلك "سيحطم ارادة وعزيمة أبناء شعبنا على النضال ضد الاستغلال والنهب والقمع ومن أجل فرض حقوق ومطالب شعبنا في الحرية والديمقراطية والعيش الكريم، وبأنه سيكسر ويثني عزم الطلائع الثورية المناضلة على الكفاح ضد نظام الاستعمار الجديد، خدام الامبريالية والصهيونية، من أجل السلطة الوطنية الديمقراطية الشعبية ومن أجل سلطة وحكم الشغيلة معبرة على يقينها ويقين مناضليها المعتقلين بأن ذلك المخطط "لن ينطلي على شعبنا وبأن القمع والاعتقالات والمحاكمات لن توقف أبدا مسيرته من أجل الحرية والديمقراطية والاشتراكية، ومؤمنين كل الايمان بقدرة شعبنا على هزم نظام القهر والاضطهاد ومواجهة كل الصعوبات والمشاكل بتوحيد طاقاته النضالية وتصليب قدراته التنظيمية وشحذ وعيه وعزيمته حتى النصر."

وفي الاخير، سطرت المنظمة

في بيانها هذا، احدى واجبات المناضلين الثوريين والتقدميين والديمقراطية المتمثلة في "فضح هذه المؤامرة الجديدة والتعبير عن تضامنها ومساندتها لهؤلاء المناضلين الشرفاء، مطالبين باطلاق سراحهم وسراح كل المختطفين والمعتقلين السياسيين والنقابيين والعسكريين وعودة المنفيين بدون قيد أو شرط، وبتعميق الحريات الديمقراطية وبتحسين الشروط المعاشية للجماهير الشعبية وفرض التراجع على مسلسل الزيادات في الاثمان."

وعاهدت المنظمة من جديد رفاقها ومناضليها بأنها لن تحيد على الطريق الذي سطره شعبنا بأرواح ودماء وتضحيات شهدائه، طريق الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية بأفق الاشتراكية.

حول نضالات الجماهير المغربية بسبتة ومليلية

في خضم النضالات الشعبية الوطنية التي كانت تخوضها الجماهير المغربية لمدينتي سبتة ومليلية في أوائل السنة الجارية ٨٦ ضد "مخطط ٣ لقانون المنظم للاجانب باسبانيا والذي يرمي الحكم الاستعماري الاسباني من ورائه تطبيقه عليها طردها من أرضها أجدادها ومحو شخصيتها وهويتها المغربية ومن ثمة تثبيت أقدامه الاستعمارية الاستيطانية بالمدينتين المغربيتين، أصدرت المنظمة بيانا سياسيا تحت عنوان "جماهير سبتة ومليلية المغربية بين همجية الاستعمار الاسباني وتواطؤ النظام الملكي اللاوطني".

وقد بينت المنظمة في بيانها هذا أن تلك النضالات المشروعة واجهها الحكم الاستعماري الاسباني بفاشية وهمجية لا تقابلها الا فاشية وهمجية الصهيونية بفلسطين المحتلة ونظام العنصرية بجنوب افريقيا ونظام الاستعمار الجديد بالمغرب في تشريد للشعب الصحراوي الشقيق بالصحراء الغربية".

وأبرزت أن الحكم الاستعماري الاسباني قد واتى مخططه وحملته الارهابية "مجلة اعلامية مكثفة لتدويخ الرأي العام الديمقراطي والتقدمي بدعم من كل الاحزاب الاسبانية الشوفينية والقوى الفاشية التي لم تتردد لحظة واحدة في ادكاء نعرة العنصرية ضد الجماهير المغربية ونضالاتها الشعبية المشروعة، دون اغفال تسخير بعض العملاء الذين نصّبوا أنفسهم أوصياء على هذه الجماهير لخلق التشتيت في صفوفها وضرب الوحدة النضالية الوطنية واحتوائها حتى يتسنى لها الحفاظ على مصالحها وتنميتها في ظل الاستيطان الاسباني".

وقد شددت المنظمة على أنه اذا كانت تلك النضالات قد صدعت السلطات الاستعمارية الاسبانية فهي "قد عرت في نفس الوقت تواطؤ النظام الملكي اللاوطني بالمغرب المتعامل مع الاستعمار الذي تجسد في المحاصرة الاعلامية المتعمدة وفي القمع الوحشي لنضالات الجماهير بشوارع بعض مناطق الشمال المغربي (الحسيمة).. لمساندة جماهير شعبنا ضد الاحتلال، فهي قد كشفت أيضا أمام شعبنا حقيقة الوطنية التي تتشدق بها بعض الاحزاب البرجوازية المغربية التي بقيت حبيسة لأساليبها المعتادة المتمثلة في تنبيه الحكومة لخطورة الاحداث وتوتر الاوضاع بمدينتي سبتة ومليلية من منطق غيرتها على ماتسميه بالجبهة الداخلية التي قد تصدعها هذه النضالات الشعبية الوطنية والتي قد تلهي هذه الاحزاب والنظام الملكي العميل عن قضيتهم المقدسة أي عن الحرب العدوانية ضد الشعب الصحراوي الشقيق."

وفي ختام البيان أكدت المنظمة على ادانتها الشديدة لـ"مخطط الحكم الاستعماري الاسباني المجسد في طرد الجماهير المغربية من المدينتين المحتلتين ومحو هويتها المغربية و... وتواطؤ الحكم الملكي اللاوطني عميل الاستعمار" وأعلنت "مساندتها اللامشروطة لنضالات الجماهير المغربية في المدينتين المحتلتين من أجل الحفاظ على هويتها وشخصيتها المغربية وافتتح فوق أرضها بكل حقوقها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية" واعتبرت أن احدى واجبات القوى الوطنية الحقيقية هي: "تعبئة جماهير شعبنا للمساندة الفعلية واللامشروطة للنضالات الشعبية التي تخوضها الجماهير المغربية بسبتة ومليلية للوقوف دون تدمير هويتها وانتزاع حقوقها بأفق تحريرها من نير الاستعمار الاسباني واحتلال موقعها كجزء من شعبنا المسحوق وانتزاع الحريات الديمقراطية على طريق القضاء على النظام الملكي اللاوطني عميل الامبريالية والاستعمار"

حول استقبال الحسن الثاني لرئيس وزراء الدولة الصهيونية

بهذه المناسبة الشؤومة أصدرت المنظمة بيان ادانة صارمة، استهلته بـ"في الوقت الذي لا زالت فيه جماهير شعبنا العربي تضمد الجراح العميقة التي خلفها الهجوم الغادر على ليبيا من طرف الامبريالية الامريكية بترحيب صهيوني، تأتي الزيارة الرسمية لشيمون بيريز، رئيس العصابات الصهيونية لبلادنا لتعري من جديد عن الطبيعة الخيانية والارتزاقية لنظام ربط مصالحه بمصالح أكبر أعداء الانسانية: الامبريالية والصهيونية".

وشددت المنظمة على ذلك باعتباره تحديا خطيرا لشعبنا ولكافة الشعوب العربية من طرف النظام الملكي وبينت أنه بمثابة تتويج مفضوح لمسلسل عريق في الخيانة للقضية الفلسطينية وفي العمالة للامبريالية الامريكية والصهيونية المتمثل في أداء خدمات وتبادل الزيارات واللقاءات السرية مع الصهاينة وتنظيم المؤتمر الصهيوني بالرباط سرورا بالتهي "التشيط لمخطط كامب دافيد ..وان استقبال بيريز من طرف الحسن على أرض بلادنا ليس الا حلقة لعزل الشعب الفلسطيني وقواه المناضلة لتصفية قضيته ومقاومته وحقه في تقرير مصيره.

وأنهت المنظمة بيانها برفع "صوتها عاليا بادانة وشجب هذه الخيانة الجديدة والخطيرة "لسادات المغرب" وتعتبرها طعنة غادرة للثوات النضال الوطني والقومي لشعبنا "مؤكدة أن "الشعب المغربي بعيد كل البعد عن هذه الجريمة الشنعاء المرتكبة في قضيتنا الوطنية الاولى فلسطين".

وتوجهت المنظمة بنداء حار الى "كل أبناء الشعب الاحرار لتحمل مسؤوليتهم التاريخية للوقوف دون تمرير مشاريع الذبح والعار على أرض وطننا". كما توجهت الى "كل القوى التقدمية الوطنية والثورية العربية للتصدي لكل المبادرات الاستسلامية التصفوية بفضح وعزل النظام الرجعي اللاوطني بالمغرب ومساندة كفاح شعبنا الفلسطيني البطل."

حول الذكرى الثانية لاستشهاد الرفيقين مولاي بوبكر و بلهواري مصطفى

احياء منها لهذه الذكرى أصدرت المنظمة بيانا تحت عنوان "سقط ثوريون فلتحيا الثورة" ساهمة منها الى جانب الشعب المغربي وعائلات الشهيدين للذكرى الثانية لاستشهاد هذين المناضلين اللذين بينت بأنهما "ناضلا بكل قواهم والى آخر نفسهم، الى جانب رفاقهم وكل الثوريين المخلصين من أجل تقديم سلسل الثورة في المغرب دفاعا عن قضية المضطهدين. لقد جسدا ذلك من موقعهم كطلبة وأيضا كمناضلين اندمجت همومهم بهموم شعبهم، فنّوا نضالاته واحتجاجاته ساهمين عضويا في تقدمها ومحاولة تأطيرها".

وأشارت المنظمة الى مغزى صمودهما وتضحياتهما بالسجن: "ان مثال الصمود والتضحية الكبيرة التي بها الشهيدان ورفاقهم الذين لا زالوا يخوضون معركة الدفاع عن حقوقهم كمعتقلين سياسيين، وهم معرضين للتعنيف والتعذيب لتثبت بأن همجية النظام الدموي وكل وسائل القمع والتعذيب والارهاب لا تصمد أمام صخرة العناد والعزيمة الثورية، وأن القمع لن يحد من مسيرة الشعب."

وبنفس هذه المناسبة قدرت المنظمة من جديد نضال الشهيدين حيث أكدت أن "نضالهما داخل الحركة الطلابية والى جانب نضالات الجماهير الشعبية، قدوة لكل المناضلين المخلصين داخل هذا القطاع من أجل مناهضة سياسة النظام الرجعية وحتى يتسنى لهذا القطاع أن يلعب دوره كرافد من روافد الحركة الجماهيرية في مواجهة الحكم اللاوطني، اللاديمقراطي واللاشعبي."

وتوجهت المنظمة الى كل المنظمات الانسانية، الديمقراطية والحقوقية من أجل "فك الحصار المضروب على رفاق الشهيدين الذين لا زالوا مستمرين في اضرابهم اللامحدود عن الطعام ومعرفة مصيرهم والضغط للاستجابة الى مطالبهم العادلة" مؤكدة من جديد على "مساندتها لنضالات المعتقلين السياسيين وعائلاتهم في كل سجون المغرب وتطالب باطلاق سراحهم وسراح كل المعتقلين العسكريين وعودة المنفيين بدون قيد ولا شرط الى أرض الوطن."

وفي ختام البيان عاهدت المنظمة من جديد كل المناضلين والشهداء والمعتقلين وعائلاتهم الصامدة "بالاستمرار في النضال من أجل اسقاط سلطة الخونة والسماسرة واقرار سلطة الشعب بناء الجمهورية الديمقراطية الشعبية بأفق الاشتراكية

فبعد أن أشارت المنظمة في بيانها لهذه المناسبة الى الظروف القاسية التي تحيي فيها هذه الذكرى، تلك الظروف التي تتمثل في الضربة التنظيمية الجديدة التي تعرضت لها من جراء حملة الاعتقالات التي أفقدتها العديد من الاطر والمناضلين، والتي استلزمت منها، وفقا للتقاليد الشيوعية، أن تقف وقفة جديدة لتقييم تلك النكسة بالجرأة والصرامة الثورية لتقديم خط النضال الثوري ببلادنا، بعد ذلك تمر المنظمة في بيانها الى تسجيل الاخطاء والانحرافات التي سقطت فيها خلال تجربة اعادة بنائها منذ ٧٩ مركزة بالخصوص على ما يلي :

"١- ان الخطأ السياسي الذي أقدمت عليه المنظمة بتوزيعها المنشور الموقع باسمها، شكل في رأينا السبب المباشر للاعتقالات والذي لم يكن سوى العامل الذي كشف عن العديد من الثغرات التي كانت تعاني منها المنظمة.

2 - ان الاقدام على توزيع المنشور كان من منطلق تقييم خاطئ ومغلوط لطبيعة قوانا الذاتية والظرف السياسي العام الذي تمر منه البلاد وكذا استخفافا خطيرا لقوى أعدائنا الطبقيين.

٣ - ان هذا الانسياق يجد تفسيره بدوره في الخصائص المتخلفة البرجوازية الصغيرة وقصر نفسها والتي تحكمت في انتشار الشعور بنشوة الانتصار لدى العديد من مناضليها بعد أن استطاعت المنظمة أن تفلت من موجات القمع المتتالية التي صاحبت انتفاضتي ٨١ و ٨٤ وعدم تضررها من جراء اعتقالات ٨٥ وكذا للدور المتواضع والهام في نفس الوقت الذي لعبته خلال الانتفاضتين وفي المساهمة في تنظيم عملية المقاطعة للانتخابات البرلمانية على المستوى الوطني.

٤- أما الانحراف الاساسي في نظرنا فهو ما زال يكمن في عدم تطبيق شعارنا المركزي المتمثل في التركيز على الطبقة العاملة والفلاحين والتركيز في المرحلة الراهنة على القلعات البروليتارية الاساسية. وذلك بالرغم من أن المنظمة حققت منجزات متقدمة في هذا الاتجاه ولكنها تظل في نظرنا دون مستوى متطلبات تحويل الطبيعة الطبقية للمنظمة.

٥- في ظل التركيبة الطبقية لمنظمتنا والتي لا زال يشكل فيها العنصر المثقف احدى المكونات الاساسية، كان من الطبيعي أن تطغى العديد من الممارسات والمسلكيات البرجوازية الصغيرة، كالاعتماد على أساليب فوقية في العمل وممارسة التحريض بأشكاله الخاطئة في العديد من المناسبات والاطارات الجماهيرية.

٦- تخلف أساليب عملنا السري وطغيان الاساليب الحرفية وعدم التقدم في ايجاد الحل السديد لاشكالية الربط بين العمل السري والعلني.

٧- عدم تحقيق التراكمات اللازمة على مستوى الاستفادة من تجربة منظمتنا وتجربة الحركة الماركسية اللينينية المغربية خاصة وحركات التحرر والحركات الشيوعية العالمية في ميدان مواجهتها لاعدائها الطبقيين.

٨- تخلف دعايتنا وأشكالها بالمقارنة مع حجم المهام الملقاة على عاتق الدعاية الثورية في بلادنا".

وقد تطرقت المنظمة في بيانها لذلك، دون تغفل ايراد بعض ايجابيات تجربتها والتي ركزتها كما يلي :

"١- ان الاستمرار الحي للمنظمة لرفع راية الماركسية اللينينية والشيوعية والنضال الثوري في بلادنا رغم الشروط السياسية الصعبة التي تميزت بالمد اليميني الخطير الذي عرفته الساحة السياسية المغربية من هجمة النظام وأحزابه الرجعية وتسخير الاحزاب الاصلاحية لخدمة سياسته التوسعية ودعايته الشوفينية، وما يبرز من ردة وتشكيك وسط الحركة الماركسية اللينينية والازمة التي تمر منها الحركة الشيوعية العالمية، يشكل في حد ذاته انتصارا لفكر الطبقة العاملة أمام محاصرة الرجعيين والمرتدين بكل ألوانهم.

٢- ان استمرار المنظمة كصوت لفضح سياسة النظام الرجعي وجرائمه وللدفاع الشجاع على المصالح الشعبية والوقوف الى جانب نضالات شعبنا وطلائعه والمساهمة في تقديمها رغم ما يتطلبه ذلك من تضحيات، لطعنة وهزيمة لسياسة الاجماع والدمقراطية الحسنية ومساهمة في تقديم واقع الصراع الطبقي وتأجيجه في بلادنا.

٣- المساهمة النسبية في تحقيق الاندماج وصهر الحركة العمالية بالفكر الماركسي اللينيني عبر التقدم النسبي في انجاز مهمتنا المركزية، التجذر وسط الطبقة العاملة والسهر على اصدار جريدة عمالية "الكادح" والعمل على توزيعها في صفوف الطلائع العمالية.

٤- المساهمة في تشجيع وتقديم مختلف أساليب العمل النضالي الثوري الى جانب باقي الثوريين المغاربة في مختلف القطاعات وفي الاحياء الشعبية عبر المشاركة العضوية في النضالات الاحتجاجية والمطلبية للجماهير ومحاولة توجيهها وتأطيرها وتقديمها وكذا في المبادرات الثورية الجماهيرية كالانتفاضات والمظاهرات والتحركات التضامنية مع قضيتنا الفلسطينية.

٥- المساهمة في تثبيت خط النضال الديمقراطي الجماهيري الكفاحي داخل الاطارات الدمقراطية

٦- فك الحصار على مستوى الاعلام الخارجي بالدعاية لكل حركات ◄

الاحتجاج الجماهيري والتعريف بنضالات وواقع القمع والاضطهاد الذي يعانيه شعبنا وتخفيف الخناق حول المعتقلين السياسيين وعائلاتهم لدى الرأي العام الديمقراطي والقوى التقدمية.

- ٧ - الاستمرار الشجاع في التثبت بمواقفنا المبدئية وعلى رأسها الدفاع عن حق تقرير مصير الشعب الصحراوي ومناهضة الحرب العدوانية رغم الحصار القمعي والشوفيني."

وفي معرض تقييمها هذا، أشارت المنظمة الى أن ذلك يتعلق ببعض الدروس الاولية التي توصلت اليها والتي طرحتها جماهيريا لاثارة نقاش في صفوف المناضلين الثوريين المغاربة بهدف بلورة رؤية جماعية واضحة للنضال الثوري ببلادنا، وبهذا الصدد أكدت قائلة أنه: "واذ نحاول في هذا البيان استخلاص بعض الدروس الاولية فاننا لا ندعي بتاتا كوننا قد حزمنا وأغلقنا التفكير بصددها ولكن فقط من أجل اثارة نقاش مفيد وجاد في صفوف المناضلين الثوريين المغاربة حتى يتسنى لنا جميعا بلورة رؤية واضحة تجعلنا قادرين على احداث النقلة النوعية في النضال الثوري ببلادنا لخدمة قضية شعبنا، مقدرين في هذه العطيمة المناضلين الذين ضحوا بكل ما لديهم مهما كانت الاخطاء وحجمها.

منظمة الى الامام تحيي الذكرى الاولى لاستشهاد الرفيق التهاني أمين والذكرى الثانية عشر لاستشهاد الرفيق عبد اللطيف زروال

عند تطرقها في البيان الذي أصدرته بهذه المناسبة الى التضحيات التي قدمها شعبنا، أشارت المنظمة الى تضحياتها عبر مناضليها في السجون وبين أيدي الجلادين وفي دهاليز النظام الملكي الاستبدادي، معتبرة أنه رغم التضحية ملازمة لاختيار خط الصمود والثورة، فان استشهاد مناضلين مخلصين من أطرها الاساسية يعتبر خسارة كبيرة لها وللنضال الثوري ببلادنا، مشددة على أن: "الرفيقين كانا قدوة للمناضلين المخلصين المستعدين للعمل والتضحية خدمة لقضية الشعب المغربي وعلى رأسه الطبقة العاملة من أجل البديل الشعبي الوطني الديمقراطي في الافق الاشتراكي.

شهيدان كانا من أخلص ما فرزته الحركة الثورية المغربية وسيرة النضال الشعبي، التحقا بشهداء الحرية في صراع الشعب ضد الحكم الكمبرادوري والذي خلف مئات الشهداء في انتفاضة الريف ٥٧، مارس ٦٥، وأولاد خليفة، وبني ملال ٧٣، ويونيو ٨١، ويناير ٨٤ وكذا شهداء آخرين كبنبركة ورحال وسعيدة والدريدي وبلهواري وكرينة وعمر والبريبي ودهكون وغيرهم كثيرون من أبناء شعبنا الرافضين لسياسة القهر والتبعية".

وبعد أن حيت المنظمة، في بيانها، هذين الشهيدين وكل شهداء الشعب المغربي مرة أخرى بهذه المناسبة، شددت على ما اعتبرته أكبر تكريم لهم، حيث كتبت تقول: "ان أكبر تكريم هو محاولة استنباط الدروس الضرورية لتقديم العمل والمسيرة بعيدا عن الانحرافات والارتدادات والمساومة الانتهازية. ان أكبر تكريم لشهدائنا هو العمل على تحقيق أهدافهم النبيلة في النضال ضد القهر والقمع من أجل الحرية والخلاص وبناء المجتمع الديمقراطي الذي لا تسود فيه علاقة استغلال الانسان لأخيه الانسان.

ان أكبر تكريم للشهداء هو التقدم بعزم والاندماج بحركة الشعب والحركة العمالية المغربية وتنظيم طلائعها المناضلة في أنوية قادرة على فرز أداة الاستقلال السياسي والتنظيمي للطبقة العاملة الاكثر ثورية في المجتمع".

وعند تلمس المنظمة في بيانها للوضعية الراهنة، مشددة بصفة مركزة على الازمة الاقتصادية الخانقة وتعمق تبعية النظام وعمالته للامبريالية والصهيونية وقيامه بكل الادوار التي تمليها عليه مقابل حصوله على مساعدات عسكرية ومالية ضاربا عرض الحائط بكل ما لذلك من منعكسات خطيرة على أوضاع الجماهير للاقتصادية والاجتماعية، هذه الجماهير التي يعرضها وقواها المناضلة لحصار قمعي لا حد له، مستفيدا من استمرار الاحزاب الاصلاحية في تحالفها معه حول قضية الصحراء، تحالفا أدى بها الى حد الاجتهاد في تشييت وتبرير شرعية الملكية من خلال ماسمي طبيعة النظام اللاوطني الخيانية، بعد ذلك اخلصت المنظمة الى أن:

" معالم هذا التردي الخطير تفرض توحيد كل الطاقات الثورية والمناضلة لتنظيم وتأطير الجماهير الشعبية وتعبأتها للدفاع عن مكتسباتها وحقوقها الاجتماعية والسياسية والوقوف في وجه المخططات التصفوية للامبريالية والصهيونية.

ان مهام النضال هذه وسط الجماهير الشعبية وعلى رأسها الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء، لتشكل طريق الاستمرار الوحيد على درب الشهيدين أمين التهاني وعبد اللطيف زروال وكل شهداء الشعب المغربي. والوفاء لأهدافهم المتمثلة في تقديم مسيرة الثورة وبناء أداتها: حزب البروليتاريا المغربية.

ان منظمة الى الامام، ستظل وفية للعهد الذي قطعته، عهد النضال والتضحية، عهد الاستمرار في الرفع عاليا الراية التي سقط من أجلها شهدائها، راية الماركسية اللينينية"

حول مسار الثورات الاشتراكية في العالم الثالث

تفكير انطلاقاً من مأساة يناير 1986 في جنوب اليمن

لقد عاش كل الثوريين العرب، وخاصة منهم الماركسيون ـ اللينينيون، مأساة يناير 1986 في عدن «كصدمة». فما هي هذه الثورة التي كانت تمثل «بالنسبة لنا منذ 17 سنة» المنار الوحيد الحقيقي للاشتراكية في العالم العربي «تتفجر في تمزق دموي كاد خلاله أن تقضي على نفسها وخرجت منه منهوكة بشكل خطير!

خلال تلك الايام العشرة الممزقة من يناير «تذكر العديد منا» والحسرة والقلق يمزق قلوبهم «النهاية المأساوية للحكم الثوري في غرينادا الذي مات بسبب تمزقه الداخلي الانتحاري قبل أن يدفن العدوان الامبريالي الامريكي جثته» كما قال ذلك فيديل كاسترو. وما كان من بد في التفكير أيضا في التمزقات الدموية للحكم الثوري في أفغنستان سنة 1979 حيث كادت سياسة التدمير الذاتي المنتهجة من طرف حفيظ الله أمين أن تؤدي الى نفس النهاية لولا التدخل السوفياتي في دجنبر 1979، ذلك التدخل الذي نعرف ثمنه الباهض على المستوى الدولي. وكيف يمكن أن لا نفكر أيضا في الجنون الدموي لنظام بول بوط في كمبوديا!

هل محكوم على الثورة أن تلتهم أبناءها كما وقع في محاكمات موسكو في الثلاثينات؟ وتبدو المسألة أكثر سوءا بالنسبة لثورات العالم الثالث حيث البروليتاريا أضعف بكثير مما كانت عليه في روسيا وحيث الحكم الثوري الناشئ أو الحديث العهد لا يستطيع بعد أن يستند الى هيئة حقيقية للطبقة العاملة في المجتمع الاشتراكي المراد بناؤه من أجل توطيد الطريق نحو الاشتراكية وتجاوز مثل ذلك الجنون التدميري. هل محكوم على الثورات تحت راية الاشتراكية في العالم الثالث إما بالتراجع التدريجي نحو رأسمالية الدولة وفي النهاية الاندماج في النظام الرأسمالي العالمي أو الوصول الى مثل تلك النهايات الدموية والانتحارية؟ هل محكوم مسبقا على الحزب الثوري الذي نعمل على بناءه أن يسقط في قبضة أشخاص مثل علي ناصر محمد «برنارد كوشنير «حفيظ الله أمين و بول بوط؟ وبدقة أكبر وبالنسبة للعالم العربي وكما كتب ذلك مثقف تقدمي مغربي «هل الثورة في جنوب اليمن ومعها "اليسار الجديد" لم تكن سوى حلم لا مستقبل له؟ تلك هي الاسئلة الجوهرية التي سنحاول الاجابة عليها في هذا المقال وسنتطرق لهذه القضايا في الترتيب المعاكس لطرحنا لها أعلاه.

وقائع الثورة في جنوب اليمن

لا يمكن تقييم الثورة في اليمن الجنوبي دون مقارنتها مع تشكل الدولة البرجوازية للرأسمالية التبعية في اليمن الشمالي «ذلك أنه» وأريد هنا التأكيد على ذلك «لا يجب مقارنة الثورات الشعبية والبرلتارية لهذا القرن السائرة نحو الاشتراكية بمثل أعلى مطلق بل يجب وضعها في إطار ديناميتها التاريخية من جهة «وبالمقارنة مع البدائل الملموسة الممكنة (وتلك مسألة أكثر وضوحا بالنسبة للعالم الثالث). وان التصرف بشكل مغاير هو تصرف لا مسؤول إزاء الشعب.

ان بناء الدولة البرجوازية في اليمن الشمالي والجمهورية الشعبية الديمقراطية لليمن الجنوبي تم تقريبا في نفس الوقت «انتهاء الحرب الاهلية في الشمال في 23 مارس 1970 «انتصار الحركة التصحيحية التي أدت الى نشوء الدولة الشعبية في الجنوب في 22 يونيو 1969. لذلك فان مقارنتها تكتسب مغزى كبيرا. لكن للقيام بذلك بموضوعية لابد من طرح المعطيات العامة التالية (1)،

	اليمن الجنوبي	اليمن الشمالي
السكان تقدير سنة 84	2 مليون	8.5 مليون
مجموع المساحة	222000 كم	195000 كم
النسبة المؤوية للاراضي القابلة للزراعة	1%	8%

في الوقت الذي كثرت فيه الاشاعات حاليا حول الاستعداد لتفويت ما لا يقل عن ٢٠ شركة عمومية مربحة الى الكبراء و رو الكبار.

نؤكد هنا المغزى الطوبوغرافي لارقام العمود الاخير ولنحاول توضيح ذلك للقارئ المغربي «من الناحية الفلاحية واذا لم نأخذ بعين الاعتبار أنهما يطلان على البحر الاحمر في الشمال و المحيط الهندي في الجنوب «فان اليمن الجنوبي يوجد «في أحسن الاحوال» بالنسبة لليمن الشمالي «تعريبا في وضعية ورزازات بالنسبة للأودية الشمالية للأطلس الكبير».

زيادة على ذلك «فقد فصلت الامبريالية البريطانية اليمن الجنوبي عن الشمال في بداية القرن الأخير بهدف واحد وهو توفير مجال صحراوي لموقعها الاستراتيجي في عدن على طريق الهند. وقد احتفظ باليمن الجنوبي في هذه الحالة حتى استقلاله في 30 نونبر 1967 «حيث

◄

ترك المستعمر البريطاني ،عند خروجه، اقتصادا مفككا بسبب انتفاخ مدينة عدن .هذه المدينة التي أصبحت معطلة بسبب اغلاق قناة السويس – في مواجهة اقطاعيات باقي البلاد ! لكن تحت إقامة "جمهورية الاعيان" في شمال اليمن – تحت وصاية الرجعية السعودية – حيث انضافت الى الأولغارشية القبلية التي استمرت في البوادي برجوازية تجارية اغتنت بفضل تجارة الاستراد والمضاربة. وعلى عكس ذلك ،حطم الحكم الثوري ،منذ نوفمبر 1969 ،الهيمنة الاقتصادية للأمبريالية و شركائها المحليين عبر تأميم الشركات الكبرى ،خاصة الأجنبية ،في جميع القطاعات الاساسية التي كانت تجعل من عدن منطقة أجنبية محصورة (ما عدا محمل تكرير النفط الذي أمم في فاتح ماي 1977) . وفي خريف 1970 نظم الحكم الثوري بواسطة التنظيم الثوري المنبثق عن جبهة التحرير الوطنية – الذي شكل النواة الرئيسية للحزب الاشتراكي اليمني – نظم الانتفاضات الفلاحية ضد كبار الملاكين الاقطاعيين – القبليين" ، هذه الانتفاضات الجماهيرية التي استمرت حتى 1971 وأدت الى التحطيم التام للبنيات الاقطاعية – القبلية.

إن نتائج ذلك على المستوى الاقتصادي واضحة. كريستيان تروبي C.TROUBE في مقاله المشار إليه في الهوامش يقدم ،في سنة 1984 ، نسبة 10٪ كمعدل للنمو السنوي للناتج الوطني الخام خلال العشر سنوات الأخيرة في اليمن الجنوبي بينما ظلت تلك النسبة تتراوح ما بين 1 و 1،5٪ في شمال اليمن . يجب الملاحظة هنا أن تلك النسبة كانت تميل نحو الانخفاض في هذا البلد الأخير بموازاة انخفاض أثمان النفط (والكل يعلم مدى مساعدة العربية السعودية لنظام اليمن الشمالي)

غير أن الفرق بين الشمال والجنوب في الميدان الاجتماعي أسطع بكثير (نسجل هنا أن الدولتين انطلقتا في الستينات من نفس المستوى المتدني جدا في ميدان التعليم والصحة) .

في ميدان التعليم :

أ) اليمن الجنوبي : كان عدد الأطفال المدرسين 250 000 في 1978 وكان الهدف على المدى القريب في بداية 1984 ،هو تمدرس 90٪ من أطفال 7 سنوات (أولاد وبنات) وتوفير المدرسة لـ 400 000 تلميذ ،وذلك باستعمال رجال التعليم من جنوب اليمن بشكل رئيسي (إن تطبيق نفس النسبة على المغرب ستعطي 5 مليون تلميذ !) .

وعلى كل حال ،فإن جامعة عدن التي أسست سنة 1970 وضمت 150 طالبا آنذاك (في علم التدريس) أصبحت تحتوي على 2 500 طالب وخمسة كليات سنة 1978 .

ب) في اليمن الشمالي : وكما لاحظ ذلك تروبي (الذي يحاول تحجيم الخلاصات التي يمكن استخراجها من هذه الفروقات) فإنه " ليس هناك أكثر من 20٪ من الاطفال المدرسين ونادرة هي المدارس التي توفر السلك الكامل المتكون من ست سنوات دراسية" . أما المعلمون فثلاثة أرباعهم مهاجرون أساسا من مصر.

في ميدان الصحة :

أ) اليمن الجنوبي : كان يتوفر سنة 1984 على 29 مستشفى و 18 مركزا صحيا و 42 مستشفى للولادة ، 300 مركزا للصحة القروية ترتكز في الجماعات القروية ،على "حراس الصحة" المتطوعين والذين اختارتهم هذه الجماعات وفرت لهم الدولة تكوينا أساسيا كتقنيين في ميدان الصحة (إنهم في أغلبيتهم معلمون) . أما الاهداف فهي التالية : تغطية صحية لـ 85٪ من مجموع السكان في نهاية العشرية الحالية ،تلقيح 85٪ من الاطفال الذين يقل سنهم على 5 سنوات ،وضع نظام للصحة المدرسية ، محاربة سوء التغذية والامراض ،تطوير سياسة للصحة في مرحلة ما قبل الولادة

ب) في اليمن الشمالي : على عكس ذلك ،وحسب نفس الكاتب : " باستثناء بعض المستشفيات في المدن الكبيرة ، فإن مراكز الصحة النادر ما تستخدمون قليلي العدد وأجانب في كثير من الاحيان (سودانيون ومصريون) " لذلك فإن التغطية الصحية للبلاد لم تتجاوز سنة 1984 : " 10٪ من السكان" !!!

إن هذه الارقام لا تحتاج الى تعليق .

ومع ذلك ،فإن اقتصاد اليمن الجنوبي مازال يعاني من مواطن ضعف عديدة و هامة ،والاساسي منها هو كما في الشمال لكن مع عوائق طبيعية أخطر بكثير – عجز الميزان التجاري و دين خارجي ثقيل . ومن أجل مواجهة هذه الصعوبات حاولت حكومة علي ناصر محمد في السنوات الاخيرة ،القيام بتقارب اقتصادي مع جيرانها في الشمال ،ومن ضمنهم العربية السعودية ،مما أدى الى الخلافات وسط الحزب الاشتراكي اليمني . إن آخر عرض نشر لعبد الفتاح اسماعيل ،في نوفمبر 1985 ،طرح بالضبط مبادئ توجه آخر (انظر بيروت المساء ،العدد 190 ، 24 مارس 1986) . لكن لنؤكد انكتساب : هل تستطيع "ثورة قصر" مهما كانت أن تحو تحولا عميقا للمجتمع كما حصل في اليمن الجنوبي ؟ إن الجواب على هذا التساؤل تقدمه متانة الهياكل الاشتراكية لهذا البلد وكون التوجه الاشتراكي لم يوضع محط التساؤل في أية لحظة خلال المواجهة الدامية في يناير 1986 و تمكن الحزب الاشتراكي اليمني والحكم الثوري من تشديد جراحهما والاستمرار في طريق بناء الاشتراكية وتوطيد العلاقات الاخوية مع القوى الثورية الماركسية – اللينينية العربية و البلدان الاشتراكية في العالم مؤكدين بذلك موقعها الهام في اطار حركة التحرر العربية.

"اليسار الجديد" العربي
ليس مأزقا
ولا هدفا في حد ذاته

ان "اليسار الجديد" العربي (ونعني القوى التي تنتسب للماركسية - اللينينية التي تشكلت في نهاية الستينات في عدد من الدول العربية على يسار الاحزاب الشيوعية العربية الارثدوكسية) كان يستجيب لضرورة ثورية ملموسة ألا و هي تجاوز العجز الذي كانت تعرفه آنذاك أغلبية الاحزاب الشيوعية العربية تحت هيمنة الايديولوجيات التحريفية، وخاصة حول الثورة الفلسطينية وتفصلها مع الصراع الطبقي في مختلف البلدان العربية.

هل يمكن القول أن هذا "اليسار الجديد" العربي قد فشل في مهمته؟ لا، أبدا. إن الثورة في اليمن الجنوبي نفسها لم تنجح ولم تستطع أن تتطور إلا لأن مناضلي جبهة التحرير الوطني اليمنية الجنوبية الذين كانوا مرتبطين بحركة القوميين العرب عرفوا نفس التطور نحو الماركسية اللينينية التي أغنتها الاسهامات الثورية لحركة القوميين العرب واستطاعت الافلات من التأثيرات التحريفية وكذلك لأن هؤلاء المناضلين طبقوا بشكل خلاق في الظروف الملموسة لجنوب اليمن المفهوم اللينيني للثورة المستمرة عبر مراحل. أما داخل الثورة الفلسطينية فهل لم تلعب القوى الثورية المنبثقة من نفس التيار التجديدي ومازالت دورا حاسما في الوقوف سدا في وجه الاتجاهات الاستسلامية للبرجوازية الفلسطينية؟ وهل لا تلعب حاليا الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين التي استطاعت، في نظري، ان تستوعب أحسن من غيرها "المبادئ" والمفاهيم الاساسية للماركسية - اللينينية والحركة العالمية العالمية، في الشروط الملموسة للثورة الفلسطينية والثورة العربية، دورا أساسيا في عملية إعادة بناء وحدة منظمة التحرير الفلسطينية على أسس ثورية و مكافحة وفي نفس الوقت في تجميع كل القوى الثورية الماركسية اللينينية الفلسطينية؟ وفي المشرق العربي حيث تشكلت منظمات ماركسية لينينية تنتمي الى نفس التيار بان مصيرها كان وما زال مرتبطا، في رأيي، بعاملين أساسيين:

أ) قدرتها الذاتية على التجذر في الجماهير الكادحة، وخاصة الطبقة العاملة وذلك عبر التجاوز الايديولوجي والتنظيمي لأصولها البرجوازية الصغرى هذه القدرة المرتبطة حاليا بقدرتها على بلورة خط سياسي ثوري يستجيب للضرورات الملموسة للثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية في التشكيلة الاجتماعية التي تمارس داخلها.

ب) العلاقة الجدلية بين هذا العمل وقدرة أو عجز الحزب الشيوعي لهذه التشكيلة الاجتماعية على التجديد الثوري.

ملاحظة: يجب أن أوضح هنا هذه النقطة الثانية. لقد ظن عدد منا أن تشكل هذا "اليسار الجديد" الماركسي اللينيني كان يستجيب ليس فقط لمواجهة التيار التحريفي في العالم العربي ولضرورة بلورة مستقلة لنظرية و ممارسة ثورية برلتارية تتلاءم والواقع الملموس لبلداننا ولكن أيضا لضرورة الابتعاد بل القطيعة مع الحركة الشيوعية العالمية التي كانت آنذاك تحت هيمنة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي الخاضع هو بنفسه للتحريفية. يظهر أنه يمكن و يجب أن نصحح اليوم هذا التصور الثاني (رغم أننا في الواقع لم نصل كمنظمة الى مثل هذه القطيعة). وكما سأبين ذلك في دراسة مقبلة حول المؤتمر 27 للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، فإن الاتجاهات التحريفية والتفنوقراطية التي كانت مهيمنة في قيادة الحزب في الستينات والسبعينات قد تجوزت، في جانبها الاساسي، بفضل حركة عميقة منبثقة من الشرائح الطليعية للطبقة العاملة السوفياتية المدعمة من طرف أحسن مثقفيها، وقد وجدت هذه الحركة تجسيدها في المؤتمر 27. و بموازاة ذلك، فإن عددا متزايدا من الاحزاب الشيوعية في العالم الثالث - و تحت تأثير الثورات الكوبية والفتنامية والنيكاراغوية وكذلك في المشرق بسبب تأثير الثورة اليمنية الجنوبية واليسار الجديد الفلسطيني - بدأت تسير في طريق التجديد الثوري في نفس الوقت الذي تدعم فيه علاقاتها مع الحركة الشيوعية العالمية التي تعيش هي نفسها مرحلة من التجديد. وأظن أن واجبنا كثوريين ماركسيين لينينيين معاربة وعرب هو المساهمة في هذا التجديد وليس الابتعاد عنه، وذلك في الشروط الملموسة لبلادنا، و بالحفاظ على الاستقلالية النفسية، السياسية والفكرية والتنظيمية التي أدينا لاكتسابها ثمنا غاليا.

و هكذا فإن الحزب الشيوعي اللبناني، و هو أول حزب شيوعي عربي ولج طريق التجديد، قد استطاع منذ مؤتمره في 1968، أن يتجاوز بعض معيقاته الرئيسية السابقة، خاصة حول القضية الفلسطينية و دور الكفاح المسلح في الثورة اللبنانية، في حين يظهر أن منظمة العمل الشيوعي في لبنان، رغم اسهامها الايديولوجي و ساهمتها العملية في الحركة الوطنية اللبنانية، لم تتمكن أن تتجاوز بشكل جدري تأثير أصولها الاجتماعية. أما في العراق، فإن الانشقاق المؤقت للحزب الشيوعي العراقي قد لعب ولا شك، بجانب التطورات الموضوعية للصراع الطبقي وكفاح التحرر الوطني الكردي بالخصوص دورا في التجديد العميق الذي عرفه هذا الحزب. هذا التجديد الذي يتجسد بالخصوص في كفاحه الملموس و مواقفه الواضحة حول ضرورة قيادة البروليتاريا للثورة الوطنية الديمقراطية و كذا مواقفه من الحقوق الوطنية للشعب الكردي (انظر استجواب محمد عزيز، الأمين العام للحزب الشيوعي العراقي في العدد 9 من مجلة النهج).

في المغرب العربي أو العربي - البربر؟

لقد حان وقت طرح هذا السؤال على أنفسنا. إن الوضعية العامة مختلفة جدا عن المشرق نظرا للتخلف الهام للقوى الثورية في هذه المنطقة.

ففي تونس: إذا فشل المتـ ◄

للماركسية ـ اللينينية الذي نشأ في النصف الثاني من الستينات فشلا تاما، فإن ذلك يرجع، في نظري، الى كون مشروعه التجديدي بالنسبة للتحريفية المحلية، وخلافا لمجموع "اليسار الجديد" العربي ومن ضمنه الحركة الماركسية ـ اللينينية المغربية، دون أن يرتبط بصعود الحركة الثورية العربية خلال تلك السنوات ظل مرسوما بأفكار الحركة الطلابية الفرنسية، لكن هل يستطيع الحزب الشيوعي التونسي أن يتحرر من ماضيه التحريفي الثقيل ؟

في الجزائر: إن القوى الثورية المنتسبة للبروليتاريا، إما داخل حزب الطليعة الاشتراكية ـ الذي لم يتحرر بعد بشكل كاف من أخطاء الماضي الخطيرة، أو خارجه، وهي قوى لم تستطع بعد التخلص من ايديولوجيات بسراوة مختلفة ـ ان هذه القوى ما زال ينتظرها طريق طويل وشاق لكي تتمكن من تنظيم الطاقات الثورية الهائلة والجيدة للبروليتاريا وبجانبها الفلاحين الجزائريين، وذلك في الشروط المعقدة لنظام برجوازية الدولة في هذا البلد الشقيق.

أما في المغرب: فمن المعلوم ـ ولن نقدم هنا حصيلة 16 سنة من نضالات الحركة الماركسية اللينينية المغربية ـ إن هذه الحركة، وإن كانت ما تزال تحمل بصمات أصولها الاجتماعية، فإنها مع ذلك، ورغم عواصف القمع وظمأن الشوفينية، تلعب دورا ضروريا ولا يستهان به في المخاض العسير للقوى الثورية المغربية وفي عملية بناء حزب شيوعي حقيقي للبروليتاريا المغربية (من شأنه بالخصوص أن يستوعب الاسهامات البروليتارية لكفاح الحزب الشيوعي المغربي لسنوات 1945 ـ 1956).

وما هو، يا ترى، المصير الذي كانت ستعرفه راية الماركسية ـ اللينينية في بلادنا لولا هذه الحركة؟ إن المسائل واضحة جدا لتستحق الجواب على هذا السؤال. ولا يمكن تفسيره من ضمن مسائل أخرى، طاقة التطور نحو الاشتراكية العلمية الكامنة عند اليسار الديمقراطي الثوري إذا لم نأخذ ذلك بعين الاعتبار.

إلا أن هذا المكسب نفسه يؤكد أكثر مسؤولية الحركة الماركسية ـ اللينينية المغربية أمام التاريخ في هذه المرحلة بالذات.

في هذا الظرف الذي تخضع فيه الساحة السياسية بأكملها للشوفينية والاصلاحية المتملقين (ومن ضمنهم على بينة الذي يعبر هو بنفسه على بنية حزب التقدم والاشتراكية الذي يخضع لهيمنة العناصر التكنوقراطية المنبثقة من الفئة العليا من البرجوازية الصغرى) وفي الوقت الذي يزداد فيه اضطهاد الطبقات الكادحة، فإن بروز بديل ثوري بروليتاري لن يصبح ممكنا إلا إذا تجاوزت آنية هذه الحركة التي نجت من القمع ومن أخطائها ـ و من ضمنها منظمتنا الى الامام ـ بشكل نهائي وبسرعة أصولها البرجوازية الصغرى لتعمل بصبر وتصميم وبعمق وسط الجماهير الكادحة، وفي المرتبة الاولى حاليا وسط الجماهير العمالية في الداخل والهجرة (إن العمل وسط الهجرة يرتبط بأهداف العمل الثوري و التنظيمي وسط الجماهير الفلاحية في مناطق المهاجرين الأصلية) ولتتفتح في نفس الوقت على رياح التفكير و النقاش والبحث الايديولوجي والنظري المتواصلين، وذلك على قاعدة جهود مستمر ومكثف لتعميق المادية التاريخية انطلاقا من معرفة معمقة أكثر فأكثر للواقع الملموس لبلادنا وللماضي المجيد لنضالات الجماهير الشعبية المغربية ضد اضطهاد المخزن والاستعمار ثم الاستعمار الجديد.

حول الثورات الاشتراكية في العالم الثالث

لنطرح أولا هذا المشكل بدم بارد و بروح المسؤولية: هل يمكن القول أن الثورات الاشتراكية في العالم الثالث، أو أغلبها، قد آلت وستؤدي الى ذلك الانحلال الدموي الذي أدانه فيدل كاسترو تحت اسم "البولبوطية" ؟ وإذا كان من الضروري تحليل الضلال الذي خيم على التجارب الاشتراكية، فلا بد قبل كل شيء من التذكير بالجوانب المشرقة.

1) الجوانب المشرقة

هل يمكننا أن ننسى كوبا وتشاو و الكفاح البطولي لشيكارفوا اليوم ؟ في البلدين الأولين، وقد توفرت فيهما الثورة على وقت طويل نسبيا، فإن الثورتين تمكنتا من مباشرة عملية بناء الاشتراكية و ازدهار البلاد والشعب تحت راية الماركسية ـ اللينينية وفي نفس الوقت وبموازاة ذلك من تطوير حزب شيوعي يقود الامة كلها ويلتزم بوحدة عميقة و مستمرة وعلاقات داخلية رفاقية. ولا يجب عنا الظن أن "الوحدة" تعني الشمولية "Monolithisme" كما كان ذلك سائدا داخل الحركة الشيوعية العالمية في الثلاثينات على مستوى الفكر، وفي كثير من الأحيان، في الممارسة، ويا للأسف!!

وهكذا فإن الكل يعلم والحزب الشيوعي الفتنامي لا يخفي ذلك أن الشخصيات القوية التي تكون المكتب السياسي للحزب من لي دوان وفام فان دونغ إلى تروونغ تشينه وفونكويين جياب و لي دوك طو (ونكتفي هنا بالشخصيات الأكثر شهرة)، إن هذه الشخصيات لا يمكن اختزالها في شخص واحد. لقد عرف الحزب الشيوعي الفتنامي وبفضل تربية هوشي منه، كيف يصهر روح الاحترام المتبادل والديمقراطية الداخلية الضروريين لسير القيادة الجماعية، مفتاح بلورة الخط السديد و تطويره، وذلك بالمقاربات والتصحيحات المتتالية

Approximations et rectifications successives

لكن دائما في اطار الوحدة والعلاقات الرفاقية لهذه القيادة الجماعية ولمجموع الحزب المرتكز على قاعدة المركزية الديمقراطية والمتجذر في الطبقة العاملة ومجموع الجماهير الشعبية.

لقد خيم في نهاية السبعينات، ظلال على الثورة الفتنامية الجيدة، الشيء الذي

استغلته الدعاية الامبريالية بشكل واسع، ويتعلق الامر هنا بالطرد الجماعي لهوا "HOA" أي الفشاميين ذوي الأصل الصيني. حقا لقد كان ذلك يمس أقلية قومية ظلت، بالخصوص في الجنوب في المراكز التجارية المشهورة يشولون قرب مدينة هوشي منه (سايغون سابقا)، منغلقة على نفسها وخاضعة - بفضل بنيات عشائرية - للبرجوازية التجارية الكبيرة الصينية الأصل التي تنشر شبكاتها في مجموع جنوب شرق آسيا. و بالتأكيد أيضا أن العدوان الصيني ضد الحدود الشمالية لفيتنام كان من شأنه أن يجعل القادة الفشاميين يتخوفون من استغلال الصين لهذه الاقلية القومية لمصلحتها. لكن لا مفر منا من الاقرار - و ذلك مسألة تنطبق أكثر على السياسة الخارجية للصين الشعبية - أن الثورة الفشامية لم تستطع، في هذا الموضوع، تجاوز النظرة الوطنية البرجوازية الفشامية التي ورثتها عن البرجوازية ضيقا والتي كان مطروحا انتقاد أسسها بشكل أعمق، بهدف دمج ضرورة تحرر الجماهير المضطهدة من الاقلية القومية ذات الاصل الصيني عبر صراعها الطبقي، دمج ذلك في برنامجها وممارستها السياسية.

ومع ذلك، فإن هذه الضلال، مهما كانت أهميتها، لا تستطيع أن تحجب الملحمة العظيمة للثورة الفشامية والموقع الذي ما زالت تمثله بالنسبة للشعوب المضطهدة في العالم الثالث. لكن يجب أن نتعلم من ذلك الاحتراس أكثر ما أمكن من مخلفات الفكر الوطني البرجوازي و أن نعمل على دمج الاشكالية الاثنوية Ethnicité بالصراع الطبقي والتحرري، و ذلك بشكل فعلي وفي وقت مبكر.

أما الثورة الكوبية، فقد استطاعت، عبر طرق جديدة، بناء حزب شيوعي متجذر بشكل عميق في الطبقة العاملة و مجموع الشعب الذي يقود سيره نحو الاشتراكية. و يكتسب هذا المثال مغزى خاصا لأن الحزب بني في السنوات الاولى التي تلت انتصار الثورة الكوبية في 1959، عبر اندماج ثلاثة منظمات ثورية مختلفة: حركة 26 يوليوز التي أسسها فيديل كاسترو وكانت رائدة في الكفاح التحرري المسلح للشعب الكوبي، الحزب الاشتراكي الشعبي - أو الحزب الشيوعي من النمط الكلاسيكي - الذي تشكل منذ 1925 وكان متجذرا بشكل قوي في الطبقة العاملة، والقيادة الثورية لـ 13 مارس المتكونة من الطلبة الثوريين. وخلال عملية البناء هاته استطاع القادة الثوريون الكوبيون، وعلى رأسهم فيديل كاسترو، و كذا كل الشعب الكوبي، تجاوز حلقية و دعائية الماضي، و يشكل التصحيح الذي واجه في مارس 1962 التوجه الحلقي الذي حاول - المسؤول على الهيكلة التنظيمية لهذا الحزب الجديد أنيبال اسكلانتي - الذي عزل من هذه المهمة - Annibal Escalante Anne - أن يطبع به عملية البناء هاته مثلا بارزا على ذلك. وقد قام فيديل كاسترو، في برنامج متلفز في 26 مارس 1962 و بحضور مجموع القيادة الوطنية بتحليل معمق لهذا الانحراف الحلقي وأعلن:

"إن الثورة جدع كبير له جذور. إن جذوره انطلقت من مختلف النقط لتتحد في جدع. إن للجذور أهميتها، لكن ما ينمو هو جدع شجرة، شجرة فارقة جذورها أثبت وتحت في الجدع. إن الجدع هو كل ما قمنا به جميعا منذ أن توحدنا. و سيأتي يوم، أيها الرفاق، و أطلب منكم أن تفكروا في ذلك بإمعان لأن تلك مسألة أساسية، يصح فيه ما قمنا به من قبل، كل واحد لحسابه الخاص، أقل أهمية مما فعلناه معا. لنستوعب هذه الفكرة جيدا. بعد عشرة أو عشرين عاما، سنتوفر على تاريخ مشترك، و هو ما سنكون قد أنجزناه، ولن يتكلم أحد منا عما قام به لحسابه إما في الحزب الاشتراكي الشعبي أو حركة 26 يوليوز أو القيادة الثورية لـ 13 مارس. ستصبح كالجذور التي تأتي من الماضي، من بعيد. إن المهم هو ما ننجزه الآن، كجدع يوحدنا جميعا." (2)

انظروا الآن، و بعد مرور 24 سنة على هذا التحليل، الى انجازات الثورة الكوبية و سيرها الحثيث نحو الاشتراكية!!

2) الضلال:

إن السفر عبر ظلال الثورة من أصعب المسائل بالنسبة للعامل الثوري. لا يمكن للمرء أن يلتزم بالنضال الثوري و يضحي في سبيله بكل شيء إلا إذا كان هدفه تحطيم نظام الاضطهاد والاستغلال والظلم، نظام الوحل والدم، النظام الرأسمالي و ملاحقه المتعفنة الامبريالية - الكمبرادورية في العالم الثالث، يتدرج نحو بناء مجتمع انساني عادل، متحرر من كل اضطهاد واستغلال و متخلص الى الأبد من الجرائم والجنون لمثل هاته الحكومات، مجتمع يخطو نحو الاشتراكية حيث كما كتب ذلك "لينين" "ستستطيع كل طباخة تسيير الدولة" و كمرحلة نحو اندثار أية دولة في المجتمع الشيوعي.

لكن هاهم قادة أحزاب ثورية تنتسب الى مثل هذه المثل العليا يحلون خلافاتهم باللجوء الى الجريمة وإراقة الدماء!! إنها هم، كما وقع في كمبوديا خلال أربع سنوات مروعة (1975-1979) وأفغانستان خلال ما يقرب من سنة (1979) يزعمون أنهم يريدون بناء مثل هذا المجتمع بممارسة العنف ضد الشعب والاغتيال لكل ثوري يحاول الاعتراض على مثل هذا الجنون.

كيف يمكن لأحزاب ثورية أن تفرز مثل هذه الوحوش؟ كيف يمكن أن تبرز تلك الذئاب من صفوف الثوريين كما قال ذلك فيديل كاسترو في خطابه بعد أحداث كُرينادا؟ كيف يمكن وهذا هو الأدهى، أن يتحول ثوريون الى ذئاب؟

لفهم ذلك أحسن، علينا أن نتفحص الثورة الأفغانية (1978-1979) و صعود بول بوط وجماعته الى قيادة الحزب الشيوعي الكمبودي. لكن أريد منذ الآن التأكيد على ما يلي: إن أي ثوري أي حزب ثوري ليس في مأمن من خطر بروز مثل هذا التعصب الأعمى والدموي وخاصة في بلدان العالم الثالث (أي أغلبية دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية) المتميز بضعف التقاليد و ◄

الثقافة العمالية داخل الحركة الثورية التي يطغى عليها ، بالعكس، الحقد المتراكم عند الشعب خلال قرون بل الاف السنين من الاضطهاد ، حقد مبرر تماما ، لكنه يؤدي الى التعصب ، إذا ما أطلق له العنان .

ليس هدفنا من طرح ما سبق هو تحريف الثوريين عن الثورة ، إن التخلي عنها يعني تأييد الجرائم التي لا تحصى والملازمة لبنية الرأسمالية .

إن انحراف الثورة ليست مسألة لا مفر منها ، بل يمكن الاحتراس منها . كما أنه من الضروري الاحتراس من ذلك خلال صيرورة بناء الحزب الثوري نفسها . لذلك يتوجب دراسة الحالات الأكثر مرئية ، يتوجب مجابهتها واستخلاص الدروس بالنسبة لتجربة كل واحدة منها وبالنسبة لكل منظمة ثورية .

أ) دروس تجربة أفغانستان في 1978 – 1979 : (3)

إن مشكلة أفغانستان ليست ، في المقام الأول ، وكما تحاول تقديم ذلك الدعاية الامبريالية ودعاية الرجعية العربية مشكلة التدخل العسكري السوفياتي في هذا البلد . ورغم الجوانب السلبية لهذا التدخل ، فإنه ليس سوى نتيجة الدوامة التي انساق اليها الاتحاد السوفياتي في السبعينات – سبب الضعف السياسي للقيادة البريجنيفية – هذه الدوامة التي يتحمل الثوريون الافغان مسؤوليتها الأولى . لأن هؤلاء أو على الأقل قادتهم فتحوا ، في 78–79 الطريق ، مفاهيمهم الخاطئة للثورة و تمزقاتهم الانتحارية ، امام مؤامرات الامبريالية والاقطاع الافغاني ، تلك المؤامرات التي حتمت التدخل السوفياتي . لكن ما هي ، يا ترى ، هذه الثورة الافغانية ؟

لقد شكل مجموعة من المثقفين و أشهرهم – والأكبر سنا من بعض القيادة ، نور محمد طراقي – نشطوا الحزب الديمقراطي للشعب الافغاني في كابور في يناير 1965 ، في بلاد تخضع بشكل شبه تام لهياكل إقطاعية تحافظ على 90٪ من سكانه (17 مليون) في وضعية قروسطية . وخلال الثلاثة عشر سنة من نشاطه والى حدود الثورة من القمة في 27 أبريل 1978 ، عرف هذا الحزب العديد من الخلافات الداخلية أدت ، وتحت غطاء وحدة شكلية ، الى انقسامه الى قطبين عرفا باسم جريدتيهما : خلق (الشعب) و بارشام (الراية) . وكانت قاعدته الاجتماعية المشكلة من الطلبة و المثقفين قد توسعت بشكل هام وسط ضباط الجيش وخاصة سلاح الجو ، و بشكل أقل وسط الطبقة العاملة الافغانية الضعيفة جدا (150 000 عامل في المجموع ، نصفهم في البناء ، في منتصف السبعينات ، من أصل 17 مليون من السكان !) . لكن هذا الحزب لم يكن قد قام بأي نشاط تنظيمي عميق في البوادي حيث ظل نشاطه مركزا بشكل أساسي على كابول ، العاصمة . إن ثورة 27 أبريل كانت في الحقيقة انقلابا عسكريا مدعما بمظاهرات جماهيرية في كابول كرد فعل على محاولة الأمير داوود ، رئيس الحكومة آنذاك – المدعوم من طرف الشاه و شرطته الشهورة الساڤاك – محاولته تدمير الحزب الديمقراطي للشعب الأفغاني بالقوة رغم أن هذا الأخير كان قد ساهم في صعوده الى السلطة و في حكومته . إن البرنامج الذي كان الحزب الديمقراطي للشعب الأفغاني الذي أصبح يتحكم في جهاز الدولة – يهدف الى تحقيق برنامج ثوري فعلا للتغيير الديمقراطي للمجتمع الافغاني على طريق الاشتراكية ولانتزاع الملكية من الطبقات السائدة والاقطاع أساسا . لكنها كانت "ثورة من فوق" . لذلك كان من السهل على الاقطاعيين أن يثيروا الجماهير الفلاحية التي كانوا يهيمنون عليها حتى على المستوى الايديولوجي ضد هذا الحكم الجديد . وظن هذا الاخير الذي كان يطبق بشكل كاريكاتوري سياسة الاتحاد السوفياتي في 1929–1932 التي فرضت بالقوة تحويل الأراضي الى ملك جماعي ، ظن أنه يمكن مجابهة هذه المعارضة بقوة جهاز الدولة وحدها . لكن ، حلفا للدولة والحزب الشيوعي السوفياتيين اللذين كانا يرتكزان ، للقيام بهذه المهمة ، على برلتاريا كثيرة العدد نسبيا وذو مستوى عال من الوعي و التنظيم وكذا ، وذلك خاصة وسط الفلاحين الفقراء ، على مكتسبات الثورة الديمقراطية الفلاحية العميقة والحقيقية لسنوات 1917 و 1918 ، وذلك تحت قيادة سلطة السوفييتات والحزب البلشفي فإن الحكم الثوري الأفغاني كان عليه أن يبدأ عمله في البوادي الأفغانية من الصفر دون أن يتوفر على تنظيم سياسي ، متجذر في الجماهير الفلاحية أو على الاقل وسط جزء هام منها ومع العلم أن الطبقة العاملة مازالت جنينية ! (4) إنها مهمة مستحيلة طبعا . وأمام هذا المأزق ، فإن القادة المتعصبين أكثر ، أولئك الذين قاموا بالعمل السياسي وسط الضباط وقرروا الانقلاب المضاد في 27 أبريل 1978 ، انهمكوا أكثر في الاستعمال الاعمى للقوة ، وذلك حتى ضد رفاقهم أنفسهم . لقد تم نفي قادة جناح "برشام" ، وعلى رأسهم بابراك كارمل من قبل ، الى في الشهور الأولى من الحكم الثوري . لكن تلك كانت مرحلة سلمية استجابت لهدف تصفية حسابات الماضي ، وتلك مسألة لا علاقة لها بالشيوعية . لكن وبعد ستة أشهر ارغم قادة اخرون على القيام بـ "اعترافات" رسمية من نوع محاكمات موسكو لسنوات 1936–1938 .

وكنتيجة منطقية لذلك ، تم اغتيال محمد طراقي من طرف حفيظ الله أمين و افتتحت بذلك فترة من القمع المعمم الدموي والانتحاري أدت الى أحداث دجنبر 1979 والنتائج المعروفة على المستوى الدولي . من المثير ، انطلاقا من هذه المعطيات وإذا كان السر يتوفر على تجربة ما – تجربة مرة في بعض الاحيان – للبناء الثوري ، فهم كيف برز "الذئب" حفيظ الله أمين ، فكيف يمكن لهذا الاخير ، الذي تدرب على أساليب التآمر وتقنية الانقلاب والذي لم يكن يتوفر سوى على تجربة محدودة جدا للعمل السياسي وسط الجماهير الكادحة كيف يمكنه أن يؤمن بضرورات النقاش الديمقراطي داخل الحزب الثوري وفي علاقة هذا الأخير مع الجماهير من أجل بلورة خط سياسي سديد عبر قنوات المركزية الديمقراطية ؟ لكن حفيظ الله أمين لم يكن هو الآخر سوى ثمرة المفاهيم

الحاطة، المتناقضة كليا مع جوهر الماركسية هذه المفاهيم التي جعلت مثقفين برجوازيين صغارا يرون في الماركسية اللينينية سوى تقنية للتنظيم و للسلطة سيمكنهم، كمثقفين، أن يأتوا للجماهير بالحقيقة الجاهزة. وحين يكون المرء يؤمن بمثل هذه الحقيقة الجاهزة، المنبثقة من دماغه تصبح الباب مفتوحة أمام التعصب والحلقية واحتقار رفيق الكفاح الذي يحاول البحث عن الحقيقة الثورية بصرامة أكبر وبتواضع واهتمام بالواقع الملموس (5). ومن ثم الى أن يلجأ المرء إلى تصفية رفيق النضال ذاك باستعمال القوة عندما تتوفر السلطة، أو حتى السلاح من قبل، وذلك باقتناع تام بأنه يعمل "من أجل عزة الثورة و مجدها" ولا توجد سوى خطوة يسهل جدا قطعها. ويجب الاشارة هنا أنه، إذا كنت مسؤولية الأخطاء الاجرامية للقادة الأمميين في 1979 ترجع الى العوامل الداخلية لهذه الثورة، فلا يمكن مع ذلك تجاهل أن مفاهيم الحزب الديمقراطي للشعب الأفغاني حول "الثورة من فوق تجد لها سندا في المفاهيم المبلورة في الاتحاد السوفياتي خلال الستينات والسبعينات حول مسار الثورة في العالم الثالث (6) وذلك تحت تأثير الاتجاهات التقنوقراطية التي انتصرت خلال هذه المرحلة في قيادة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، هذه الاتجاهات التي انتقدها المؤتمر 27 لهذا الحزب بشكل معمق على المستوى الداخلي (7) (انظر التقرير المشار إليه لميخائيل كورباتشيف).

ب) دروس تجربة كمبوديا :

إن مسألة كمبوديا تحت نظام بول بوط أخطر من مسألة أفغانستان في 1979، أخطر لأنها دامت أكثر من أربع سنوات قتل خلالها مئات الآلاف من الاشخاص، وذلك من أجل انجاز الحلم الاخرق المتمثل في التحقيق الفوري، وبأي ثمن كان المجتمع "الشيوعي" يمثل في الحقيقة يوطوبيا فوضوية في أردأ ما للكلمة من معنى، أخطر أيضا لأن الحزب الذي وضع هذا الجنون الدموي موضع التطبيق كان قد شكل، خلال 15 سنة من حرب التحرير الشعبية التي قادته الى السلطة في 1975، قاعدة فعلية في البوادي والفلاحين الكمبوديين. كيف وقع ذلك؟ إن التحليل المعمق الذي أعطاه باحث تقدمي من جامعة استرالية عاش سنوات عديدة في كمبوديا يساعد على فهم ذلك (8).

إن الحزب الشيوعي الكمبودي أسس في 1951 المناضلون الشيوعيون الذين كانوا قد تكونوا في الحزب الشيوعي للهند الصينية بجانب رفاقهم الفتناميين وقد التحق بهذا الحزب، ما بين 1953 و 1959 وبعد رجوعهم من الدراسة في فرنسا، عدد من الشباب المثقفين الوطنيين الجذريين الذين شكلوا في ما بعد ما أصبح يعرف بمجموعة بول بوط. وقد استطاعت هذه المجموعة أن تحتل بسرعة مواقع هامة في هذا الحزب الجديد لتصل الى القيادة في المؤتمر الثالث للحزب في فبراير 1963 حيث أصبح بول بوط أمينه العام. ومنذ 1963 انهمكت الاطر الشيوعية الكمبودية تحت قيادة بول بوط و مجموعته في تنظيم الكفاح المسلح في غابات كمبوديا. وقد كان بول بوط قد تحالف، خلال سنوات صعوده الى قيادة الحزب الشيوعي الكمبودي، و أيضا من أجل هذا الهدف، مع قادة مجموعات فلاحية مسلحة كانت تمثل استمرارا للعصيانات الفلاحية لسنوات 46–1954 الموجهة ضد الاحتلال الفرنسي والملكية، "ايساراك" Isaraks هذه العصيانات التي كانت تتوفر على كل السمات المعروفة للعصيانات الفلاحية المدمرة Jaquerie. وتطبعها شوفينية عنيفة ضد الفتناميين و هو إرث الماضي الما قبل استعماري (9) غذاه وأقامه الاستعمار الفرنسي. وعند تشكيل تلك التحالفات التي أصبحت اندماجا من بعد، دون القيام بإعادة تربية هاته المجموعات على الصعيد الايديولوجي والثقافي كما فعل ذلك ماوتسي تونغ و الحزب الشيوعي الصيني عند تكوين جيش التحرير الشعبي وفي بدايات حرب التحرير الشعبية في الصين في 1927 – 1928، تبنى بول بوط و أصدقاؤه إيديولوجية وأهداف وأساليب قادة هذه المجموعات الفلاحية المسلحة وقد وقع ذلك في ظل ظروف العنف و التدمير الذي كانت تعيشه البادية الكمبودية بدون انقطاع منذ سنوات طويلة بل عشرات السنين.

وكما كتب ذلك فيكوري: "بالنسبة لـ 80 الى 90٪ من الشعب الكمبودي الذين يمثلون سكان البوادي أصبح التعسف القتل الفجائي والاضطهاد السياسي واستغلال الذين ورد الغمز عنه بشكله العنيف أو غيره، أصبحت مسائل جاري بها العمل، وذلك قبل الحرب والثورة في السبعينات. إن البولبوطية كانت موجودة هناك في شكلها الجنيني" (المصدر السابق ص 17). و قد بدأ بول بوط و مجموعته في قيادة الحزب الشيوعي الكمبودي، في تلك السنوات، وكلما أتيحت لهم الفرصة ذلك بدأوا في التصفية الجسدية لأطر الحزب الشيوعي الكمبودي الذين ظلوا متشبثين بالخط الأصلي لهذا الحزب. وأصبحت هذه التصفيات منهجة بعد الاستيلاء على السلطة من طرف بول بوط وجماعته في سنوات 1975–1978. هذه، بشكل ملخص جدا، هي الأصول الاجتماعية والتاريخية "للبولبوطية" تبين أن نظام بول بوط 1975–1979 لم تكن له أية علاقة بالمفهوم الماركسي للثورة. لقد كان في الحقيقة عصيانا فلاحيا مدمرا Jaquerie تقوده مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار ومن قادة الحزب الذين أفقدهم كبرياؤهم و حبهم للسلطة صوابهم وحاولوا تجسيد هذه السلطة في شكل يوطوبيا فوضوية متعصبة وعمياء (10). وإذا كنا هنا نجد بعض الشبه مع نهج حفيظ الله أمين – أي منهج المثقف المقتنع أنه يمتلك الحقيقة الثورية والمتشبع بعظمة السلطة – وقبل ذلك بالوصول إلى قيادة الثورة – وبالتلهف على تغيير العالم حسب رغباته، فإننا نجد هنا مثلا مختلفا لتجسيد ذلك الكبرياء الذي يؤدي طبعا الى نفس التعصب الدموي، لكن هذه المرة مضاعف عشر مرات بسبب تعبئة الجماهير المضطهدة الغير بروليتارية تحت راية نظرة للتاريخ طوباوية، متعصبة ◄

و ثوفنية. لقد ظنت جماعة بول بسوط أنها "ستحرر" الجماهير الفلاحية الكمبودية بإثارة كل الحقد المدمر المتراكم داخلها بسبب قرون من القهر، لكن دون القيام بمجهود لتربية هذه الجماهير تربية اشتراكية وأممية بروليتارية وهي الشكل الأعلى للأنسنة ولاحترام حياة وكرامة الانسان - وذلك حتى بالنسبة للعدو - إن ذلك يفرض في بعض الحالات، وكما هو واجب الثوريين الشيوعيين، السير ضد تيار التعصب الذي يتميه وسط الجماهير ذلك الحقد المبرر لكن الذي يجب تحويله الى طاقة ثورية واعية. لقد ظنت تلك الجماعة أنها "ستحرر" الجماهير الفلاحية بفضل بول بوطوبيا متخلفة تتمثل في "شيوعية" بدائية ترتكز على لغط، بل تدمير إسهام الحضارة المدينية لها، دون تربية الجماهير على مشروع لمجتمع يربط إزدهارها باستيطان لبوادي لاسهامات العلم والتقنية الصناعية، وذلك في اطار توازن صحيح بين البادية والمدينة عبر تحالف العمال والفلاحين الذي سيؤدي الى تداخلهم التدريجي والمنسجم، في إطار السير نحو الاشتراكية وفي علاقة صادقة وأخوة مع كل شعوب العالم وعلى رأسهم شعوب المجموعة الاشتراكية.

إن "خط الجماهير" لماوتسي تونغ الذي كان هؤلاء الماركسيين المزعومين يتشدقون به لم يكن أبدا خطا ذيليا للجماهير، لكنه كان خطا يهدف رفعها تدريجيا، وذلك تحت قيادة البروليتاريا وحزبها الماركسي - اللينيني، وأخذا بعين الاعتبار المستوى الذي يمكن الوصول إليه في كل مرحلة لكن دون إخفاء الأهداف الاستراتيجية أبدا بالنضال دائما ضد الاتجاهات والمناهج السلبية، الضيقة الماضوية وخاصة ضد كل أشكال التعصب الذي غرسته قرون من الاضطهاد في نفوس الجماهير.

3) إيجابيات وسلبيات التجربة الصينية

إذا كانت كل مسألة من المسائل التي تطرقنا لها هنا تستحق دراسة طويلة بل مجلدا، فإن الثورة الصينية وتجربة بناء الاشتراكية في الصين منذ ما يقرب من 40 عاما تستحقان لوحدهما عدة مجلدات. وإضافة لذلك، من الصعب - يصعب علي، على كل حال، في الوضع الحالي للمعطيات التي أتوفر عليها - اليوم تسطير حصيلة دقيقة لهذه التجربة وتقييم ديناميتها التي مازالت جد مفتوحة لكن أريد إثارة الانتباه للنقط التالية:

أ) إن حركتنا الماركسية اللينينية و بالخصوص منظمتنا إلى الأمام قد تأثرت بالثورة الثقافية الصينية، وإذا لم تكن أبدا ما يسميه الفرنسيون بـ "الماويين" بمعنى التبعية العمياء لكل ما كان يفعل في الصين وللمواقف النظرية والسياسية للحزب الشيوعي الصيني، فإننا لم نقم مع ذلك بتقييم نقدي ... بالمعنى الماركسي للكلمة أي بتبصر وموضوعية - لهذه الثورة، تقييم يحدد إسهاماتها العظيمة لمفهوم وممارسة بناء الاشتراكية، خاصة في دول العالم الثالث، وكذا أخطائها

ب) وكان المقابل لهذه النظرة اللانقدية للثورة الثقافية الصينية هو أن ظهرت لنا إعادة النظر فيها من طرف القيادة الجديدة للحزب الشيوعي الصيني، بعد وفاة ماوتسي تونغ، كخيانة تحريفية. وفي هذا الاطار لا يمكن التقليل من الأثر الذي كان لمؤلفات بتلهايم على جيل كامل من ماركسيي حركتنا، وخاصة كتابه الأخير حول الصين ("تساؤلات حول الصين بعد وفاة ماو تسي تونغ") والمجلدين الأول والثاني من "الصراع الطبقي في الاتحاد السوفياتي". (أما المجلد الثالث المكون من جزئين، فإنه يناهض الشيوعية بفضاضة كبيرة تجعله عديم التأثير على المناضل الجدي). ويظهر لي أنه حان الوقت للتطرق لهذه المسائل بدم بارد وموضوعية (وأقوم هنا بنقد ذاتي).

هل يصح مثلا أن نقول، كما يطرح ذلك بتلهايم، أن كل مكتسبات الثورة الصينية منذ 1921، وكل المجهود العظيم من أجل بناء الاشتراكية في الصين من 1949 الى 1976 الذي قام به الحزب الشيوعي الصيني والجماهير الغفيرة من الشعب الصيني قد شطبها انقلاب داخلي في القيادة الصينية في أكتوبر 1976؟ ما هو مصير التجربة التي تخوضها الصين منذ عشرسنين؟ هل تستطيع اتجاهاتها السلبية أن تنتصر على كل المكتسبات المتراكمة في قلب البرلتاريا والشعب الصينيين وملايين أطر الحزب الشيوعي الصيني؟ كيف يمكن التمييز في هذه التجربة بين الاتجاهات السلبية و المجهودات السديدة للتكيف أحسن مع واقع المجتمع الصيني بهدف تطويره نحو الاشتراكية إنطلاقا من هذا الواقع الملموس نفسه؟ إن كل هذا يتطلب تفكيرا جديا ودراسة موضوعية وعلمية و ليس اتخاذ المواقف المسبقة (11)

طبعا على صعيد السياسة الخارجية، لا يمكننا إلا أن نندد - على كل حال من وجهة نظري - نظريات مثل "نظرية العوالم الثلاث" (و يجب التذكير هنا أنها بدأت تتبلور منذ بداية السبعينات) التي يدأ الحزب الشيوعي الصيني يتراجع عنها لحسن الحظ، رغم أن ذلك يتم ببطء وتدريجيا، تدفعه لذلك عوامله الداخلية نفسها واتضاح السياسة السوفياتية والواقع الفج للإمبريالية الذي يكشفه أكثر فأكثر ريغان ومن معه.

علينا إذن أن نحافظ - كما فعلنا ذلك دائما، مثلا في أبريل 1971 حول موضوع بنغلاديش - على استقلالية الرأي والقرار الضروريين في هذه الميادين وأن نحدد ولن نكف عن التأكيد على ذلك، بكل استقلالية إزاء أي كان، حزبا وبالأحرى حكومة، مواقفنا الخاصة على المستوى الداخلي والخارجي. وإذا كان لنا شرف صيانة راية الماركسية - اللينينية في المغرب، فبسبب ذلك أيضا. بعد هذا ودون انتظار القيام بتحليل أوسع، أريد إثارة الانتباه الى إحدى الأطروحات التي كانت في الواجهة خلال فترة طويلة من الثورة الثقافية الصينية والتي تشكل الأساس "النظري" للتعصب الحلقي الذي تهدف كل هاته الدراسة إدانته. إنها الأطروحة الشهيرة

"الواحد ينقسم الى إثنين" . سأقدم في مقال منفصل نقدا نظريا لهذه الأطروحة ،نقدا أتمنى أن يبين أنها ، وخلافا لما كان يزعمه المدافعون عنها ، لا علاقة لها لا بتعاليق لينين حول الجدلية التي تزعم الانتساب إليها و لا بالأسس النظرية للجدلية المادية التي لا تمثل هذه الأطروحة سوى كاريكاتورا رديئا لها . لنذكر على العكس بالفكرة المركزية التي طورها ماوتسي تونغ في نصوص 1958 حيث كان يؤكد بقوة على هذه المشاكل في إطار حملة ما يسمى بـ "مائة زهرة" :إن الصراع السياسي (وأفضل هنا كلمة النقاش السياسي) وسط الحزب الثوري من أجل بلورة أو تطوير الخط السياسي يجب أن يكون هدفه تقوية الوحدة السياسية والايديولوجية ومن ثم التنظيمية للحزب ويجب خوض الصراع (النقاش) من أجل الوحدة وليس الانقسام . لنذكر أيضا بالرسالة التي أرسلها ماو في فاتح غشت 1966 ،الى تلاميذ من بكين كانوا من ضمن المبدعين لـ "داتزي باو" المشهورة خلال الثورة الصينية . بعد أن أكد لهم دعمه ودعم رفاقه الحار لروحهم الثورية ،أضاف ماو: "بالاضافة لذلك ،ومع أننا نقدم لكم دعمنا ،فإننا نطلب منكم توجيه عنايتكم الى مشكل الوحدة مع جميع أولئك الذين يمكن الاتحاد معهم . فيما يخص أولئك الذين ارتكبوا أخطاء كبيرة ،يجب بعد توضيحها لهم إعطاءهم فرصة للعمل و لتصحيح أخطائهم والانطلاق من جديد في الحياة".

لقد قال ماركس أن البرلتاريا لا يجب أن تتحرر وحدها ،بل يجب أن تحرر الانسانية جمعاء . وإذا كانت عاجزة عن تحرير الانسانية جمعاء ،فإنها لن تستطيع أيضا تحرير نفسها بشكل نهائي . أرجوكم ،أيها الرفاق ، أن تعطوا عناية فائقة لهذه الحقيقة" (مجلة أنغلس الطبعة الفرنسية رقم 20 – 21 ص 34 الرباط 1971) .

للأسف لم توجه الثورة الثقافية الصينية أية عناية لهذه الحقيقة . لكن هل لا يجب البحث عن أسباب ذلك ، إضافة الى الميدان الأساسي للوقائع الاجتماعية والثقافية للشعب الصيني في تلك المرحلة من التعبيرات العميقة و السريعة ،في كون تفكير ماو في 1966 ، رغم أنه كان مطبوعا بشكل عميق بالأنسية التي تتميز بها كل أعماله ،كان هذا التفكير يسيء انزلاق لا جدلي نحو المانوية Manicheisme فهذه الرسالة الى تلاميذ بكين وأكثر منها التوجيه الملموس الذي أعطي للثورة الثقافية كانا يرتكزان على تصور أن "المتمردين الثوريين يمتلكون الحقيقة كلها" ، حقيقة البرلتاريا بينما مواقف أولئك الذين يحاربونهم فهي خاطئة تماما ،بل خطيرة، أنهم "البرجوازية" بل حتى كما قالت ذلك تشينغ تشينه "العصابة السوداء" (وهل لم يكن ماوتسي تونغ – الذي كان عجوزا آنذاك وكان يخشى فوق كل شيء تكرار "اللخروتشوفية" في الصين بعد وفاته – يعتقد هو كذلك ، بعد ستالين وإن كان بشكل مختلف تماما ،أن المقاومة السلبية التي يواجهه بها مجتمع ذو جدور فلاحية عميقة السير بسرعة أكثر من اللازم نحو الاشتراكية ما هي إلا تعبير عن معارضة بعض أطر الحزب ؟) .

في 58 ، وخلال حملة "المئة زهرة" المشهورة ،كان ماوتسي تونغ أكثر جدلية . وهكذا كتب: "إن شيئا صحيحا بدون أدنى خطأ هو شيء لا سابق له في التاريخ . إن هذا الطرح ينفي قانون المتناقضات ،إنها وجهة نظر ميتافيزيقية" (نصوص ماوتسي تونغ المنشورة في Editions CERF باريس تحت عنوان "ماوتسي تونغ يتكلم الى الشعب" ص 495 – 496) .

يجب على الرفاق الذين يناقشون من أجل البحث عن الحقيقة الثورية أن يتشبعوا بهذا التواضع وهذا الحس الجدلي وهذه الأنسية الماركسية . طبعا يبين التاريخ أن في مثل هذه النقاشات بين المناضلين الثوريين ،يكون أحد التيارات بشكل عام أقرب من هذه الحقيقة الثورية ،لكن لا يمكن الاقتراب منها أكثر – دون الوصول إليها بشكل تام أبدا ،لأن ليس هناك حقيقة إنسانية مطلقة – إلا إذا تم أخذ الرأي المخالف ،رغم انتقاده واحترامه دائما ، بعين الاعتبار لأن ذلك الرأي يعكس جزءا من الواقع (وأخذه بعين الاعتبار لا يعني هنا التوفيق بل التجاوز الجدلي لتناقض الرأي الأقرب للواقع) . وهذا هو المعنى الذي يجب اعطاؤه لمبدأ احترام رأي الأقلية المسجل في نظامنا الداخلي في 1974 .إن ذلك ضروري على صعيد النقاشات الداخلية كما على مستوى النقاش الجماهيري الضروري والرفاقي الذي يفرز بشكل ديمقراطي خطة العمل الثوري التي يجب أن يلتزم بها كل الرفاق في العمل بعد أن تقرر عبر قنوات المركزية الديمقراطية . على هذه الأسس فقط يمكن بناء قيادة جماعية وحزب ثوري من النمط اللينيني .

هل من "خلاصات" ؟

هل يمكن استخراج بعض "الخلاصات" لقد وضعنا في الصفحات السابقة بعض اللبنات الأولى التي يمكن أن تساهم في تفكير المناضلين الثوريين المغاربة، وخصوصا مناضلي الحركة الماركسية اللينينية المغربية ،في التصور الذي من شأنه أن يقدم في مهمة بناء الحزب الشيوعي للبرلتاريا المغربية ،المنظمة والقائدة للتحالف العمالي الفلاحي . هذا الحزب الذي تقع عليه مسؤولية قيادة شعبنا في طريق الثورة الوطنية الشعبية ونحو الاشتراكية .

لن نحاول هنا تلخيص وبالتالي إفقار عناصر التفكير المطروحة في هذه الصفحات . على العكس ،يتعين على جميع الرفاق إغناءها ،في خضم العمل النضالي ،العمل النضالي وسط الجماهير الكادحة ،وفي المقام الأول الطبقة العاملة ،وذلك في إطار ضرورة الاندماج مع العناصر الطليعية لهذه الطبقة ،هذه الضرورة التي من شأنها وحدها أن تضمن انصهار الشيوعيين الحقيقيين .

وإذا كان هذا الشرط لوحده غير ◄

كاف لتجنب المخاطر التي حللنا ها أعلاه، فإنه مع ذلك ضروري من أجل التقليل من تلك المخاطر و توفير امكانيات تجاوزها • ذلك أن هذه المخاطر، و لأسباب موضوعية، ترتبط بشكل رئيسي بالأصل الطبقي للمثقفين الثوريين الذين يكونون النواة المؤسسة الأولى للتنظيمات الماركسية-اللينينية في العالم الثالث و من ضمنه بلادنا • إلا أن هذه النواة يجب أن تتفجر، أن تتحول الى نواة بروليتارية في إطار ضرورة الاندماج مع العناصر الطليعية للبروليتاريا الذين يحملون معهم، و ذلك لأسباب موضوعية أيضا، تصورا آخر ا بروليتاريا للمعرفة و الديمقراطية الجماعية الموجهة نحو العمل •

لنذكر في النهاية بهذا المقتطف من دراسة كتبت في شتنبر 1970 و الذي ما زال راهنا لحد الآن :

" إن التجربة التاريخية تبين، وحالة إفريقيا تؤكد ذلك، أن المثقفين الثوريين هم الذين يتوصلون الى الماركسية في البداية، لكنهم يتوصلون إليها و هم محملين بانحرافاتهم البرجوازية الصغيرة • إن اندماج هذه العناصر و العناصر الطليعية للبروليتاريا في نفس الحزب و نفس المنظمة هو الذي يحبر كرا جماعيا سديدا يجعل من هذا الحزب المثقف الجماعي القادر على التعبير على الوعي العميق لجماهير الشعبية و أن يصبح هيئة أركانها في النضال •

في صيرورة الاندماج هاته بالذات، يجب أن ينتحر هؤلاء المثقفون كطبقة، يجب أن يعرفوا و يفهموا أو يجسدوا في الواقع كون أن العناصر البروليتاريا يجب أن تصبح أغلبية في مواقع القيادة و كون أن الفكر الجماعي و المثقف الجماعي الذين تم صهرهما هما في جوهرهما بروليتاريين • و يجب التدقيق أن الأمر لا يتعلق هنا بهذا الفرد أو ذلك بل بقيادة جماعية، بنية جماعية •

إن صيرورة الاندماج هته تستوجب انتقاد الايديولوجيا البرجوازية الصغرى بشكل دائم، هذه الايديولوجيا التي يحملها هؤلاء المثقفون بالضرورة والتي لا يمكن تصحيحها و تصفيتها إلا في إطار الجماعة التي تلحم العناصر البروليتارية و حيث يجب أن يكون هؤلاء الأخيرين قادرين على تحمل دورهم، و في نهاية المطاف، على فرض هيمنة الفكر البروليتاري، الفكر الماركسي" (12) •

إذا عرفنا استخلاص دروس الذرات التي كبدنا العدو، ربما سنكون قادرين على انجاز خطوة حاسمة في هذا الطريق •

ن • و •

هوامش :

(1) كل المعلومات حول اليمنيين الى حدود نهاية السبعينات أخذت من كتاب جماعي تحت اشراف J.CHELHOD بعنوان "l'Arabie du Sud" الجزء II، القسم 3 (باريس 1984) المعلومات المتعلقة بالثمانينات مأخوذة من تقرير C.Tronbé حول هذين البلدين نشر في Croissance des jeunes Nations أبريل 1984 •

(2) ورد لـ "Jacques Arnaut" في كتاب "Cuba et le marxisme" باريس 1963 •

(3) إن المعلومات التي تتوفر عليها حول الثورة الأفغانية في 1978 ترتكز أساسا على الدراسة المعمقة لـ FRED Halliday تحت عنوان "الثورة في أفغنستان" Novembre-Dec 1978 · Londres-New Left Review p3 à 44 - n°112

ظروف التدخل السوفياتي في هذا البلد في دجنبر 1979 و المعطيات الدقيقة المتعلقة به تم تحليلها في كتاب لنفس الكاتب Soviet Poltay inthe Arc of Grisis (Transnational Institute, Amsterdam 1981)

انظر أيضا حول الظرف الدولي في آسيا عرض طارق علي في ندوة نشقت في أبريل 1985 المعنون "Strategicers of Asia in The global System" المنشور في New Left Review n°152juillet-Aout85 p31-41

حول منجزات الثورة الأفغانية منذ 1979 انظر تقرير كمال رشيد في "نضال الشعب" عدد 433 بتاريخ 12 - 5 - 1986 و مقال الدكتور عبد الحسين شعبان في "الهدف" عدد 816 بتاريخ 5 - 5 - 1986 • حول الموقف الحالي للاتحاد السوفياتي انظر تقرير ميخائيل كورباتشيف في المؤتمر 27 (النص الفرنسي المنشور في مجلة "الاشتراكية: نظرية و ممارسة" موسكو عدد 4 أبريل 1986 • الفقرة المتعلقة بأفغانستان توجد في صفحات 90 - 91 من هذه الطبعة) •

(4) و هنا يجب الاحتراس من الشرر الذي تلحقه بعض التصورات المبسطة بثورة أكتوبر • فإذا كان المرسوم المتعلق بالأرض، و هو أول مرسوم قانون اتخذته سلطة السوفييتات في أكتبر 1917، مثل ذلك الاثر فلأن الفلاحين الروس كانوا آنذاك في حالة انتفاضة عامة، و ذلك بالخصوص تحت تأثير البرنامج و العمل الثوري الذي كان يقوم به الحزب البلشفي في مجموع البلاد منذ ستة أشهر وكذا بفضل الانحلال العام لسلطة الدولة القيصرية و التمرد العام وسط الجنود (وليس الضباط!!) ضد استمرار الحرب، و ذلك كمرة للعمل الشجاع و "ضد التيار" للبلاشفة منذ غشت 1914 • وكان ذلك أيضا استمرار العشرات السنين من العمل السياسي و الثوري وسط الفلاحين من طرف الشعبويين - و قد انضم الجناح المتقدم منهم، يسار الاشتراكيين الثوريين، الى الثورة البلشفية في أكتوبر - و استمرار الثلاثة أرباع قرن من الانتفاضات الفلاحية ! • لذلك لم يكن مستغربا أن يؤدي إعلان محمد عراقي على أمواج راديو تابول في 9 ماي 1978 عن

برنامج الاصلاح الزراعي للحكم الجديد وبشكل سحري ،الى نفس الأثر وسط الجماهير الفلاحية التي كانت تفصلها قرون عن ما كان يحدث انذاك في كابول .

واذا كان من الممكن تعويض قرون من التخلف الايديولوجي والاجتماعي بمستوات قليلة نسبيا في مراحل التغييرات الكبيرة والسريعة وسط الجماهير نفسها ،فإن ثورة من الفوق لا يمكنها أن تقوم مقام ذلك .ولعل من سخرية التاريخ المرة أن تؤدي وحشية عصابات الثورة المضادة منذ سبعة سنين الى صحوة الفلاحين الافغان ،خاصة وأن الحكم الثوري الذي أقيم منذ دجنبر 1979 تجنب بعناية جنون سلفه .

(5) إن انشغال الثوري الماركسي اللينيني بالواقع الملموس لا يعني الخضوع لواقع الاضطهاد اليومي للجماهير،بل يعني القدرة على تحليل الطاقات الكامنة والمنغرسة في قلوب الجماهير والتي سيمكن اطلاقها بشكل منظم من احداث التغييرات الثورية . لكن هذه الطاقات الكامنة وفي كل مرحلة من مراحل الصيرورة الثورية لها حدود موضوعية تتناسب ومستوى الوعي الممكن للجماهير . إن هذا التصور هو أيضا أساس المفهوم اللينيني لـ "الثورة المستمرة عبر مراحل" . وعند الوصول الى مرحلة ما تنفتح الطريق أمام مستوى أعلى من الوعي الممكن للجماهير التي تخوض غمار التغيير الثوري . إن الرقية في القفز على هته العوامل يعد مغامرة بسارية ،أما عدم فهم هذه الصيرورة وعدم فهم امكانية تغيير الواقع اليومي بشكل ثوري وكذا دينامية التسلسل مراحل الثورة المتتالية فإن ذلك من قبيل الاصلاحية اليمينية .

(6) وبشكل رئيسي نظرية "الطريق اللارأسمالي" في الستينات والتي تطورت في السبعينات حول مفهوم الدور الحاسم للبيرقراطية المدنية والعسكرية وفئات الانتلجنسيا كقوة تتحكم في جهاز الدولة ،دورها في تغيير الهياكل الاستعمارية أو / و "القديمة" وفي "عصرنة" البلاد والمجتمع وذلك حتى بالنسبة للدول ذات "التوجه الاشتراكي" مما يمكن من تصنيف دول مثل بنين ومدغشقر وبرمانيا بجانب اليمن الجنوبي وبرر نظريا الدعم اللا مشروط المقدم للنظام الاتيوبي (ان صيغة لهذه النظرية قد قدمها في بداية 1984 الدكتور ن . سيمونيا ،رئيس شعبة في معهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي ،في مجلة "العلوم الاجتماعية" العدد 1، 1984 تحت عنوان "توطيد الدولة والتمايز السياسي في دول الشرق") .

(7) هل سيذهب التفكير الجديد حول السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي الذي انطلق في هذا المؤتمر نفسه الى حد التراجع على مفهوم "الثورة من فوق" في العالم الثالث؟

(8) انظر "CAMBODIA 1975-1979" M.Vickery george Allen and Unwin and South End Press Angleterre/Australie 1984

(9) لقد وقعت في كثير من الاحيان في تاريخ الهند الصينية ما قبل الاستعمار،صراعات بين المملكتين العثمانية والكمبودية .

(10) يمكن للمرء أن يتساءل كيف يمكن أن تتلاءم بطوبيا فوضوية مع مثل هاته الديكتاتورية الممارسة عبر جهاز الدولة لكن ذلك هو التناقض الملازم للفوضوية السياسية (خلافا للفوضوية النقابية التي تؤدي بالعكس الى الاصلاحية) . ففي أي الفوضوية السياسية ،بحاجة الى تنظم من أجل تدمير الدولة . ولكن وحين تحقق ذلك الهدف بفضل ثورة فلاحية (وهو ما لا يحدث إلا في حالات استثنائية عندما تكون الدولة نفسها تتفكك تحت ضغط حركات أخرى و خلال مراحل وفي أماكن حيث لا تكون هذه الحركات قوية بشكل كافي لفرض بديل ثوري حقيقي : في كطالونيا في سنة 1937 والتمردات التي قادها ماخنو في أوكرنيا سنة 1919) تنزع تلك الفوضوية نحو التحول الى دولة دولة تدمر نفسها بنفسها ،دولة بدون قوانين ولا ضوابط . وتؤكد ذلك التجارب الفوضوية السريعة الزوال و النادرة (انظر حول التقارب بين البوليوطية وبعض هذه التجارب وكذا مع الشعبوية الفلاحية كتاب فيكوري المشار إليه أعلاه) .

(11) لنذكر كمثال لمثل هذا الجهود الكراس المعنون "من ماو الى دينغ" "FORM MAO TO DENG" Bulletin of Concerned Asian Sholars ZED RRESS LONDON 1983

(12) انظر مقال "الثورة في إفريقيا و قيادة البرلتاريا" مجلة "أنفاس" بالفرنسية عدد 21/20 .

*

السجون : قلاع التحدي

يخوض مجموع المعتقلين السياسيين في مختلف سجون المغرب حملة نضالية واسعة ومستمرة ضد مخطط النظام الحالي الذي يستهدف تدمير هجومه على كل المكتسبات التي حققوها بتضحياتهم وصمودهم مستغلا في ذلك كل أساليب القمع والترهيب وحتى التعذيب . ولم تنج من هذه الممارسات عائلات المعتقلين بنفسها . ونخص بالذكر منها حملة التنكيل والضرب ثم التعذيب التي تعرضت لها مجموعة الاساتذة من جهة وبوخبزا القمع الهمجي الذي لا زال يتعرض له والجريدة تحت الطبع مجموعة من الناشطين الماركسيين اللينينين (٢٦) لمحاولة توقيف الاضراب عن الطعام اللامحدود الذي يخوضونه من أجل تحقيق مطالبهم المشروعة وعلى رأسها تجميعهم في سجن واحد . انها واذ تتضامن مع مجموعة المعتقلين السياسيين ونضالا تهم وهو من كل ما يتعرضون اليه ،تتوجه الى كل الديمقراطيين من أجل تنظيم حملة الدعم والمساندة لهم وفك الحصار الحديدي عليهم

Directeur-Francois Descamps- --- Imprimerie- Ateliers G.B.M 92230Gennevilliers

متراس الجسم

الى كل ابراهم، على امتداد الخرائط المزورة في عالمنا العربي، اشعل نور قنديل بالعناد الاسطوري، والعشق الانساني ليرهب حلكة الظلام. الى كل سعيدة، سعدت باشعال ظفائرها واحلى ما تملك بابتسامة عشق امومي لتنير الطريق، طريق التضحية للاطفال والامهات والارامل والشيوخ الابطال. الى كل اوكوموتو اهدى نور عينيه وحرارة قلبه للسجن، للحرية، للتاريخ في فلسطين من اجل ان تحيا الثورة الاممية وتستمر. الى كل كمال بنى بلحمه جسر الذهاب بعيدا في الافق الاحمر، رحاب العشق الانساني، لتعبر الاجيال للمستقبل حاملة بيد مطرقة وبالاخرى منجلا. الى كل زروال الى كل أمين لم يرحل عنا خائفا، بل يسير بخطى ثابتة الى الامام، على طريق الطرق المؤدية الى بيروت ـ البيضاء ـ الانتصار، صدا على دعاة الهزيمة والحجر والانكسار والتخاذل. الى كل الشهداء والسجناء الابطال الذين لم تدمع اعينهم، ولا ارتعشت ايديهم لاختلاس قروش الكادحين القليلة باستمرار. الى كل من عمر في الارض وحارب الاكتناز ـ الاستغلال حتى الموت واستشهد او سجن او اختطف عشقا لتحيا الحرية، لتحيا الثورة الشعبية، لتحيا الاشتراكية، لتحيا الشعوب المناضلة والمكافحة، الى جميع الشهداء، الى كل السجناء صوبكم جميعا نتجه، دماؤكم ودفء قلوبكم الكبيرة انوارنا ونجومنا في ظلام هذا المساء تبتسمون يا ايها الخالدون للوطن ليحيا وسيف الجلاد متغرز في قلوبكم. من خلف الاسوار والرمال تكلموننا، عبر الجرح والدم. تهتفون بالنصر وتغنون للحياة نشيد الامل والنصر. تكلموا فينا ايها الشهداء. انطقوا في حلقنا ايها السجناء، فاليوم ليس كالامس والغد معاند. يا ايها الجلاد كفاك تلونا! فبضاعتك الى كساد. اقتل الزمن لتستريح. اسأل امريكا اي مرض مزمن نلهب به جسمها التاكل والمتعفن. اسأل الجلاد ايها الجلاد. اسأل الارهاب ايها الارهاب. ستجد الجواب كالفجر وحرية الشعوب صبحه. عشقنا ابدي، لن نصحى من هذا الحب العظيم، حب الاطفال الشهداء، حب الاطفال الشهداء، حبا لابطال السجناء، حب القادة الشهداء، حب العائلات الشهيدة، وضحايا كل الحروب الامريكية ومشتقاتها.

انفجر فينا يا سخط اطفال خنقوا ولقمة الافطار لم تستقر في البطن بعد. انفجر فينا يا لغم اطفال ناموا ولا تيقظوا في عالم الاستشهاد. انفجر فينا يا حب الامهات الشهيدات الائي احتضن فلذات اكبادهن ليحصد الجميع سيف الارهاب والفاشية من البيضاء حتى بغداد مرورا بالخرطوم وبيروت. ازهري فينا يا ذكريات شيوخ هزموا كماشة القتل وتشوه ذاكرة الشعوب. انفجري فينا يا دماء صبرا وشاتيلا وتل الزعتر ودير ياسين وكفر قاسم مرورا بايلول الاسود ... اهدر في اعماقنا يا دماء الاطفال والشباب والشيوخ الصارخة في وجه الغلاء الفاحش بكل ارجاء الوطن. تكلمي بيروت فينا. انفجي ايتها الدماء الطاهرة بين البحر والبحر في فمنا براكين وفي ايادينا قناطر، وفي سواعدنا ادوات الهدم والتجديد والبناء، الازمان لكما ايها السادة المستغلون، لكم التاريخ الميت، والتاريخ الحي لنا لاننا نصنعه ويصنعنا. اتسع ايها الجرح بحجم الوطن فيوم الجلاد واحد قصير، وصبح الشعب طويل طويل. انكشفت عورة الجلاد فليعلن الحداد.